

جماعة الأزهر للنأليف والترجمة والنشر

المهذب في الأسلا

مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُصُورِ حَتَّى الْيَوْمِ

دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي

تأليف

سعد محمد حسن

من علماء الأزهر ومدرس بوزارة المعارف

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م

مطابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد علي فيناوي

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى

اللَّهُمَّ
وَحَبِّهِ الرَّحْمَنُ وَحَبِّهِ

فهرست الكتاب

صفحة

ح	تقرير عن الكتاب للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي
ك	تصدير بقلم الدكتور عبد الحليم النجار الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة
ن	مقدمة المؤلف
١	الفصل الأول
١	الإمامة في الإسلام
٥	القرابة عند الشيعة
٩	الإمامة عند الفرق الإسلامية
٩	الإمامة عند أهل السنة
١٣	الإمامة عند الخوارج
١٣	الإمامة عند الشيعة
٣٥	الفصل الثاني
٣٥	الرجعة
٣٨	يهودية الرجعة وتسربها إلى الشيعة
٤٢	عقيدة المخلص في الشرق القديم وأثرها في معتقد المهدي
٤٥	الفصل الثالث
٤٥	المهدي في الإسلام
٤٥	لفظة المهدي
٤٨	الشيعة وعوامل الفكرة عندهم
٦٩	مستندات الشيعة
٧٥	غلاة الشيعة وألوهية الأئمة

صفحة	
٨١	المهدى عند الشيعة
٩١	الفصل الرابع
٩١	فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد
٩١	السياسة
٩٥	الكنيسانية
١٠٧	الزيدية
١١٢	النفس الزكية محمد بن عبد الله مهدى الجارودية
١٢٩	الإمامية
١٢٩	الإثنا عشرية
١٣٧	الإسماعيلية
١٤٩	الفصل الخامس
١٤٩	أدب المهديّة عند الشيعة
١٥٠	كثير عزّة
١٥٣	السيد الحميرى
١٦٠	بهاء الدين العاملى
١٧٠	الفصل السادس
١٧٠	المهدية عند بقية الفرق الإسلامية
١٧٠	المهدية والقرامطة
١٧٢	المهدية والخوارج
١٧٣	المهدية والصوفية
١٧٤	المهدية وأهل السنة
١٧٦	آثار عقيدة المهدى فى المجتمع الإسلامى
١٧٦	القحطاني والسكبي والتميمي

صفحة

١٧٧	السفياني المنتظر
١٨٢	المهديون من غير آل البيت
١٨٢	إجمال
١٨٥	ابن تومرت مهدي الموحدين
١٩٧	الفصل السابع
١٩٧	المهدية في العصر الحديث
١٩٩	محمد أحمد مهدي السودان
٢٣٧	البابية والبهائية
٢٣٧	التشيع في فارس
٢٤٠	الشيخية
٢٤٤	البابية
٢٥٧	البهائية
٢٦٤	المهدية في الهند
٢٦٤	الإسلام في الهند
٢٦٨	الباريلية
٢٧٠	الأحدية أو القاديانية
٢٧٥	مراجع الكتاب
٢٨٩	فهارس الأعلام

تقرير عن الكتاب للأستاذ الكبير عبد الحميد العبادي (*)

موضوع « المهدية » من الموضوعات الطريفة في التاريخ الإسلامى ، وهو يجمع بين طرافة التاريخ وطرافة القصة ، هذا فوق ماله من خطورة تاريخية نلحظها في جميع عصور التاريخ الإسلامى وجميع أقطار الدول الإسلامية على وجه التقريب . ومع أن المصادر العربية التاريخية فيأضة بأخبار « المهدية » ومن ادّعوها في مختلف العصور ، ومع أن غير واحد من المستشرقين قد كتب في موضوع المهدية والمتهمدين كتابات تختلف إيجازاً وتفصيلاً ، فإنه لم يظهر بعد كتاب عربى واحد^(١) يجمع شتات هذه « النظرية » أو « الفكرة » أو « الأسطورة » ويؤلف منها قصة تاريخية محكمة البنية حسنة العرض سهلة الأسلوب .

من أجل ذلك لا يسع محب الثقافة الإسلامية إلا أن يستقبل مع الابتهاج كتاب « المهدية فى الإسلام » لمؤلفه الأستاذ سعد محمد حسن ؛ فقد جاء الكتاب فى الوقت الذى أخذ الجمهور الإسلامى المثقف يتطلع فيه إلى ماضيه ليفهم حاضره ويدرك الاتجاهات التى يسير فيها العالم الإسلامى بوعى أو على غير وعى منه .

(*) كان من سوائف الأفضية أن تقدمت بكتابى هذا إلى « لجنة التأليف والترجمة والنشر » لطبعه ، فأحالته « اللجنة » على الأستاذ الكبير عبد الحميد العبادى ، وكان وقت ذاك عميداً لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ؛ وذلك لكتابة تقرير عنه ، فظفرنا من الأستاذ الجليل — وهو حجة فى التاريخ الإسلامى — بهذا التقرير ، وأصله مودع فى سجلات « اللجنة » وتحت أيدينا صورة منه ، وكان بعد ذلك أن اعتذرت « اللجنة » عن الطبع ١٠٠٠

(١) أخرج الأستاذ الكبير أحمد أمين بعد كتابة هذا التقرير بسنوات كتيباً صغيراً للناس بعنوان « المهدي والمهدوية » ونشره فى سلسلة « اقرأ » وقد قننا بنقده فى مجلة « الثقافة » العدد ٦٦٤ ، ٦٦٧ (فارجم إليهما إن شئت .

وموضوع « المهديّة » مع طرافته التاريخية السالفة موضوع شائك ، يقتضى فيمن يعالجه تعمقاً في الفهم ولباقة في العرض ؛ لأنه يتصل بشعور أقوام يدينون بالمهديّة في العراق وإيران والهند ، ولاشك أن الأستاذ سعد محمد حسن قد استوفى كثيراً من الشروط الأساسية اللازمة للإقدام على الكتابة في هذا الموضوع ؛ فهو ذو ثقافة فقهية إسلامية أصيلة تمكنه من أن يخوض عباب هذا البحث دون أن يتورط في الأخطاء التي قد يتورط فيها من ليست له هذه الثقافة متى تعرض لمثل موضوع « المهديّة في الإسلام » ، ثم إن الأستاذ قد أحاط بمادة الموضوع الواردة في المراجع العربية واطّلع على ما وسعه الاطلاع عليه من المراجع الأجنبية المتعلقة بالمهديّة والمترجمة إلى اللغة العربية ، ثم إن الأستاذ قد عرض هذه المادة عرضاً حسناً وفي أسلوب واضح لا تكلف فيه .

بقيت مآخذ يسيرة على الكتاب أرى من واجبي التنبيه عليها :

أولاً : أن الموضوع كما قدمت دقيق وشائك ؛ لذلك أرى أن يستبعد المؤلف من كتابه الصفات النائية التي وصف بها بعض من ادعوا « المهديّة » من جهل أو شعوذة أو تحريف أو نحو ذلك ، حتى لا يؤلم شعور أقوام يعتقدون المهديّة .

ثانياً : أن المؤلف فرق بين كلامه على المهديّة والشيعة وكلامه على المهديّة والقرامطة ، والواقع أن القرامطة شعبة من الشيعة الإسماعيلية والباطنية ، وأرى أنه يحسن أن يجمع الموضوعين في فصل واحد .

ثالثاً : يقول المؤلف (صفحة ٢٨^(١)) إن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية (نظرية الجزء الإلهي) من المسيحية المفلسفة وزعمها في عليّ وذريته ، وسبق أن ذكر (في صفحة ١٤^(٢)) أن ابن السوداء كان يهودياً ثم دخل في الإسلام ونقل إليه عقيدة « الرجعة » من اليهودية !

(١) هذا الرقم المخطوط ويقابله في المطبوع ص ٧٩ .

(٢) يقابل هذا الرقم في المطبوع ص ٣٨ ، وليس هنالك تناقض ؛ إذ هما نظريتان نقلهما ابن السوداء ، إحداها وهي نظرية « الجزء الإلهي » نقلها عن المسيحية المفلسفة ، والأخرى وهي « الرجعة » نقلها عن اليهودية .

رابعاً : فى صفحة (٣٧^(١)) : وعندئذ أخذ ابن الزبير يفتك بآل على ، والثابت أن ابن الزبير لم يفتك بآل على وإنما اضطهدهم وشتان بين الأمرين .

خامساً : فى صفحة (٣٩^(٢)) : تغلب المختار بمكره وسياسته المكيافيلية على بساطة ابن الحنفية ، والأولى أن يقال : تغلب بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية . وسواء أخذ المؤلف بهذه الملاحظات أم لم يأخذ فإنى أرى أن كتاب « المهدي فى الإسلام » كتاب قيم وأنصح أن تنشره اللجنة^(٣) ضمن ما ينشر .

عبد الحميد العبادى

الإسكندرية فى ١٩٤٨/٤/٥

لقد صوره طبعاً لأصله بغير حذف صاحب الغزوة عبد الحميد العبادى

١٩٤٩/٤/٢٩



(١) يقابلها فى الطبوع ص ٩٧ ، ومع أن كلمة « يفتك » قد تستعمل فى معانيه الاضطهاد على المجاز ، فقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الجليل .

(٢) يقابلها فى الطبوع ص ١٠٢ ، وقد أصلحنا العبارة كما أرادها الأستاذ الكبير .

(٣) يقصد الأستاذ العبادى باللجنة هنا « لجنة التأليف والترجمة والنشر » .

تصدير

بقلم الدكتور عبد الحليم النجار

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، وكما تفتحت عين الإنسان — بادی —
ذی بدء — على النور الحسی فی مشرق الأرض قبل مغربها ، كذلك شاءت
حكمة الله أن تفتح القلوب والعقول على النور المعنوی بهذا الترتیب ، وكذلك كان
المشرق مهبط الحكمة الإلهية ، والهداية السماوية ، والدين الذي ينفع الناس ويمكث
فی الأرض .

و « الله أعلم حيث یحمل رسالته » ، فهو — سبحانه — یصطفى من الناس
رسلاً یصنعهم على عینه ، ویؤدبهم فیحسن تأديبهم ، ویؤتیهم الحكمة وفصل
الخطاب ، لیكونوا جديرین بحمل ما ینوط بهم من أمانة ، وتبلغ ما یبعثهم به
من رسالة : « الله یصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصیر » .

وهكذا شهد الشرق منذ نشأة الحياة وفجر التاريخ مثلاً علیا للإنسانية ؛
یتنهی إليها جماع الحكمة وصواب الكلمة ، وتعلو بها رایة الحق ، وتتم مكارم
الأخلاق ، یبعثها الله نوراً للناس تنصلح به أمور دينهم ودنیاهم ، وتشرق نفوسهم
وعقولهم ، وتخطو الإنسانية على هديه خطواتها المسددة فی مراحل الحضارة والعلم ،
إلى أن یبلغ السكتاب أجله .

كانت هذه المثل العليا للإنسانية كالماء الزلال یتدفق من الفیض الإلهی
فلا یصیب أرضاً خصبة صالحة إلا أحياءها ، وطهرها وزكاها ، وبدلها من وحشة
الجدب والإفقار ، نصره الحضرة ونعشه الازدهار .

وكانت هذه المثل العليا — وهي في الأرض كالنجوم والكواكب في السماء — معقد آمال الناس ، ومناطق رجائهم للخلاص من شر النفوس الأمارة بالسوء ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، ولإشاعة العدل والمساواة ، ونشر المحبة والسلام في العالمين .

فلا جرم كانت تترك أبعد الآثار في نفوس الناس ، وتحتل أسمى مكانة من قلوبهم وأفئدتهم ؛ وسرعان ما نصير قيد الأبصار ، ومنتهى ما تبلغه التصورات والأفكار ، فتصبح صورها الحسية أو المعنوية خالدة في النفوس يتوارثها جيل عن جيل ، حتى لا كأن الفتنة بجها ، والتعلق بها ، كانت تعمي الأبصار والبصائر دائماً عن مطلع النور الجديد ، ومبعث النبي العتيق :

أتمنى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ومن تمكن هذا الحب ، وتغلب ذلك الهوى ، حاول الناس في كل عصر مكابرة الواقع ، ومغالبة الحق ، ومدافعة اليقين ، فأبوا أن يقبلوا على مثلهم العليا ما يجري على سائر الناس من أطوار الحياة والممات بل أخذت فلسفتهم تفتن في التماس الخلود الحقيقي لها أو لتعاليمها على وجوه شتى : فن قائل بالرجعة ، ومن ذاهب إلى الاختفاء ، ومن آخذ أخيراً بالحيلة في أمره مكثف بتقرير أن وفاة الجسد لن تحول دون بعث شخص آخر ، موافق في الاسم والرسم ، يحى الفكرة ، ويهdy الأمة ، ويملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

بيد أن فكرة المهدي قد احتلت عند المسلمين محلاً مكيناً ؛ وحسبك أن علماء الحديث يرون أنها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، وإن ثبتت برواية الآحاد فحسب ، وتجردت منها أصح كتب الرواية .

وليس المجال هنا مجال القبول أو الإنكار ، وإن حصل التشكك في كثير من الأخبار والآثار ، ولكن الأمر لا يعدو الانطلاق في مسارح الفكر ،

والاستغلال بحرية العقل ، وتسليط الأضواء من كل جانب على هذا الموضوع لبحثه من جميع أقطاره ، ليؤمن من آمن عن يئنة ، وينكر من أنكر عن يئنة .

وقد اضطلع الأستاذ سعد محمد حسن بالبحث في جملة نواح من هذا الموضوع فوفّر على الناس كثيراً من عناء الدرس والتفقيب ، والاستدلال والاستنتاج . وليس ذلك على الأستاذ بجديد ؛ فقد عرفته عندما اشتد ساعده ، وامتد باعه ، ورسخت قدمه ، معنياً بتتبع الزوايا الغامضة من مسارب الفكر ، ومسالك النظر ، يطلق عليها أنواراً مركزة من التفسير والتحليل تهتك عنها الحجب ، وتكشف القناع ، فتسفر كالصبح لدى عيّن .

فعل ذلك من قبل في بحثه القيم عن : « ذى النون المصرى » ، وهو ذا الآن يقدم إلى القراء دراسته الممتعة للمهدى والمهدية ، فله جزاء العاملين الخالصين ، وأجر العلماء المجتهدين ، وإن كنا نخالفه في بعض ما وصل إليه من نتائج ، بعد الاستفادة من المراجع القيمة التي لم يأل جهداً في الاستناد إليها .

دكتور عبد الحليم النجار

الأستاذ بكلية الآداب — جامعة القاهرة

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم منك العون وعليك التكلان وبك وحدك نعتصم ، ولا علم لنا إلا ما علمتنا
« وقل رب زدني علماً » و بعد .

فهذه دراسة شاملة للتاريخ العقدي والسياسي والأدبي لمعتقد « المهدية »
في الإسلام أقدمها للقراء بعد أن شغلت نفسى بها سنوات متمطيات بأصلاها
من أزهى أيام العمر وأنضرها ، عاملاً — ما وسعنى الجهد والقوة — على أن تكون
دراسة علمية دقيقة ، نشداناً منا للحق وحده وخدمة للمكتبة العربية .

ولا يسعنى في نهاية المطاف — وعند الصباح يحمد القوم السرى — إلا أن أقدم
أعمق الشكر وأصدق له الأستاذ الكبير عبد الحميد العبادى على حسن رأيه فى كتابنا ،
وللأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار لتفضله بكتابة « التصدير » ، ولا يفوتنى أن أوجه
أجزل الشكر لجماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر ، وعلى رأسها الدكتور البهائية
محمد يوسف موسى فعن طريقهم عرف الكتاب سبيله إلى النور ، كما لا يفوتنى أيضاً
أن أقدم الشكر الخالص من الأعماق لرجال « مطابع دار الكتاب العربى » وعلى
رأسهم مديرها وصاحبها الشاب المؤمن الحاج محمد حلمى المنياوى ، والله نسأل أن
يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه .

سعد محمد حسن

من علماء الأزهر ومدرس بوزارة المعارف

القاهرة فى { المحرم ١٣٧٣
سبتمبر ١٩٥٣ }

تصويب أخطاء الطبع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	ح رقم ١	ص ١٥٠٢	ص ٢١٥
٧٧	ح رقم ٤	ابن حزم ح ٤	ابن حزم ح ٤ ص ١٨٤ ، والفرق بين الفرق ص ١٤٦ ، والتبصير في الدين للأسفراييني ص ٧٣
٧٨	٢	لم تحظ	لم نخط
٩٨	١	وكهذا	وهكذا
١١٤	٣	نافع بن عمر	نافع مولى ابن عمر
١٣٦	١٢	إنساناً	إنساناً
١٦٢	الآخر	فاض	فاضل
١٧٥	ح رقم ١	لعقيدة أو	العقيدة و
١٧٩	٦	(السفيناني)	تشطب
٢٠٠	١٥	ولد ، أسماء	حفيد ، اسمه
٢٠١	٤	آمنة	زينب
٢١١	١٣	مهديتك	مهديتي
٢٤٧	١٠	بهاء الدين	بهاء الله
٢٤٧	١١	أرل	أزل
٢٥٢	٢٢	«	،
٢٦٥	٢٦	Word	World
٢٦٩	٣	٥١٢٣٢	٥١٢٣٧
٢٧٣	٦	المجتمع	الجميع
٣٠١	١٩ عمود ٢	الإثنا عشرية	الإثني عشرية

الفصل الأول

الإمامة في الإسلام

لابدّ لنا قبل الدخول في موضوع البحث ، أن نلمّ إلمامة وجيزة بالإمامة الإسلامية ؛ لما لها من وشيخ الصلة ولحمة القرابة القريبة بموضوعنا ، ولما لها أيضاً من عظيم الأثر فيما نشب بين أهل السنة والشيعة من خلاف ، حتى لتكاد تصبغ معتقدات كل من الطائفتين بصبغة خاصة ولون خاص .

لما كان « القرآن » الكريم — وهو دائماً المصدر الوثيق الهام للشرعية الإسلامية — لا يحدّثنا بشيء عن هذا الموضوع الخطير ، ولما كان الرسول صلوات الله عليه قد لحق بالرفيق الأعلى دون أن يدلى فيه برأى صريح ينقله إلينا مصدر موثوق به ، فقد تشعبت الآراء وتباينت الأهواء وتحركت العصبية القبلية — التي لم يفلح الإسلام قط في القضاء عليها وإنما فقط هذبها أو كبّتها إلى حين — فظهرت كأشد ما تكون قوة وعنفاً تحت سقيفة بنى ساعدة ، ورسول الله مسجى في بردته لم يدفن بعد !

وقد تمخض مؤتمر السقيفة — بعد صراع في الرأي وجدال في القول ولجاج — عن إمامة أبي بكر ، التي جاءت على حد تعبير ابن الخطّاب « فلتة »^(١) ، والتي لم

(١) قال عمر بن الخطّاب « فلا يفرنّ امرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها » الطبري : ج ٣ ص ٢٠٠ ط الحسينية ، وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٥ ط السعادة ، وفي ابن الأثير « كانت فتنه » أنظر السكامل : ج ٢ ص ١٢٤ ط الحلبي ، وفي شرح النهج « إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها . فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه » مجلد ١ ص ١٢٣ وما بعدها ط القاهرة ، ومع ذلك فإن أبي الحديد يروى لنا أن أول من وصف إمامة أبي بكر بهذا الوصف « فلتة » هو أبو بكر نفسه ؛ ففي شرح النهج :

« قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر إليهم ، وقال إن بيعتي كانت فتنه وقى الله شرها ، وخشيت الفتنه ، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط ، ولقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان ، ولقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني » ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ١٩ .

ترض بعض الأنصار ؛ فقد امتنع سعد بن عباد عن مبايعة أبي بكر حتى مات^(١) ، كما لم ترض بنى أمية بن عبد شمس . أما بنو هاشم فقد سخطوا عليها كأشد ما يكون السخط ، وعدوها اغتصاباً لحقوقهم وإهداراً لوجودهم ، فقد كانوا اقربايتهم من الرسول يتوقون إلى هذا الأمر من بعده .

وأكبر الظن أن علياً وحده هو الذى كان يطمع فى هذا الأمر إلى حد كبير ، ولقد نعم على مؤتمر السقيفة الذى أضاعه منه ، فتمثل بقول الشاعر :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتروا . ويطغون لما غال زيدا غوائله

وفى هذا الصدد أنشد أبو القاسم الحسين بن على الوزير المغربى (المتوفى عام ٤١٨ هـ) قصيدة طويلة ، ملأها بالسخط والإنكار على المهاجرين الذين أبعدها الأنصار عن الخلافة أولاً ثم أبعدها علياً عنها ثانياً ، وفيها يقول متحيزاً للأنصار :

نحن الذين بنا استجار^(٢) فلم يضع فينا وأصبح فى أعز جوار
بسيوفنا أمست « سخيفة »^(٣) « برّكا » فى بدرها كفحائر الجزار
ولنحن فى أحسد سمحنا دونه بنفوسنا للموت خوف العار
فنبجا بمهجته فلولاً ذبنا عنه تنسب فى مخالب ضار

(١) قال ابن أبى الحديد « وحمل سعد بن عباد وهو مريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة فى ذلك اليوم وفيما بعده ، وأراد عمر أن يكرهه عليها ، فأشير عليه ألا يفعل ، وأنه لا يبايع حتى يُقتل ، وأنه لا يُقتل حتى يُقتل أهله ، ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج ، وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها وفسد الأمر ، فتركوه ، فكان لا يصلّى بصلاتهم ، ولا يجتمع بجماعتهم ، ولا يقضى بقضائهم ، ولو وجد أعواناً لضاربهم ، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ، ثم لقي عمر فى خلافته وهو على فرس وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات يا سعد ، فقال سعد : هيهات يا عمر ، فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه ، قال : نعم أنا ذاك ، ثم قال لعمر : والله ما جاورنى أحد هو أبغض لى جواراً منك ، قال عمر : فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه ، فقال سعد : إني لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحب لى جواراً منك ومن أصحابك ، فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلاً ، حتى خرج إلى الشام ، فات مجوران ولم يبايع لأحد ، لا لأبى بكر ولا لعمر ولا لغيرهما » شرح النهج جلد ٢ ص ٤ . (٢) يقصد النبي .

(٣) السخينة : طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الخزيرة فكانت تسب به ، وفيه يقول حصان بن ثابت :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليقلبن مغالب الغلاب
أنظر : العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٦٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

إلى أن يقول :

ولنا يوم حنين آثار متى تذكر فهنّ كرائم الآثار
لما تصدع جمعه فقدا بنا مستصرخاً بعقيرة وجوّار
عطفت عليه كمائننا فتحصنت منا جموع هوازف بفرار
أفحن أولى بالخلافة بعده أم عبد تيم حاملو الأوزار ؟
ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا زُفت عروس الملك غير نوار
لكما حدد النفوس وشحها وتذكرُ الأذحال والأوتار
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو حسن لقلت لوئت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذى غلظة جاف ومن ذى لثة خوّار
ثم ارتدى المحروم فضل رداها فقلت مراجل إحنة ونفار
فأأكلت تلك الجذى وتلمظت تلك الظبا ورق أجيح النار
تالله لو ألقوا إليه زمامها لمشى بهم سمحى بغير مهّار^(١)
ولو أنها حلت بساحة مجده بادى بدا سكنت بدار قرار
هو كالنبي فضيلة لکنّ ذا من حظه كاس وهذا عارى
والفضل ليس بنافع أربابه ألا بمسعدة من الأقدار
ثم امقطاها عبد شمس فاغتدت هزواً وبدل ربحها بخسار
وتنقلت في عصبة أموية ليسوا بأطهار ولا أبرار
ما بين مأفون إلى متزندق ومداهن ومضاعف وحار^(٢)

(١) قال صاحب القاموس : « المهار ككتاب : العود يجعل في أنف البختي » والمعنى أن إمامة على لو ألقى الناس زمامها إليه أسارت بهم آمنين مطمئنين في سهولة ويسر .

(٢) أورد ابن أبي الحديد هذه القصيدة في شرحه للنهج وختمها بقوله : « فهذه الأبيات هي نظيف القصيدة ، التقطناها وحذفنا الفاحش ، وفي المتن المذكور أيضاً ما لا يجوز ، وهو قوله نحن الذين بنا استجار — وقوله فنجأ بجمهته البيت ، وقوله عن أبي بكر : عبد تيم ، وقوله لولا على لقلت في الأربعة لأنهم أستار لؤم ، وذكره الثلاثة بما ذكرهم ونسبهم إليه ، وقوله إن علياً كالنبي في الفضيلة ، وقوله إن النبوة حظ أعطيه وحرره على عليه السلام » شرح النهج مجلد ٢ ص ٦ و ٧ .

وفي ذلك يقول أيضاً الشاعر المشيع مهيار الديلمي (المتوفى عام ٤٢٨ هـ) :

أَللهَ يَا قَوْمُ يَقْضِي « النِّبْيُ » مُطَاعاً فَيُقْضَى وَمَا غُسَّلاً ؟ !
ويجْتَمِعُونَ عَلَى زَعْمِهِم وينيبك « سعدٌ » بما أشكلاً
فَيُعَقِّبُ إِجْمَاعُهُمْ أَنْ يَبِيحَ ت مفضولهم يقدم الأفضلاً
وَأَنْ يُنْزِعَ الْأَمْرَ مِنْ أَهْلِهِ لأن « عليّاً » له أهلاً
وَسَارُوا يَحْطُونَ فِي آلِهِ بظلمهم ككلاً ككلاً
تَدْبُ عَقَارِبُ مَنْ كِيدُهُمْ فتفنيهم أولاً أولاً
أَضَالِيلَ سَاقَتِ مَصَابِ « الْحُسَيْنِ » وما قبل ذلك وما قد تلا
« أُمِيَّة » لَابِسَةً عَارَهَا وإن خفي الثأر أو حُصِّلاً
فَيَوْمُ السَّقِيفَةِ يَا ابْنَ النَّبِ ي طرَّق يومك في « كربلاً »
وَعَصْبُ أَبِيكَ عَلَى حَقِّهِ وأمك حسن أن تُقتلاً
ثم توجه إلى الرسول بقوله :

قَضَيْتَ فَأَرْمُضْنَا مَا قَضَيْتَ وشرعك قد تم واستكلاً
فَرَامَ ابْنَ عَمِّكَ فِيمَا سَنَدَ ت أن يتقبل أو يمثلاً
خَفَانُكَ فِيهِ مِنَ الْغَادِرِ ن مَنْ غيّر الحق أو بدلاً
إِلَى أَنْ تَحَلَّتْ بِهَا « تَيْمُهَا » وأضحت بنو هاشم عطلاً
وَلَمَّا سَرَى أَمْرَ « تَيْمِ » أَطَا ل بيت « عدى » لها الأحبلاً
وَمَدَّتْ أُمِيَّةً أَعْنَاقَهَا وقد هُوّن الخطب واستسهلاً^(١)

ومهما يكن من شيء ، فقد نqm على مؤتمر السقيفة ، فامتنع عن مبايعة أبي بكر ،
تؤيده في ذلك وتشد أزره زوجه فاطمة ابنة الرسول ، ونفر من بني هاشم ، وكثير
من صحابة النبي ، منهم الزبير وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد

(١) ديوان مهيار طبع دار الكتب المصرية - ٣ ص ٤٨ وما بعدها .

ابن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، وأبوسفيان ، وقد قال عتبة بن أبي لهب في ذلك :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم عنهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن^(١)

القرابة عند الشيعة :

ولمسألة « القرابة » عند الشيعة أهمية كبرى ، ليس فقط في إثبات حقهم في الإمامة » بل وفرض موالاتهم على الناس كافة ، متلمسين بذور ذلك فيما حاولوا — جاهدين — من تفسير قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » — زاعمين — وهم في زعمهم واهمون — أن القرآن يفترض على جميع المسلمين مودة قربي الرسول عليه السلام ، وهم هنا على وفاطمة والحسن والحسين ثم ذراريهم من بعدهم . وفي هذا الصدد يقول صاحب « الهاشميات » شاعر الشيعة السكيت بن زيد :
وجدنا لكم في « آل حامي » آية تأولها منا تقى ومُعرب^(٢)
والحق أن هذا التفسير للآية الكريمة قد أملاه الهوى والغرض ، ولم يجد سنداً من التاريخ ومخاح الأحاديث ، كما أنه بعيد كل البعد عن مادة اللغة وروح الإسلام ، كما أوضح ذلك بحق العلامة محمد إسعاف النشاشيبي^(٣) .

فالآية من سورة « الشورى » وهي وشقيقتها « آل حامي » مكيات باتفاق ، فكيف يقصد بها عليٌ وفاطمة والحسن والحسين ، مع أن علياً لم يتزوج بفاطمة

(١) أنظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ١ ص ١٥٦ ط الحسينية بالقاهرة وانظر أيضاً تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤١ ط المطبعة الوهية بالقاهرة .

(٢) الهاشميات طبع الرافضى ص ٤٠ ، وتقى أى : متكلم متستر ، ومُعرب أى : جاهر مفصح صاعد .

(٣) الإسلام الصحيح ج ١ ص ٥٩ وما بعدها ط القدس .

إلا بالمدينة بعد غزوة بدر وقد وُلد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة والحسين في الرابعة ١٩

فآلية قد نزلت قبل وجود هذه القرابة ، فكيف يسألها الرسول — حاشاه — أجراً لدعوته ١٩

وقد روى البخارى ومسلم في صحيحهما « عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاوساً عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربي آل محمد . فقال ابن عباس : عجبت ، إن النبي لم يكن بطن من قريش إلا كان له منهم قرابة فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » .

وفي مسند أحمد « سمعت طاوساً يقول : سأل ابن عباس المعنى عن قوله عزَّ وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قرابة محمد . قال ابن عباس : عجبت ، إن رسول الله لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله فيهم قرابة فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم » .

وفي تيسير الوصول وسنن النسائي وغيرهما مثل ذلك ، ويقول الطبري في تفسيره : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال : معناه قل لا أسألكم عليه أجراً — يا معشر قريش — إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم . وإنما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول (في) في قوله (إلا المودة في القربى) ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال : إلا أن تودوا قرابتي أو تقرّبوا إلى الله ، لم يكن لدخول (في) في الكلام في هذا الموضع وجه معروف ، ولكان التنزيل (إلا مودة القربى) إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله » (١) .

على أن مسألة « القرابة » وحدها ليست مبرراً كافياً لمزاعم الشيعة عند غيرهم

(١) تفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٧ ط بولاق .

من الطوائف الإسلامية ، وقد حدثنا ابن قتيبة أن المأمون قال يوماً لعلی بن موسى الرضى : « بم تدعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة علی من النبی وبقربة فاطمة . فقال المأمون : إن لم يكن ها هنا شيء إلا القرابة ففيه من هو أقرب إليه من علی ومن هو في القرابة مثله ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلی في هذا الأمر حق وهما حيّان ، وإذا كان الأمر على ذلك فإن علیاً قد ابتزها جميعاً وهما حيّان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحر علی بن موسى نطقاً^(١) . »

ومهما يكن من شيء فقد أغفل مؤثر السقيفة هذه القرابة ، وأسقطها من حسابه ، ولم يثرها أحد من المؤثرين أنصاراً كانوا أم مهاجرين ، وكانت فرصة لأبي سفيان فرغ عقبرته منادياً : « أين الأذلان علی والعباس^(٢) ؟ »

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ وما بعدها ط الدار .

(٢) حدثنا الطبري قال : « قال أبو سفيان لعلی : ما بال هذا الأمر في أقل حى من قریش ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالا ، قال فقال علی يا أبا سفيان : طال ما عادت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً . »

وفي رواية أخرى يقول ابن جرير : « لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله أنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم آل عبدمناف ، فيما أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان علی والعباس ؟ وقال : أبا حسن أبسط يدك حتى أبابعك ، فأبى علی عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلصص :

ولن يقيم علی خسف يراد به إلا الأذلان غير الحمى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته وذو يشج فلا يبكي له أحد

قال فزجره علی ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طال ما بغيت الإسلام شراً ، لا حاجة لنا في نصيحتك » الطبري : ج ٣ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ط الحسينية .
وفي شرح التهج :

« لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه ، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذى فيه علی بن أبي طالب عليه السلام ، فوقف وأنشد :

بى هاشم لا تطعموا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علی
أبا حسن فاشدد بها كف حازم فأفك بالأمر الذى يرتجى ملى
وأى امرئ يرمى قصياً ورأبها منيع الحمى والناس من غالب قصى

فقال علی لأبي سفيان : إنك تريد أمراً لسننا من أصحابه ، وقد عهد لى رسول الله صلى الله =

وبإمامة أبي بكر ، وبامتناع سعد بن عباد عن مبايعته حتى قضى ، وبتسكؤ على شيعته ، يذكيه تعصب فاطمة^(١) وخصوصتها لأبي بكر ، ابتداءً المسلمون تتباين آراؤهم في ماهية هذا المنصب ، وفي صحة إمامة أبي بكر أو بطلانها ، ثم في أحقية عمر وعثمان في الخلافة ، وفي موقف عليّ وزوجه وأنصاره . وقد بدأ هذا الخلاف ضعيفاً ثم أخذ سبيله في القوة والعنف مسلحاً بالسيف ، كما بدأ دينياً ، ثم تطور سريعاً إلى أن صار سياسياً عنيفاً ، وقد كان أول نتاجه أن أودى بحياة الخليفة السيئ الطالع عثمان ، الذي كان قتله فصلاً من فصول هذا الخلاف المتسق الحلقات ، وقد زاده سعيراً واشتعالاً ما بثّه ابن السوداء عبد الله بن سبأ في نفوس الجماهير ، فصبغ تاريخ الخلافة الإسلامية بلون أحمر بما أشاع على جوانبها من دماء .

عليه وآله عهداً فأنا عليه ، فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله ، فقال يا أبا الفضل : أنت لها أهل وأحق بميراث ابن أخيك ، امدد يدك لأبيك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك ، فضحك العباس وقال : يا أبا سفيان ، يدفعها علي ويطلبها العباس ، فرجع أبو سفيان خائباً « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٧ .

(١) في شرح النهج : « أن علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصره وتسألهم فاطمة الانتصار له ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ، ما عدلنا به ، فقال علي : أ كنت أنرك رسول الله ميتاً في بيته لا أجهزه ، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه ؟ ! وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما الله حسبه عليه « ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٥ .

وفي الطبري : « إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فديك وسهمه من خير . فقال لهما أبو بكر : أما إني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ، وإني والله لا أدع أراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته ، قال فهجرت فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى مات ، فدفعها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر ، وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة ، انصرفت وجوه الناس عن علي . فكثرت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفيت ، قال معمر فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه على ستة أشهر ؟ قال لا ، ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي ، فلما رأى على انصراف وجوه الناس عنه ، ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، الطبري ح ٣ ص ٢٠٢ ط الحسينية ، وانظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ح ١ ص ١٥٦ ط الحسينية بالقاهرة ، وكذلك « تمة المختصر » أو تاريخ ابن الوردي ح ١ ص ٤١ : ط الوهية بالقاهرة .

الإمامة عند الفرق الإسلامية

يخلع السادة الفقهاء لقب « الإمام » على رأس الجماعة الإسلامية ويسمى عادة بالخليفة » ، وهو زعيم ديني وديني ، ويطلق على هذا المنصب اسم « الإمامة الكبرى » تمييزاً له عن « الإمامة الصغرى » وهي وظيفة من يؤم الناس في الصلاة . وسنعرض هنا لهذا المنصب وطريق ثبوته وشروط القائم به من وجهة نظر أهل السنة والخوارج والشيعة .

الإمامة عند أهل السنة :

يحدثنا الإيجي — عضد الدين صاحب المواقف ^(١) — أن الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد ، بل هي عند أهل السنة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين ، وهي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص ، وهي واجبة سماعاً لتواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول ، بعد وفاة الرسول على امتناع خلو الوقت عن إمام ، حتى قال أبو بكر في خطبته : « ألا إن محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به » . فبادر الكل إلى قبوله ، ولما في الإمامة من دفع ضرر مظنون ، وهو واجب إجماعاً ؛ قال الإيجي :

« بيانه أننا نعلم علماً يقارب الضرورة أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمنالكات والجهاد والحدود والمقاصات ، وإظهار شعار الشرع في الأعياد والجمعات ، إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشاً ومعاداً ؛ وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع ، يرجعون إليه فيما يعنّ لهم ، فإنهم — مع اختلاف الأهواء ، وتشدت الآراء وما بينهم من الشحناء — قلما ينقاد بعضهم لبعض ، فيفضي ذلك إلى التنازع

(١) المواقف ص ٣٩٥ وما بعدها ط مطبعة العلوم عام ١٣٥٧ هـ .

والتواثب ، و ربما أَدَّى إلى هلاكهم جميعاً ، ويشهد له التجربة والفتن القائمة عند موت الولاية إلى نصب آخر^(١) .

وثبتت الإمامة عند أهل السنة بالنص من الإمام السابق ، و ببيعة أهل الحل والعقد . ولا بد في القائم بها من شروط تؤهل لهذا المنصب فاشتروا أن يكون^(٢) :
١ - عالماً بأحكام الله منفذاً لها ، مجتهداً في علمه ، لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال .

٢ - عادلاً ؛ لأن الإمامة منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي اشترطت فيها العدالة ، فكانت العدالة بذلك أولى باشتراطها في الإمام .

٣ - كفئاً ؛ أي جريئاً في إقامة الحدود واقتحام الحدود ، والقوة على معاناة السياسة ؛ لكي يصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين ، وجهاد العدو ، وإقامة الأحكام وتدبير المصالح .

٤ - سويّاً في خلقه : سليم الخواص والأعضاء من النقص والتعطيل كالجنون والعمى والصمم والخرس وفقدان كلتا يديه أو قدميه ، فلا بد للإمام من السلامة منها جميعاً لتأثير ذلك في تمام عمله . أما إذا كان النقص يشين منظره فقط كفقد إحدى عينيه أو إحدى يديه أو قدميه ، فشرط السلامة منه شرط كمال .

يقول صلاح الدين الصفدي :

« الإمام لا يجوز أن يكون أعمى ؛ قال الرافعي رحمه الله تعالى : وينعزل بالعمى والصمم والخرس ، ولا ينعزل بتمتمة اللسان ، ولا ثقل السمع .

» وقال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى في شروط الإمامة : وهي كونه مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً عالماً مجتهداً شجاعاً ذا رأى وكفاية سمياً بصيراً ناطقاً قرشياً .

» وقال ، قال الماوردي : عشا العين لا يمنع انعقاد الإمامة ؛ لأنه مرض في زمن

(١) المواقف ص ٣٩٦ .

(٢) أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٩٤ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

الاستراحة ويُرجى زواله ، وضعف البصر إن كان يمنع معرفة الأشخاص ، منع انعقاد الإمامة واستدامتها وإلا فلا .

« قلت [الصفدى] : . ولهذا كان بنو بويه وغيرهم إذا خلعوا الخليفة سملوه حتى لا يعود تُرجى له الخلافة ، ولا انعقاد الإمامة ، كما فعل بأمر المؤمنين المتقى إبراهيم بن جعفر ، وبأمر المؤمنين المستكفي بالله عبد الله بن علي ، وبأمر المؤمنين الطائع عبد الكريم بن الفضل ، وبأمر المؤمنين القاهر محمد بن أحمد ، وكما فعل الإمام الناصر بابنه الإمام الظاهر محمد بن أحمد ، وحاول من فساد بصره ولم يقدره الله تعالى ^(١) » .

وهناك شرط خامس تنوزع فيه ، وهو كون الإمام « قرشياً » فقال به بعض العلماء لما ورد عن الرسول أنه قال : « الأئمة من قريش » ، ولاحتجاج أبي بكر بذلك على الأنصار وحجّهم ، وأنكره آخرون كالتقاضي أبي بكر الباقلاني ^(٢) .
والمؤرخ الاجتماعي الكبير العلامة ابن خلدون حديث في هذا الصدد لم يسبق إليه ؛ إذ يقول :

« ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ، ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور ، وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا ، لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت ، فلا بد إذاً من المصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة من مشروعيتهما ، وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبة التي تكون بها الحماية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب ، فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها ؛ وذلك أن قريشاً كانوا أنف مضر وأصلهم وأهل القلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبة والشرف ، فكان

(١) نسكت الهيمان في نسكت العيمان ص ٥٦ ط الطبعة الجمالية عام ١٩١١ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ ط بولاق .

سائر العرب يعترف لهم بذلك ، ويستكينون لغلبيهم ، فلو جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره ، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة ، والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم ، لتحصل اللحمة والعصبة وتحسن الحماية ، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش ؛ لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراود منهم ، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة ؛ لأنهم كفيلون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها ، فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب ، وهم أهل العصبة القوية ، ليكون أبلغ في انتظام الملة وانفاق الكلمة ، وإذا انتظمت كلمتهم ، انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع ، فأذن لهم سائر العرب ، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ، ووطئت جنودهم قاصية البلاد» (١)

وطاعة الإمام عند أهل السنة واجبة على الرعية لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، بيد أنها مقيدة بطاعة الإمام نفسه لله ، فإن حاد قومٌ فإن تمادى عُزل ، وقد قال الإمام الأول أبو بكر في خطبته الأولى التي تعد دستوراً لسياسته :

« أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (٢) .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ط الحسينية .

الإمامة عند الخوارج :

هى عندهم صالحة لأى إنسان يُحسن القيام بها ، عالمًا بالكتاب والسنة منفذاً لأحكامهما ، وإن لم يكن على النسب ، سواء فى ذلك القرشى والعجمى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و « كلّكم من آدم وآدم من تراب » ، « ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، و « اسمعوا وأطيعوا ولو وُلّى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » ، و « سلمان منا أهل البيت » ، وقد قال عمر بن الخطاب فى شكاته التى مات فيها : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيّاً استخلفته » ^(١).

لهذا كله وتلك الروح الديمقراطية التى هى من وحى الإسلام الحق ، بايعت الخوارج أناساً ليسوا من قريش ، واعتبروهم أئمة كمنافع بن الأزرق وقطرى بن الفجاءة وغيرهما ^(٢).

أما « النجيدات » ^(٣) منهم فلم تعترف بالإمامة أصلاً ، ورأت أن الأمة ليست فى حاجة إلى إمام ؛ لأن نصيبه يثير الفتنة ؛ فالأهواء مختلفة وقد يدعى كل قوم إمامة شخص وصلاحه لها دون الآخر ، فيقع التشاجر والتناجز ، والتجربة شاهدة بذلك ، وعلى الناس أن تقيم كتاب الله فيما بينهم وهو حسبهم ، قال الشهرستاني : « وأجمعت النجيدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز » ^(٤).

الإمامة عند الشيعة :

رأينا من هذا العرض أن « الإمامة » عند أهل السنة اسيت من أصول الدين ، وهى عند الخوارج ليست بذات خطر ، أما فى الإسلام الشيعى فهى كل شيء ،

(١) أنظر الطبرى ٥ ص ٣٤ ، وابن الأثير ٣ ص ٢٥ .

(٢) أنظر أصول الدين لعبد القاهر البغدادي ١ ص ٢٧٥ ط استانبول .

(٣) النجيدات إحدى فرق الخوارج وهى منسوبة إلى زعيمهم نجدة بن عامر .

(٤) الملل والنحل ١ ص ١٦٧ ، ص ١٦٨ على هامش « الفصل » لابن حزم ط المطبعة

الأدبية عام ١٣١٧ هـ .

وهى قطب الرضى فى معتقداته ، مفلسفة كل التفلسف معقدة كل التعقيد ، ومع ذلك فهى تيمت العقل وتشل التفكير .

جاء فى « النهج » : « لما سمع (أى على) قولهم (أى الخوارج) لا حكم إلا لله ، قال عليه السلام : كلمة حق يراد بها الباطل . نعم لا حكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله . وإنه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر ، يعمل فى أمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويُبَلِّغ الله فيها الأجل ، ويجمع به النىء ، ويُقاتل به العدو ، وتأمّن به السبل ، ويؤخذ للضعيف من القوى حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر » .

قال ابن أبي الحديد — شارح النهج وهو من معتدلى الشيعة — « هذا نص صريح منه (أى من على) عليه السلام بأن الإمامة واجبة » ^(١) .

ويحدثنا المجلسى — العالم المتشيع المتوفى عام ١٧٠٠ م — فى كتابه « حياة القلوب » حديثاً عن الإمامة طريفاً حيث يقول :

« الإمام لغة : المقتدى به ، ومعناه فى اصطلاح الفرقة الناجية فى باب الصلاة غالباً من يؤمها ، أما فى علم الكلام ، فالمراد بالإمام هو الشخص المعين من الله للخلافة ، ونيابة حضرة صاحب الرسالة ، وقد يطلق فى بعض الأحوال على النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وتدل بعض الأخبار المتيسرة التى سنذكرها فيما بعد إن شاء الله ، أن مرتبة الإمامة أعلى حتى من مرتبة النبوة ؛ فإن الله تعالى بعد أن أعطى النبوة لإبراهيم خاطبه بقوله (إني جاعلك للناس إماما) ^(٢) ١١ »

والمجلسى كمشيع يوجب على الله نصب الإمام لحفظ الشريعة من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ؛ فأيات القرآن مجملة ، وأكثر الأحكام غير معلوم من ظاهر القرآن ، لذلك وجب وجود مفسر من جانب الله لاستنباط الأحكام من الله فالإمامة لطف من الله ، واللطف واجب عليه ؛ لأنه لا يفعل إلا الأصلح لعباده ^(٣) .

(١) شرح النهج مجلد ١ ص ٢٠٥

(٢) عقيدة الشيعة لمؤلفه « دوايت دونلدسن » Doneldson ص ٣٠٤ نشر مكتبة

الخانجي بالقاهرة . (٣) الشيعة فى الأصول معتزلة وفى الفروع أحناف .

وهكذا نرى أن الإمامة عند الشيعة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، لا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم .

حدثنا الشيخ أبو جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكليني — المتوفى عام ٣٢٨هـ — في كتابه « الكافي » — بخارى الشيعة — نقلاً عن الإمام الرضا قال : « إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ، ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسين ، إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين ، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي ؛ بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفاء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع النغور والأطراف . . . الخ ^(١) » .

فالإمام في الإسلام الشيعي هو الرئيس الأوحد من الوجهتين الدينية والدينية ، وقد تلقى إمامته مباشرة من الله ، لا كذلك الذي يتقلد السلطة عن طريق اختيار المسلمين ، وبحق ما يقوله الأب لامنس Lammens من أن الخليفة عند السنة هو رئيس السلطة الزمنية فحسب ، فهو مجرد من كل سلطة تتعلق بالعقيدة ، وليس الخليفة سوى حامى الشريعة والذائد عن حياض الإسلام ، وهو لا يشبه الإمام عند الشيعة الذى هو حبرها الأكبر ومعلمها المعصوم ، وهو ليس خليفة محمد الزمنى فحسب ، بل وارث مركزه والمنصوص عليه منه ومفسر وحيه ، وهو بكلمة مختصرة الزعيم الدينى والدينى ، ومركزه أسمى من مركز البابا فى الكنيسة الكاثوليكية ؛ إذ يمتاز فضلاً عن العصمة بالتنزيه ، والنصب من الله ، فهو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة الله .

وتؤثر الشيعة لقب « الإمام » على « الخليفة » لما يدل عليه الأول عندهم من معنى لا يلحظونه فى الثانى ، وأمامهم ليس من عامة الناس وأفئدتهم ، بل هو عربى

(١) الكافي للكليني ١ ص ٩٦ و ٩٧ ط طهران عام ١٢٨١ هـ .

قرشى هاشمى ؛ جاء فى (النهج) : « إن الأئمة من قریش غرسوا فى هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم » ^(١) ، ومن الشيعة من حجّر هذا الواسع بعض الشيء فقصرها على ولد فاطمة .

والإمام فى الإسلام الشيعى يُوحى إليه كالأنبياء والرسل ؛ جاء فى (السكافى) : « كتب الحسن بن العباس المعروف إلى الرضى : جُعِلْتُ فداك ، أخبرنى ما الفرق بين الرسول والإمام والنبي ؟ فكتب أو قال : الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص » ^(٢) . ومن هنا جاءت عصمة الإمام عند الشيعة ، فهو عندهم معصوم من الكبائر والصغائر بيد أن له التقية ، وقال غلاتهم : لا بد من ظهور المعجزة على يديه ليُعلم صدقه فى دعوى الإمامة ، ولا غرو فالإيمان به عندهم جزء من الإيمان ؛ جاء فى (السكافى) :

« عن أبي حمزة قال لى أبو جعفر : إنما يعبد الله من يعرف الله ، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً . قلت : جُعِلْتُ فداك فما معرفة الله ؟ قال : تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاته على الائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ، هكذا يُعرف الله ^(٣) » ، « ومن لا يعرف الله عز وجل ويعرف الإمام من أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله » ^(٤) ، « وقال أبو جعفر : إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له ، أصبح ضالاً تائهاً ، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق » ^(٥) .

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٢ ص ٤٢١ .

(٢) السكافى ج ١ ص ٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥ .

(٥) السكافى ج ١ ص ٨٦ .

وإمام الشيعة الأول هو « علي بن أبي طالب » قد اختاره النبي وعيّنه صراحة ليخلفه بعد موته ، وذلك بنص أعلن عند غدير « خُم » « من كنت مولاه فعليّ مولاه » قال السكيت في « هاشمياته ^(١) » :

ويومَ الدَّوحِ دوح غدير خُمٍ أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها فلم أر مثلهما خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكن أساء بذاك أولهم صنيعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترّة وكان لهم قريبا
وفي هذا الصدد أيضاً يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمي ^(٢) :

وقائل لي « عليّ » كان وارثه بالنص منه فهل أعطوه أم منعوا ؟
فقلتُ كانت هنأتُ لست أذكرها يجزى بها الله أقواماً بما صنعوا
واسألهم يوم « خُم » بعد ما عقدوا له الولاية لمْ خاوا ولمْ خلعوا ؟
وخُمٌ هذا موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة ؛ قال صاحب القاموس :
« وخُمٌ بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف بمكة ، وغدير خُمٌ موضع على
ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين » .

وقال الوزير أبو عبيد الله البكري الأونبي في معجمه « معجم ما استعجم ^(٣) » :
« وغدير خُمٌ على ثلاثة أميال من الجحفة بَسْرَةً عن الطريق ، وهذا الغدير
نصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ملتف ، وهي الغيضة التي تسمى « خُم » وبين
الغدير والعين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك نخلُ ابن المعلّى وغيره ،
وبغدير خُمٌ قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ : (من كنت مولاه فعليّ مولاه ،
الهم والٍ من والاه ، وعادٍ من عاداه) ، وذلك منصرفه من حجة الوداع ، ولذلك
قال بعض الشيعة :

(١) الهاشميات ص ٨١ و ص ٨٢ طبع الرافعي

(٢) ديوان مهيار ص ٢ ص ١٨٣ ط الدار .

(٣) معجم ما استعجم للبكري ص ٢ ص ٣٦٨ ط القاهرة .

ويوماً بالغدير غدير خُمَّ أبان له الولاية لو أطيعا
ويقول البكري أيضاً في موضع آخر من معجمه :
« قال السكوني : موضع الغدير ، غدير خُمَّ ، يقال له الخَرَّار ، وقال النصيب :
وقالت بالغدير غدير خُمَّ أخى إلى متى هذا الركوب ؟
ألم ترأني ما دمت فينا أنام ، ولا أنام إذا تغيب ؟
وقال الزبير : عن الأثرم عن أبي عبيدة ، خُمَّ : بئر احتفها عبد شمس بالبطحاء
بعد بئر العَجُول ، قال : ومن حفائره أيضاً زُمَّ ، وفي ذلك يقول :
حَفَرْتُ خُخًا وحَفَرْتُ زُمًا حتى ترى المجد لنا قد تَمَّا
خُمَّ : عند ردم بنى جُحج ، وزُمَّ : عند دار خديجة بنت خويلد ^(١) .
والشيعة تزعم أن النبي ، عند عودته من مكة بعد حجة الوداع ، وقف في هذا
الموضع وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب ورشحه بعده للأمامة قائلاً : « على مني
كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ،
واخذل من خذله ^(٢) » .
قال القلقشندي :

« قد ابتدعت الشيعة عيداً ثالثاً وسموه عيد الغدير ، وسبب اتخاذهم له ، مؤاخاة
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه يوم غدير خم . وهو غدير على ثلاثة أميال
عند الجحفة بَسْرَة ^(٣) الطريق ، نصب فيه عين ، وحوله شجر كثير ، وهي الفيضة
التي تسمى خُخًا ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما رجع من حجة الوداع
نزل بالغدير ، وأخى بين الصحابة ، ولم يواخ بين علي وبين أحد منهم ، فرأى النبي
صلى الله عليه وسلم منه انكساراً ، فضمه إليه وقال : « أما ترضى أن تكون مني
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ » والنفت إلى أصحابه وقال : « من

(١) معجم ما استعجم - ٢ ص ٥١٠ .

(٢) أنظر الشهرستاني - ١ ص ٢٢٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٣) في نهاية الأرب للنويري - ١ ص ١٨٤ : « بسرة الطريق » .

كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة ، والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال ، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق العبيد ، وذبح الأغنام ، وإلحاق الأجانب بالأهل في الإكرام ، والشعراء والمترسلون يهنتون الكبراء منهم بهذا العيد^(١) .

وابن واضح اليعقوبى ، وهو مؤرخ متشيع ، يحدثنا حديث الغدير ؛ فيقول : « وخرج صلى الله عليه وسلم ليلاً منصرفاً إلى المدينة ، فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له (غدير خم) ؛ لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، وقام خطيباً وأخذ بيد على بن أبى طالب عليه السلام فقال : أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاة فعلى مولاة ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(٢) . » الخ

ويقص علينا الملائ محمد باقر المجلسى — أحد أعلام الشيعة في القرن السابع عشر — خلاصة لهذا الحدث ذى الأهمية البالغة في الإسلام الشيعى ، فيقول : « لما انقضت مناسك الحج ، قفل النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً من مكة إلى المدينة ومعه على عليه السلام والمسلمون ، فلما بلغ غدير خم نزل هناك ، وهو مكان لم يكن نزول المسافرين متعارفاً فيه ، والسبب في نزوله هناك ، ما أنزل عليه من القرآن بلزوم نصب على عليه السلام خليفة من بعده .. ١ ، وقد أنزل ذلك عليه عدة مرات ... ! ، غير أن الوقت لم يُعَيَّن لتبليغه ، وقد أضر ذلك خشية اعتراض الناس ، ولو جاوز ذلك المسكان ، أى غدير خم ، لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة ناحية ، فأمر محمد صلى الله عليه وسلم الناس بالاجتماع ليقول لعلى عليه السلام ما يجب أن يبلغهم جميعاً ، وقد أنزل الله عليه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن يبلغهم جميعاً ، وقد أنزل الله عليه »

(١) أنظر صبح الأعشى - ٢ ص ٤٠٧ ط الدار .

(٢) تاريخ اليعقوبى - ٢ ص ٩٣ ط النجف بالمراق عام ١٣٥٨ هـ ، وانظر أيضاً ابن كثير ،

البداية والنهاية - ٧ ص ٣٤٦ ط السعادة بالقاهرة .

لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ، وكان لذلك الأمر بنصب على عليه السلام خليفة ، أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في ذلك المكان ، وكان الهواء في غاية الحرارة ، والمكان مملوئاً بالأشواك ، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وأمر الرسول أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل ، فلما نصب له واجتمع الناس ، ارتقى محمد صلى الله عليه وسلم المنبر ، ودعا عليّاً إلى يمينه ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أخبر الناس بدنو أجله قائلاً : ولقد دُعيت إلى ربي وإني محبب ، وإني مفادركم من هذه الدنيا ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيتي — ثم قال : أأست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : نعم ، فأخذ بيد عليّ عليه السلام ورفعها حتى بان بياض إبطه وقال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، فلما نزل النبي من على المنبر ، صلى صلاة الظهر ، ثم ذهب إلى خيمته ، وأمر بنصب خيمة بجانب خيمته لأمر المؤمنين ، فجلس عليّ في خيمته ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يبايعوه بالإمامة ، ويسلموا عليه بأمر المؤمنين ، ففعلوا نساء ورجالاً ، وسُرَّ عمر بذلك مثل غيره ^(١) . . . » !!

وقد نظم شاعر الشيعة السيد الحميري ، حادثة خيم هذه في قصيدة ضافية ، قال فيها ^(٢) :

عجبتُ من قوم أتوا أحداً بخُطةٍ ليس لها موضعُ
قالوا له لو شئتُ أعلمتُنا إلى من الغاية والمفزعُ
إذا توفيتَ وفارقتنا وفيهم في الملك من يطمع
فقال لو أعلمتكم مفزعاً كنتم عسى فيه أن تصنعوا
كصنع أهل العجل إذ فارقوا هارونَ فالتركُّ له أروع

(١) عقيدة الشيعة لدونلدسن ص ٢٥ وما بعدها وقد نقل هو عن حياة القلوب للمجلسي ص ٢٨ ص ٣٣٩

(٢) انظر تفسير الألوسي شهاب الدين (روح المعاني) ص ٢ ص ٣٤٩ ط بولاق ، وانظر أيضاً

ضحى الإسلام لأحمد أمين ص ٣ ص ٣٠٩ وما بعدها .

ثم أتته بعده عزمة من ربه ليس لها مدفع
أبلغ وإلا لم تكن مُبْلَغاً والله منهم عاصم يمنع
فعلها قام النبي الذي كان بما يأمره يصدع
يخطب مأموراً وفي كفه كَفٌّ على نورها يلمع
رافعها أكرم بكف الذي يرفع والكف التي ترفع
من كنت مولاه فهذا له مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
وظل قوم غاظمهم قوله كأنما آنا فهم تُجَدِّع
حتى إذا واروه في الحده وانصرفوا عن دفعه ضيعوا
ما قال بالأمس وأوصى به واشتروا الضر بما ينفع
وقطعوا أرحامهم بعده فسوف يجزون بما قطعوا
وأزمعوا مكرأ بمولاهم تباً لما كانوا به أزمعوا
لاهم عليه يردوا حوضه غداً ولا هو لهم يشفع

والحق أننا لا ندرى من أى مصدر موثوق به استقى المتشيعون هذه الحادثة ،
التي لم تروها كتب التاريخ المعتمدة ، والتي لو وقعت حقاً — كما يزعمون — أمام هاته
الآلاف من الناس ، لتحدث بها كل لسان ، ولما أجمع المؤرخون النقائ على إغفالها
وإسقاطها ، ولكانت نصاً صريحاً من النبي بخلافة علي من بعده ، فتكون بذلك
حداً فيصلاً حاسماً في هذا الأمر ، فلا يكاد يختلف فيه بعد وفاة صاحبه اثنان ١٩

وابن أبي الحديد — وهو متشيع — ينكر وجود نص من النبي بإمامة أحد
من بعده ، علياً كان أو غيره ، ويقول : لو كان هناك نص لاحتج به أبو بكر على
الأنصار لو كان بعينه ، أو لاحتج به علي على أبي بكر لو أنه عثر عليه ، ولكن ذلك
من أكبر حججه ؛ ففي شرح النهج :

« ولقد قال أبو عبيدة لعلّي ، لما امتنع عن المبايعه : يا أبا الحسن إنك حديث
السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى

أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له واضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر وارض به ، فإنك إن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليف و به حقيق ، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك .

« فقال على : يا معشر المهاجرين ، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ؟ والله إنه لفيينا ، فلا تتبعوا الهوى فتردادوا من الحق بعداً .

« فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا على قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا » .

قال ابن أبي الحديد :

« وانصرف على إلى منزله ولم يبايع ، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع . قلت (ابن أبي الحديد) : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ، ولم يجز للنص ذكر ، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين ، أو على أبي بكر ، لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر ؛ فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، يدل على أنه (على) قد كان كشفهم ، وهتك القناع بينه وبينهم ، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه وظلمه ؟ وتمنع من طاعتهم وأسمهم من الكلام أشده وأغلظه ؟ فلو كان هناك نص لذكره ، أو ذكره بعض من كان من شيعته وحزبه لأنه لا عطر بعد عروس^(١) » .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد المجلد ٢ ص ٥ ط القاهرة ، وانظر أيضاً ابن كثير : البداية والنهاية ٢ ص ٢٠٢ .

نعم لا عطر بعد عروس ، فلو صحت حادثة الغدير هذه ، لاحتج بها على ما في ذلك شك ، وأهل السنة ينكرون وجود علي يوم الغدير ، كما ينكرون بحق نصوص^(١) الشيعة وأحاديثهم . وقد قال في حقها المؤرخ العلامة ابن خلدون :

« لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع ، أو مطعون في طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة^(٢) » .

وقال العلامة ابن حزم : « وأما من كنت مولاه فعلي مولاه ، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً ، وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة ، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها^(٣) » .

على أن نفس النص الذي أورده الشيعة — على فرض صحته — لا يفيد مدعاهم ؛ قال الإمام أبو بكر بن الباقلاني في كتابه « التمهيد » :

« أما معنى مولى فإنه ينصرف على وجوه : فمنها المولى بمعنى الناصر ، ومنها المولى بمعنى ابن العم ، ومنها المولى بمعنى الموالى الحب ، ومنها المولى بمعنى المسكان والقرار ، ومنها المولى بمعنى الملتق المالك للولاء ، ومنها المولى بمعنى المعق الذي مُلك ولاؤه ، ومنها المولى بمعنى الجار ، ومنها المولى بمعنى الصهر ، ومنها المولى بمعنى الحليف ؛ فهذا جميع ما يحتمله قوله مولى . وليس من معنى هذه اللفظة أن المولى إمام واجب الطاعة .

« قال الله تعالى في المولى بمعنى الناصر : « وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » يعنى ناصره ، وقال الأخطل :

فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرى قریش أن تُهاب وتُحمدا

(١) أنظر ما كتبه العلامة ابن حزم في هذا الصدد في كتابه « الفصل » ح ٤ ص ٩٦ وما بعدها ط مطبعة التمدن .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٩٦ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ ، وانظر أيضاً تفسير الألويسى ح ٢ ص ٣٤٩ وما بعدها ط بولاق .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ح ٤ ص ١٤٨ .

أى فأصبحت ناصرها وحامى ذمارها . وأما المولى بمعنى ابن العم فمشهور ؛ قال الله تعالى : « وإنى خفتُ الموالى من ورأى » يعنى بنى العم ، وقال الفضل ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب يخاطب بنى أمية :

مهلاً بنى عمنا مهلاً موالينا لا تذببتوا بيننا ما كان مدفونا
لا نحسبوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أننا لا نحبكم ولا نلوكمم إلا نحبونا

« وأما المولى بمعنى المعتق والمعتق ، فأظهر من أن يكشف ؛ يقال : فلان مولى فلان يعنى معتقه ومالك ولانه ، وفلان مولى لفلان يراد به معتق له . وأما المولى بمعنى الموالى الحب فظاهر فى اللغة ؛ يقال فلان مولى فلان أى محب له وولى له ؛ وقد روى فى قول النبى صلى الله عليه : « مَزِينَةُ وَجْهِيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ » أى مُحِبُّونَ مَوَالِيَهُمْ . وأما المولى بمعنى الجار فعروف فى اللغة ؛ قال مِرْبَعُ بْنُ دَعْدَةَ ، وكان جاور كَلَيْبَ بْنَ يَرْبُوعَ فَأَحْسَنُوا جَوَارَهُ :

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه كَلَيْبَ بْنَ يَرْبُوعَ وَزَادَهُمْ حَدّاً
هُمْ خَلَطُونَا بِالْأَنْفُسِ وَالْجُورِ إِلَى نَصْرِ مَوْلَاهُمْ مُسَوِّمَةً جُرْداً

أى إلى نصر جارهم . وأما المولى بمعنى الصّهر فعروف أيضاً ؛ قال أبو الخطاب يزيد بن قيس الكلّابى فى ظلامته إلى عمر فى أمرائه :

فلا تنسينَّ النافعين كليهما وهذا الذى فى الشوق مولى بنى بدر

وكان الرجل صهراً لبنى بدر . وأما المولى بمعنى الحليف فذكر أيضاً ؛

قال بعض الشعراء :

مَوَالِي حِلْفٍ لِمَوَالِي قَرَابَةٍ وَلَكِنْ قَطِينَا يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا

« فأما ما قصد به النبى صلى الله عليه بقوله : « من كنتُ مولاهُ فعلىّ مولاهُ »

فإنه يحتمل أمرين ، أحدهما : من كنتُ ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهرى وباطنى وسرى وعلائيقى ، فعلىّ ناصره على هذا السبيل ؛ فتكون فائدة ذلك الإخبار

عن أن باطن على وظاهره في نصرة الدين والمؤمنين سواءً ، والقطع على سريره وعلو رتبته ، وليس يُعتقد ذلك في كل ناصر المؤمنين بظاهره ؛ لأنه قد ينصُر الناصر بظاهره ، طلبَ النفاق والسمة وابتغاء الرُقْد ومتاع الدنيا ؛ فإذا أخبر النبي صلى الله عليه أن نصرة بعض المؤمنين في الدين والمسلمين كنُصْرته هو ، صلى الله عليه ، قُطع على طهارة سريره وسلامة باطنه ؛ وهذه فضيلة عظيمة .

« ويُحتمل أيضاً أن يكون المراد بقوله : « فن كنتُ مولاه فعلى مولاه » أى من كنتُ محبوباً عنده وولياً له على ظاهرى وباطنى ، فعلى مولاه ، أى إن ولاده ومحبه من ظاهره وباطنه واجب ، كما أن ولأئى ومحبتى على هذا السبيل واجب ، فيكون قد أوجب موالاته على ظاهره وباطنه ؛ ولسنا نوالى كل من ظهر منه الإيمان على هذه السبيل ، بل إنما نوالهم في الظاهر دون الباطن ^(١) » .

وأما الأبيات التي رواها لنا ابن الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى في كتابه « ألف با ^(٢) » والتي يقول فيها علىٌ معدداً مفاخره :

محمد النبي أخى وصهرى وحزة سيد الشهداء عى
وبنت محمد بيتى وعرسى منوط لهما بدمى ولجى
وسبطا أحمد ولداى منها فأيكُم له سهم كسهمى ؟
وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمى
سبقتكُم إلى الإسلام طفلاً صغيراً ما بلغت أوان حلمى
وأوجب لى الولا حقاً عليكم رسولُ الله يوم غدیر خم

أقول أما هذه الأبيات فأكبر الظن أنها ليست لعلى وإنما هى لبلوى ، وإن صحَّ إسناد الأبيات الأولى لابن أبى طالب ، فالبيت الأخير — بيت التقصيد — منحول عليه مافى ذلك ريب ، يؤيدنا فى ذلك ياقوت الحموى حينما حدثنا فى معجمه

(١) التمهيد للقاضى أبى بكر الباقلانى ص ١٧١ وما بعدها ط القاهرة ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة الألوسى الكبير فى تفسيره فى هذا الصدد ص ٢ ص ٣٥٠ وما بعدها ط بولاق .
(٢) ألف با ص ١ ص ٤٣٩ ط القاهرة .

— معجم الأدباء ^(١) — حديث هذه الآيات ؛ إذ لم يرو هذا البيت الأخير المنحول وكذلك فعل ابن كثير ^(٢) .

وأهل السنة يحترمون عليًا ويعتبرونه — دون مساس بمقوق أسلافه في الخلافة — رجالاً ذا فضائل ومعارف تفوق المؤلف ، وهو « رباني هذه الأمة » كما لقبه بذلك الحسن البصري ، بيد أن الشيعة لم ترضهم هذه المرتبة المتواضعة ، فرفعه المعتدلون منهم إلى أخرى ، لا يدانيه فيها أحد ، حيث قالوا إن النبي قد بثه علوماً كان يخفيها عن جمهور صحابته ؛ لأنهم لم يكونوا لها أهلاً ، وإن كان عليٌ نفسه ينكر ذلك ؛ ففي مسند أحمد : « عن مخارق عن طارق (يعني ابن شهاب) قال سمعت علياً يقول : ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا ما في القرآن وما في هذه الصحيفة (صحيفة كانت في قراب سيف كان عليه ، حليته حديد) ، أخذتها من رسول الله ، فيها فرائض الصدقة » .

وأكبر الظن أن عليًا قد رمى بذلك حال حياته حتى لينكره أشد الإنكار ، على أننا بذلك نجد مزاعم الشيعة تصعد بذورها إلى العصر الإسلامي الأول ، وفي هذا الصدد نجد أيضاً شخصيتين كبيرتين — صحابياً وتابعياً — هما ابن عباس وابن الحنفية ، من ولد عليٍّ ، يُسألان عن ذلك ، فيؤكدان أن النبي لم يترك سوى القرآن ؛ ففي « الجامع الصحيح » لحمد بن إسماعيل البخاري الجمعي :

« حدثنا قتيبة بن سعد ، حدثنا سفيان (يعني ابن عيينة) عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد بن معقل : أترك النبي من شيء ؟ (زاد الإسماعيلي سوى القرآن) قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ، قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين » .

وقد زعمت الصوفية هذا الزعم نفسه في الصحابي « حذيفة بن اليمان » الذي

(١) معجم الأدباء > ١٤ ص ٤٨ ط دار المأمون .

(٢) البداية والنهاية > ٨ ص ٨ .

يشغل في حياتهم ما يشغله عليّ عند شيعته ، وقد وصفه الخطيب البغدادي بأنه :
« كان صاحب سرّ رسول الله ؛ لقر به منه وثقته به وعلوّ منزلته عنده ^(١) » ، ولكننا
مع ذلك نجد أن عليّاً قد أربى فزاحم حذيفة لدى الصوفية ، حتى ليقول ابن الفارض
في « تائيته الكبرى » :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً عليّ بعلم ناله بالوصية
وقد قالوا بخلوده ورجعته ؛ روى الشعرائي عن الصوفي « علي وفا » أنه كان
يقول : « إن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى عليه السلام ،
وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام » ثم قال الشعرائي : « وبذلك قال سيدي عليّ
الخواص رضى الله عنه فسمعتة يقول : إن نوحاً عليه السلام أبقى من السفينة
لوحاً على اسم عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه يُرْفَعُ عليه إلى السماء ، فلم يزل
محفوظاً في صيانة القدرة حتى رُفِعَ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فالله
أعلم بذلك ^(٢) » .

والإسلام السنّي يرفض بحق رفضاً باتاً أن يكون الرسول — حاشاه —
قد خصّ أحداً من الناس بعلم كتّمه عن جمهور صحابته ؛ قال العلامة ابن حزم :
« واعلموا أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سرّ تحته ، كله برهان
لا مسامحة فيه ، واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان ، وكل من ادّعى للديانة
سرّاً وباطناً ، فهى دعاوى ومخارق ، واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكتّم من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم
أو ابن عم أو صاحب ، على شيء من الشريعة ، كتّمه عن الأحمر والأسود ورعاة
الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ولا باطن ، غير مادعا الناس كلهم إليه
ولو كتّمهم شيئاً لما بلغ كما أمر ^(٣) » .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص ١٦١ وما بعدها ط القاهرة .

(٢) أنظر طبقات الشعرائي ج ٢ ص ٥٠ ط بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٣) الفصل ج ٢ ص ١١٦ ط المطبعة الأدبية .

وعلى^١ عند الشيعة هو وصي^٢ محمد ؛ إذ لا بد الأنبياء عندهم من أوصياء ، كما تنص على ذلك تعاليم أستاذهم عبد الله بن سبأ ، وباختيار النبي لعل^٣ خليفة له أصبح هذا وصيّه ، قال ابن سبأ : « إن لكل نبي وصيًا وإن عليا وصي^٤ محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمداً خير الأنبياء^(١) » .

وقد روت الشيعة عن النبي أنه قال : « من الذي يبايعني على ماله ؟ فبايعته جماعة ، ثم قال : من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدى ؟ فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين على^٥ عليه السلام يده إليه فبايعه على روحه^(٢) » . وهم بأمثال هذا الخبر الخلق يحملوننا على تصديق اختيار النبي لعل^٦ لولاية الأمر من بعده ، كما يريدون إيهامنا بأن لفظ « الوصي » جرى على لسان النبي وأنه من وضعه ، بيد أن هذا القول الفصل المنسوب إليه عليه السلام ، ليس له من القوة ما يحملنا على شيء من ذلك ، فهو ضعيف متهدم متهاك لا يكاد يقف على قدميه ودلائل نخله ظاهرة . وقد أنكرت عائشة ذلك كل الإنكار ؛ ففي صحيح البخاري : « ذكروا عند عائشة أن عليّاً رضى الله عنهما كان وصيّاً ، فقالت متى أوصى إليه ؟ ، وقد كنت مسندهته إلى صدرى — أوقالت حجري — فدعا بالطست ، فلقد انخث في حجري ، فما شعرت أنه قد مات ، فتي أوصى إليه^(٣) ؟ »

وقد لقب الخوارج عليّاً بهذا اللقب (الوصي) فيما دار بينهما من جدال بعد التحكيم ، وقد قبله منهم على^٧ وارتضاه إذ يقولون له في جدالهم ، كما يحدثنا ابن واضح اليعقوبى : « وزعم أنه وصي^٨ فضيَّع الوصية » ، فيجبهم على^٩ بقوله : « وأما قولكم إني كنت وصيّاً فضيَّعت الوصية ، وأن الله عز وجل يقول : (والله على الناس حجج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين)

(١) مختصر الفرق بين الفرق للرسمي ص ١٤٣ ط القاهرة .

(٢) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١ ص ٢٢٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٣) أنظر البخاري ص ٤ ص ٣ و ٦ ص ١٤ ط بولاق ، وأنظر أيضاً ابن كثير : البداية

والنهاية ص ٢٥١ .

أفرايتم هذا البيت لو لم يحجج إليه أحد كان البيت يكفر؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلاً كفر؟ وأنتم كفرتم بترككم إياي، لا أنا كفرت بتركى اسمكم^(١). ونحن أمام هذا النص الذى جاءنا به اليعقوبى، وهو مؤرخ متشيع، إزاء فروض ثلاثة؛ فإما أن يكون على نفسه قد ابتدع هذا اللقب ابتداءً وزعمه لشخصه، حتى يقول له الخوارج «زعم أنه وصى»، وهذا أضعف الفروض وأبعدها، وإما أن يكون الناس فى عصره قد خلعوه - مع فلسفته - عليه خلعاً، بتأثير عناصر أجنبية كعثماليين ابن السوداء مثلاً، فلم يتردد هو فى قبوله ولو سياسياً لا دينياً. وقد يكون هذا الفرض قريباً إلى المعقول، ولكن يمنعنا من الأخذ به دين على وعدم معرفته بالسياسة، التى أخفق فيها إخفاقاً تاماً. وأكبر الظن أن الاختلاق جاء فى نسبة هذا النص لعلى كدأب أشياعه دائماً، عادة معروفة من أخذم، ولنا فى لغته الركيكة - التى لا تناسب بلاغة على - الاعتراف بها - وحججه الواهنة الصبائية، ورعى على للخوارج بالكفر لمجرد تركهم له، ما يقوى كثيراً من هذا الظن، وما آفة الأخبار إلا روايتها.

وابن أبى الحديد يحدثنا فى شرحه للنهج فيقول:

«لاريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن خالف فى ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد ولسنا نعى بالوصية النص على الخلافة، ولكن أموراً أخرى، لعلها إذا لحت أشرف وأجل^(٢)».

وأكبر الظن أن ابن أبى الحديد يقصد بهذه الأمور التى هى أشرف وأجل، ما يزعمونه من اختصاص النبى لعلى بعلوم لا يشركه فيها غيره. وقد أورد شارح النهج آيات قيلت فى الوصية^(٣)، نقلها عن أبى مخنف لوط بن يحيى، وعن نصر

(١) أنظر تاريخ ابن واضح اليعقوبى ج ٢ ص ١٦٨ ط النجف.

(٢) شرح النهج مجلد ١ ص ٤٦ ط القاهرة.

(٣) المصدر السابق مجلد ١ ص ٤٧ وما بعدها.

ابن مزاحم بن يسار المنقري ، منها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب :

ومنا عليّ ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصيّ النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه
وقول أبي الهيثم بن التيهان وكان بدرياً :

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصار
نحن الذين رأيت قريش فعلنا يوم القليب أولئك الكفار
كفنا شعار نبينا وذرّاه يفديه منا الروح والأبصار
إن الوصيّ إمامنا وولينا برح الخفاء وباحت الأسرار
ويقال إن رجلاً من قبيلة « الأزد » قال يوم الجمل : وإنك لتلمح في شعره
دلائل الوضع :

هذا عليّ وهو الوصي أخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدى الولي وعاه واع ونسى الشقي
ويقال أيضاً إن غلاماً من بني ضبة معلماً ، خرج من معسكر عائشة يوم الجمل
وهو يقول :

نحن بنو ضبة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قديماً بالوصي
وفارس الخليل على عهد النبي ما أنا عن فضل عليّ بالعمي
لكنني أنعى ابن عفان التقي إن الولي طالب ثار الولي

ولا يسمع الباحث المنصف إلا أن يرفض بحق هذه الأبيات المنحولة ومثيلاتها ،
أو على الأقل ما يشتمل منها على حديث الوصي والوصاية ، فقد وضعها دون ريب
وزوّرها متشيعون علويون .

وقد ورث خلفاء عليّ رئاسة الدولة وولاية الحكم باعتبارهم الأئمة ، جاء
في السكافي) :

« نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ، ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم ، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ، وموضع سرّ الله ، ونحن ودیعة الله فی عباده ، ونحن حرّم الله الأكبر ، ونحن ذمة الله ، ونحن عهد الله ، فن وفی بهمدنا فقد وفی بهمد الله ، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده ^(١) » ، « نحن خزّان علم الله ، ونحن تراجمه وحی الله ، نحن الحجة البالغة علی مَن دون السماء ومَن فوق الأرض » ^(٢) .

ومن هؤلاء الأئمة الحُضَر والغُیَب ، الظاهرون والختفون ، والختفی كالظاهر فیما له من تقدیس وإیمان ، جاء فی (الکافی) : « وإذا بلغکم عن صاحب هذا الأمر غیبة فلا تنکروها ^(٣) » .

وقد انحدرت إلى هؤلاء الأئمة من علیّ صفاته الروحية الخاصة ، وكلّ ما امتاز به من علوم وانفرد به من أسرار ؛ فورثوا عنه اسم الله الأعظم ، وجميع الكتب المنزلة التي يعرفونها بلغاتها المختلفة كما ورثوا « القرآن الصحيح » الذي لم یجمعه ولم یحفظه - كما أنزله الله - إلا علیّ ^(٤) .. ، كما ورثوا أيضاً مصحفاً آخر لفاطمة ، والجامعة ، والجفرین - الأكبر والأصغر - فهم یعلمون لذلك علم ما كان وما سیکون ^(٥) ، كما یعلمون متى یموتون ؟ ولا یموتون إلا بمحض اختیارهم .. ، ولا یفوتنا أن نذكر أيضاً أن هناك کتاباً آخر خاصاً بآل البيت نزل به جبریل علی محمد ، فدفعه إلى علیّ خلّقه هذا لذریته الأئمة یتوارثونه من بعده إماماً بعد إمام ، حتی ینتهی به المطاف أخيراً إلى الإمام الأخير أعنی المهدي ، وفی هذا الكتاب أوامر من الله لكل إمام من الأئمة ؛ روى الكلینی عن معاذ بن كثير عن أبی عبد الله أنه قال : « إن الله عز وجل أنزل علی نبيه کتاباً فقال جبریل : یا محمد هذه وصیتك إلى النجباء فقال : ومن النجباء یا جبریل ؟ فقال : علی بن أبی طالب وولده ، وكان

(١) الکافی للکلینی ج ١ ص ١٠٥ وما بعدها ط طهران .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨ وما بعدها . (٤) المصدر نفسه ص ١١٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٦ .

على الكتاب خواتم من ذهب ، فدفعه رسول الله إلى عليّ وأمره أن يفكّ خاتماً منه فيعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسن فكّ منه خاتماً فعمل بما فيه ، ثم دفعه إلى الحسين فكّ خاتماً فوجد فيه (أن اخرج بقومك إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك واشتر نفسك لله) ففعل ، ثم دفعه إلى عليّ بن الحسين فكّ خاتماً فوجد فيه (أن اطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ففعل ، ثم دفعه إلى ابنه محمد بن عليّ فكّ خاتماً فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك) ، ثم دفعه إلى جعفر الصادق فوجد فيه (حدّث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله ، وانشر علوم أهل بيتك وصدق آبائك الصالحين ، فإنك في حرز وأمان) ، ففعل ثم دفعه إلى موسى . . . » ، وهكذا إلى المهدي ^(١).

وكل إمام من هؤلاء الأئمة وصيّ لسلفه الذي هيّنه بأقراره الصريح ، موافقاً للترتيب الإلهي الذي سبق أن كتبه الله وقضى به ، ونفّذه الرسول كتفايد إلهي لمنصب الحكم وولاية أمور الأمة ، كما لاحظ ذلك بحق سيد الباحثين العلامة الطيب الذكر جولدزير Goldziher ^(٢).

وأبحاث الشيعة المعقدة في الإمامة ، ونظرتهم القدسية إلى الإمام ، تلقى أضواء وهاجة قوية على تاريخ دولهم ؛ فنستطيع أن نعلل بها خضوع الناس واستكانتهم لحكامهم المقدسين الإلهيين ، مهما كانوا ظالمين جائرين ؛ إذ كل ما يقومون به من أفعال أو أقوال إنما مردّه إلى الله ، الذي يُجريه على أيديهم وأسننهم ، فكان حتماً على الجماهير تلقى ذلك بالرضى والقبول . وسنعرض في هذا الصدد أبيات مختارة لشاعر الشيعة الإسماعيلية الفاطمية ، ابن هانيّ الأندلسي تصور أثر هذه العقيدة تصويراً قوياً رائعاً .

(١) السكافي للكليني ح ١ ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٧٥ ط القاهرة .

قال ابن هاني من قصيدة يمتدح بها المعز لدين الله أبا تميم معداً :

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار !!
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشّرنا به في كتبها الأحبار والأخبار
هذا إمام المؤمنين ومن به قد دُوخ الطغيان والكفار
هذا الذي تُرجى النجاة بحبه وبه يُحسب الإسر والأوزار
هذا الذي تجدى شفاعته غداً حقاً وتحمداً أن تراه النار

أبناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصمٌ ومُجار
أنتم أحبّاء الإله وآله خلفاؤه في أرضه الأبرار
أهل النبوة والرسالة والهدى في البينات وسادةً أطهار
والوحي والتأويل والتعريم والـ تحليل لاخلفٍ ولا إنكار
إن قيل من خير البرية لم يكن إلّاكمُ خلقٌ إليه يُشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به وتفجرت وتدفقت أنهار

شرفت بك الآفاق وانقسمت بك !! أرزاق والآجال والأعمار !
جلّت صفاتك أن تُحدّدَ بمقولٍ ما يصنع المصداق والمكثّار
واللهُ خصّك بالقرآن وفضله واخجلّتي ما تبلغ الأشعار ؟^(١)

ويقول في المعز أيضاً :

وما سار في الأرض العريضة ذكره ولكنّه في مسلك الشمس سالك
وما كنه هذا النور نور جبينه ولكنّ نور الله فيه مشارك !!^(٢)

(١) ديوان ابن هانيء ص ٦٢ ط بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٩١ .

وفيه أيضاً يقول ابن هاني^(١) :

هو علّة الدنيا ومن خلقت له	ولعلّة ما كانت الأشياء
ليست سماء الله ما ترونها	ولكن أرضاً تحتويه سماء
أما كواكبها له فخواضع	تُخفي السجود ويظهر الإيماء !
هذا أمين الله بين عباده	وبلاده إن عدت الأمناء
نزلت ملائكة السماء بنصره	وأطاعه الإصباح والإمساء !
والدمر والأيام في تصرفها	والناس والخضراء والغبراء ! ^(٢)

ويقول :

هذا معدّ والخلائق كلها	هذا المعزّ متوجّاً والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التي	بدأ الإله وغيبها المكنون !
من أجل هذا قدّر المقدور في	أمّ الكتاب وكون التكوين !
وبذا تلقى آدم من ربه	عقواً وفاءً ليونس اليقطين !
النور أنت وكل نور ظلمة	والفوق أنت وكل قدر دون
فارزق عبادك منك فضل شفاعته	واقرب بهم زلفي فأنت مكين !
لك حمدنا لا أنه لك مفخر	ما قدرك المنثور والموزون
قد قال فيك الله ما أنا قائل	فكان كل قصيدة تضمين ^(٢)

(١) ديوان ابن هاني، ص ٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

الفصل الثاني

الرجعة :

« الدور » أو عودة الأشياء بعينها إلى الوجود في آماذ لا نهائية ، نظرية فلسفية يونانية تُنسب إلى الفيثاغوريين أتباع « فيثاغورس » Pythagore ، حتى ليقول « أوديموس » Eudème تلميذ « أرسطو » Aristote مخاطباً تلاميذه : « إذا صدّقنا الفيثاغوريين فسيجيء يوم نجتمع ثانية في هذا المكان ، فنجلسون كما أنتم لنتسمعوا إلىّ وأنحدث أنا إليكم كما أفعل الآن^(١) » . وهذا الرأي الفلسفي ليس من قبيل « الرجعة » التي نحن بصدد دراستها في هذا الفصل ؛ إذ الأول فلسفي عام لكل الكائنات في دورات متعاقبة لا نهاية لها ، أما الثاني فمعتقد ديني ساذج مقصور على أناس بأعيانهم في دورة واحدة فقط قبل نهاية هذا العالم ، يعقبها فناء تام شامل للأكوان وانتقال إلى عالم آخر .

فالرجعة التي نحن بصدها هي : عودة الميت أو الخنثى إلى الظهور أو الحياة من جديد في الدور الأخير دور الاحتضار لهذا الكون . ويرجع تفسيرها السيكولوجي إلى وجود زعيم روحي أو سياسي ، ذي شخصية قوية تساعد على فرض تقديره وإجلاله وحُبّه في قلوب الأشياء والأتباع ، المجردين عادة من التفكير والإرادة ، فينساق هؤلاء طواعية نحو ضوئه القوي الوهاج ، متهاقنين بين أحضانه تهافت الفراش ، مُسلمين له القيادة والأزمة ، مخلصين له الحب الواله ، من أبعد أعماق القلوب غوراً ، فينسيهم ذلك إنسانيته وخضوعه لسنن الكون ونواميسه ، فلا يفسكرون قط في موته كأي إنسان تجري عليه قوانين الطبيعة ، فإذا قضت عليه هذه القوانين الصارمة بالموت ، وهي لا بدّ فاعلة في غير هواة ولا لين غير عابثة بشيء ، أصابهم

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية لبوسن كرم ص ٢٩ الطبعة الأولى .

الجزع والهلل وأذهلتهم المفاجأة ، فتدور رؤوسهم ولا ترى أعينهم ، فيسرع إليهم الشك في موت صاحبهم ، ثم يرفع هذا الشك إلى رتبة اليقين ، ما تسعفهم به أحلام اليقظة من تسليتهم وتهديئة انفعالاتهم وإثلاج صدورهم بغيبة صاحبهم الذي لم يمت ، بل تزيد فتحدد لهم مدة غيبته عنهم ، وتسكون بادئ الأمر قصيرة كل القصر ، لتمتلي حياتهم أملاً خالصاً بعودته ورجوعه ، ولكن الغيبة تطول بل وتسرف في الطول ، ولا يرى الأتباع لعودة صاحبهم ظلاً ولا يلمسون لرجوعه عيناً ولا أثراً ، ولكن الحيلة لا تعوزهم فيحتالون ويلجأون إلى التأويل في مدة الغيبة ، فالיום ليس كأيامنا والعام ليس كأعوامنا ، وإن لهم في القرآن القائل : « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » لمثالاً يحتذى ، فنستقر قلوبهم بعد اضطراب وتهدا نفوسهم بعد قلق ، وينقلب الأمل في عودة صاحبهم إلى عقيدة راسخة ذات أصول وجذور ، يورثها الأجداد للأحفاد ، ويأخذها الأخلاف عن الأسلاف .

وإننا لنكاد نطبق شيئاً من هذا التفسير السيكولوجي للرجعة على موقف عمر ابن الخطاب من موت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ فقد ذهل الناس واشتد بهم الملل حتى فقد البعض صوابه ، وكأنهم كانوا لفرط ملهم به وحجهم له لا يتوقعون له موتاً ، وقد أنستهم المفاجعة كل ماورد في القرآن مؤكداً موت النبي كسائر البشر كقوله : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، « أفإن مت فهم الخالدون » .

حدثنا اليعقوبى — المتوفى بعد عام ٣٩٢ هـ — في تاريخه ، وهو من أقدم

مصادر التاريخ الإسلامى على تشييع فيه ، فقال :

« ولما توفى صلى الله عليه وسلم قال الناس ما كنا نظن أن رسول الله يموت حتى يظهر على الأرض ، وخرج عمر فقال : والله ما مات رسول الله ولا يموت وإنما نغيب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ثم يعود ، والله ليمظن أيدى قوم وأرجلهم . » وقال أبو بكر بل قد نعاها الله إلينا فقال (إنك ميت وإنهم ميتون)

فقال عمر : والله لكأنى ما قرأتها قط ! ثم قال : لعمرى لقد أيقنتُ أنك ميت ،
ولكنما أبدى الذى قلته الجزع^(١) ! »

فعمرو رضوان الله عليه محب للرسول عليه السلام ، ولكنه يوقن مع هذا الحب
بموت صلووات الله عليه ككل كائن حى ، فلما واجهته الكارثة أذهلته حتى لقد

(١) أنظر اليعقوبى > ٢ ص ٩٥ ط النجف ، وفي رواية أخرى أن الآية الكريمة التى نطق بها
أبو بكر فى هذا الظرف هى قوله تعالى « وما محمد إلا رسول . . . » الآية ؛ فى الطبرى :

« لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالا من المنافقين
يزعمون أن رسول الله توفى ، وإن رسول الله — والله — ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه
كما ذهب موسى بن عمران فتاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن
رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات ، قال : وأقبل أبو بكر حتى
نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبة ؛ فأقبل
حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما المودة التى كتب الله
عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها مودة أبداً ، ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج — وعمر يكلم
الناس — فقال : على رسلك يا عمر فأنصت ، فأبى ألا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت ،
أقبل على الناس — فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ،
ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » إلى آخر الآية . قال فوالله ليكأن
الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تلاها أبو بكر
يومئذ ، قال وأخذها الناس عن أبى بكر فأنعموا فى أفواههم ، قال أبو هريرة ، قال عمر : والله
ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملى رجلاى وعرفت أن
رسول الله قد مات » الطبرى > ٣ ص ١٩٧ وما بعدها ط الحسينية ، وأنظر أيضاً ابن الأثير > ٢
ص ١٢٣ ط الحلبي ، وأنظر كذلك صحيح البخارى > ٦ ص ١٤ ط بولاق .

أما ابن أبى الحديد فيجمع بين الروايتين إذ يقول : « روى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله
صلى الله عليه وآله لما توفى ، كان أبو بكر فى منزله بالسج ، فقام عمر بن الخطاب فقال : ما مات
رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يموت ، حتى يظهر دينه على الدين كله ، ويرجعن فليقطعن
أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته ؛ لا أسمع رجلا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وآله
إلا ضربته بسيفي ، فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : بأبى وأمى
طبت حياً وميتاً ، والله لا يذيقك الله الموتين أبداً ، ثم خرج — والناس حول عمر وهو يقول لهم
لأنه لم يمت — ويحلف — فقال له أيها الخائف على رسلك ، ثم قال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ؛ قال الله تعالى (إنك ميت ولهم ميتون) وقال
(أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) قال عمر : فوالله ما ملكت نفسى حيث سمعتها أن سقطت إلى
الأرض وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات » أنظر شرح التهج مجلد ١ ص ١٢٨ .

أنسته آية من الذكر الحكيم ما كان لثله أن ينساها لولا هول المصاب ، وألجأته حالته النفسية الجياشة الثائرة إلى أن يقول بغيبة الرسول وعودته ويقسم على ذلك أحث القسم ، ولكن سرعان ما قام أبو بكر الذى كان يبدو فى هذا الظرف العصيب — رغم شيخوخته — أملك لأعصابه وأحضر لذهنه وأجمع لعقله ، فأرجع عمر إلى صوابه ورشده .

يهودية « الرجعة » ونسبها إلى السبعة :

الرجعة فى جلستها معتقد يهودى ؛ حدثنا الشهرستانى أن اليهود اتخذوا من قصة « عزيز » — حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه — مبرراً للقول بها ، كما رأوا ذلك فى موت هارون ، قال الشهرستانى :

« وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من أمرين ، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثانى حديث هارون عليه السلام إذ مات فى التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى ، واختلفوا فى حال موته ، فمنهم من قال : مات وسيرجع ، ومنهم من قال : غاب وسيرجع ^(١) . وقد دخل هذا المعتقد البيئة الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ ، اليهودى اليمنى الممسلم المعروف بابن السوداء ، الذى يرجع إليه الكثير من الأفكار والمذاهب الغريبة عن الإسلام ، كما أنه أول من قال بها فى المجتمع الإسلامى ؛ إذ زعمها بادية الأمر فى الرسول عليه السلام حيث يقول :

« لعجب من يزعم أن عيسى يرجع ^(٢) ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) محمد أحق بالرجوع من عيسى ^(٣) » .

(١) أنظر الملل والنحل - ٢ ص ٥١ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) رجعة عيسى فى الإسلام أثر مسيحي .

(٣) أنظر الطبرى - ٥ ص ٩٨ ط الحسينية .

نم نجده قد تحول فقالمها في علي بن أبي طالب ، الذي اختاره ليكون قطباً لرحى أفكاره ، تدور حواليه كل ما يدور برأسه من آراء ومعتقدات .

وإذا تركنا القرن الأول الهجري ، وجدنا في أوائل المائة الثانية أحد وضّاعى الحديث المعروفين وهو جابر بن يزيد الجعفي^(١) السكوفي ، يردد نداء ابن السوداء ويقول برجعة عليّ وقد رأى في قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم » مستنداً لأقواله ، مدعياً أن الآية تشير إلى الرجعة ، زاعماً أن الدابة هنا هي عليّ بن أبي طالب^(٢) ... !

وقد حدثنا ابن قتيبة حديثاً في هذا الصدد لا يخلو من طرافة حيث يقول : « بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المسكي قال : كنت بالسكوفة فإذا قوم من جبراني يكثرون الدخول على رجل فقلت : من هذا الذي تدخلون عليه ؟ فقالوا : هذا علي بن أبي طالب ، فقلت أدخلوني معكم ، فضيت معهم وخبأت معي سوطاً تحت ثيابي ... ، فدخلت فإذا شيخ أصلع بطين^(٣) ، فقلت له : أنت عليّ ابن أبي طالب ؟ ! فأوماً برأسه ، أي : نعم ، فأخرجت السوط فمازلت أقنعه وهو يقول : لتأوى لتأوى ... فقلت لهم : يا فسقة ، علي بن أبي طالب نبطي ... ! ،

(١) توفي عام ١٢٨ هـ وقد قال فيه أبو حنيفة : « ما رأيت أكذب منه » . انظر الألويسي ٦ ص ٣١٢ ط بولاق ، حيث نقل ذلك عن ميزان الاعتدال للذهبي .

(٢) ويزعم جابر أن رجلاً قال لعمار بن ياسر : « يا أبا اليقظان ، آية في كتاب الله تعالى أسدت قلبي ، قال عمار : وآية آية هي ؟ فقال : قوله تعالى « وإذا وقع القول عليهم ... الآية » ، فأية دابة هذه ؟ قال عمار : والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكمها . فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه ، وهو يأكل تمرأ وزبداً ، فقال يا أبا اليقظان هلم ، فجلس عمار يأكل معه ، فتمجب الرجل منه ، فلما قام عمار ، قال الرجل : سبحان الله خلقت أنك لا تجلس ولا تأكل ولا تشرب حتى ترينها ! قال عمار : قد أريتكها إن كنت تعقل ... ! ! » انظر الألويسي ٦ ص ٣١٢ ط بولاق .

وأكبر الظن أن لعالم ابن السوداء ضلعاً في ذلك ، حتى ليرى على بهذا الإفك حال حياته ؟ روى الألويسي : « قيل لملي كرم الله وجهه إن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض ، فقال : والله إن لدابة الأرض لريشاً وزغباً ومالي ريش ولا زغب ، وإن لها لحافراً ومالي من حافر ... الخ انظر المصدر السابق .

(٣) كان على أصله بطيناً .

ثم قلت له : وبلك ماقصتكَ ؟ فقال : جعلت فداك ، أنا رجل من أهل السواد ، أخذني هؤلاء فقالوا : أنت على بن أبي طالب ^(١) !...

ولقد دانت الشيعة بهذا المعتقد ، معتقد الرجعة ، الذى وجد فى تربتها أرضاً خصبة صالحة للنمو والازدهار ، وذلك يرجع إلى ماسبق أن قدمناه لك من نظرهم القدسية إلى أئمتهم ؛ قال أبو جعفر الكليني فى تفسير قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) « إمام يخنس ^(٢) فى زمانه ثم يبدو كالشهاب الواقف فى ظلمة الليل ^(٣) » . وتسوق الشيعة قوله تعالى (أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) فى مقام الاحتجاج على صحة ماذهبت إليه ، كما تردد ما قاله اليهود من قبل فى هذا الصدد ، وقد رأت فى إحياء عيسى الموتى دليلاً على وقوع الرجعة التى يدينون بها .

ومن الشيعة من يدين بعودة أناس ليسوا من أئمتهم ، وذلك لتعذيبهم والتنكيل بهم فقط من قبل الإمام ، جزاء وفاقاً لما قدموا فى حياتهم الأولى من ظلم وغصب لآل البيت ؛ فالشريف المرتضى يقول رجعة أبى بكر وعمر فى آخر الزمان عند ظهور المهدي وأنهما سيصلبان على شجرة ^(٤) ... ويجوز فى عودة هؤلاء الأعداء بنوع خاص ، أن تكون فى غير صورهم الإنسانية زيادة فى النكال بهم ، فاضطّر المتشيعون إلى القول بالتناسخ ، حتى ليأخذ أحدهم — فيما يقول ابن حزم — البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويحججه ، على أن روح أبى بكر أو عمر قد حلت فيه ^(٥) !...

ومن طريف ما حدثنا به الأغاني فى هذا الصدد أن رجلاً قال للسيد ^(٦) الحميرى :

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبع الدار .

(٢) أى يخنق .

(٣) السكافى ج ١ ص ١٤٩

(٤) ضحى الإسلام لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٤٦

(٥) أنظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٢ طبع مطبعة التمدن .

(٦) شاعر الشيعة الكيسانية ، توفى ببغداد عام ١٧٩ هـ .

« بلغنى أنك تقول بالرجعة فقال السيد : صدق الذى أخبرك وهذا دينى . قال : أفتعطينى ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة ؟ قال السيد : نعم وأكثّر من ذلك إن وثقتُ لى بأنك ترجع إنساناً ... قال : وأى شىء أرجع ؟ ! قال : أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالى ^(١) » .

والشيعة الإمامية الإثنا عشرية يسألون الله فى دعوات حارة أن يرجعهم بعد موتهم إلى هذه الدنيا ، ليكونوا فى جيش المهدي محمد بن الحسن العسكري وبصحبته ، كما سنحدثك عن ذلك فيما بعد .

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« والرجعة إحدى العناصر الجوهرية فى نظرية الإمامة عند كافة فروع الشيعة ^(٢) » ويقول : « وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التى اختلفوا بها ، ويحتمل أن تكون قد تسربت إلى الإسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية ^(٣) » . ويقول أيضاً « والاعتقاد بالإمام الخفى يسود كافة فروع الشيعة ، ويعتقد كل فرع منها بخلوده وعودته إلى الظهور فى المستقبل مهدياً ^(٤) » . وفى ختام حديثنا عن الرجعة نعرض هنا أبيات فيها رائعة لشاعر الشيعة الكيسانية السيد الحميرى (المتوفى عام ١٧٩ هـ) قال ^(٥) :

إذا ما المرء شاب له قَدالٌ ^(٦) وعَلَّه المواشط بالخضاب
فقد ذهبَت بشاشته وأودى فقم بأبيك فابك على الشباب
فليس بعائد ما فات منه إلى أحد إلى يوم المآب

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٤٢ طبع الدار .

(٢) العقيدة والشرعة فى الإسلام (الترجمة العربية) ص ١٩١

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١

(٥) أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٠٧ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وانظر كذلك مقدمة ابن خلدون ص ٩٧ طبع بولاق ١٢٧٤ هـ .

(٦) القدال : جماع مؤخر الرأس .

إلى يوم يؤوب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب
أدين بأن ذاك كذاك حقاً وما أنا في النشور بذى ارتياب
لأن الله خبر عن رجال حيوا من بعد دس في التراب
وقال^(١) يرثي أخاه معتقداً رجعتة :

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي كنت ركني ومقرعي وجمالي
ولعمري لئن تركتك ميتاً رهن رمس ضنك عليك مهال
لوشيكاً ألقاك حياً صحيحاً سامعاً مبصراً على خير حال
قد بُعثتم من القبور فأبتم بعد ما رمّت العظام البوالي
أو كسعين وافداً مع موسى عابنوا هائلاً من الأهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأنى برؤية التعالى
فرمام بصعقة أحرقتهم ثم أحيائهم شديد المِجال

غضبة « المخلص » في الشرق القديم وأثرها في معتقد المسيحية :

لقد ابتليت الشعوب الشرقية القديمة بحكومات الاستبداد المطلقة ، فرسخت تحت نيرها الثقيل قروناً متطاولة وأحقاباً ممتطية بأصلاها ، تسودها ظلمات الجهل وبداعة الفكر ، كان الناس فيها مقرنين في أصفاد من الانحطاط الفكري ومن ظلم الحاكمين بأمرهم ، الذين كانوا يفترضونهم كالأنعام ، ويسومونهم شتى صنوف الذل والخسف والحرمان ، ويسوقونهم — بالعدوان — إلى حيث يرغبون ، كقطيع من الأغنام لا تدري أين المساق ؟ فعصا الراعي تدفعهم بعنف تارة إلى المزرعة وأخرى إلى المجزرة ، وقد وطّد لهؤلاء الحاكمين الغاشمين ، ما ابتدعوه من حقوق إلهية مقدسة ، لاقت رواجاً وقبولاً لدى الجماهير ، الذين ظنوا — واهمين — أن بين

سادتهم وبين السماء نسباً وصحراً ، فزاد ذلك في رضوخهم وفناء ذاتياتهم ،
الذى قوبل من جهة السادة بالإيمان في الخسف والتسكيل ، والإسراف في
الاضطهاد والتقتيل .

غير أن الشعوب الشرقية قد بدأت تشعر بالظلم وتحس بألمه ، فاستيقظت بعد
نوم ، وصحت بعد سكرة ، ولكن الناس يقومون من نومهم حيارى ، ويفتحون
عيونهم بعد طول إغماض ، فيرون أهوالاً تشيب الولدان وخطوباً لا تطيقها الجلاميد
الضَّم ، فرجعوا إلى أنفسهم ، فما آتسوا فيها القوة على الخروج والثورة على حكامهم
وسادتهم ، فأثروا الحرب من الواقع المرير ، حيث وجدوا في الخيال الجميل متنفساً
بثوا فيه نجواهم وشكاتهم ، بزفرات حارة ملتهبة وأنفاس حبيسة مكبوتة ، وقد
أوحى إليهم هذه الأحلام الجميلة بالخلاص من هذا الجحيم في المستقبل القريب
أو البعيد ، على يد « المنقذ » مبعوث العناية الإلهية ، وإن لم يأت ذلك لعزاء وسلوى .
ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الروح الشرقية العامة — كما لاحظ ذلك بحق
العلامة « فان فلوطن » Van Vloten — تصبو دائماً إلى كل ماله علاقة بالتنبؤ
وكشف حجب الغيب عن المستقبل المجهول^(١) . فعقيدة « الخُلَّص » أو « المنقذ »
المواعدة للطبيعة الشرقية والناجمة عن ظلمات الجهل والاستبداد ، نجدتها ذائعة أيما
ذوبوع بين جميع الشعوب الشرقية القديمة ؛ فسيحيو الأحباش ينتظرون عودة مايكهم
« تيمودور » كهدى في آخر الزمان ، كما يؤمن كثير من المسيحيين برجعة المسيح
لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفسكه بأخيه الإنسان ، ويعتقد المغول أن « تيموچين »
(چنكيزخان) — الذى تقدم على ضريحه القرايين — كان قد وعد قبل موته
بعودته إلى الدنيا بعد تسعة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصينى . ولا يمسر
على الباحثين الاهتداء إلى بذور هذا المعتقد بين قدامى المصريين ، وفي القديم من
كتب الصينيين ، وعند الفارسيين ، وكذلك في تناسخ « براهما » إحدى عقائد

(١) السيادة العربية والشعبة والإسرائيليات في عهد بنى أمية (الترجمة العربية) ص ١٠٧

المنود ، الذين ينتظرون هم الآخرون عودة « فشنو » إلى الوجود^(١) .
ولقد كانت عقيدة « المخلص » هذه — أكبر الظن — من أهم العوامل التي
خلقت عقيدة « المهدي » في المجتمع الإسلامي ، فحيكت هذه على غرار تلك ،
أما حاكمتها فهم الشيعة على يد ابن السوداء ، اليهودي المتسلم العالي في
تشيعه الموهوم .

والمهدية من الحركات الثورية الهدامة في التاريخ الإسلامي ، شغلت صحائفه
قروناً عديدة بما أوحى من فتن واضطرابات ، وبما أقامت من حكومات وأسقطت
من أخرى ، وبما أفسدت من عقول ساذجة ، خدعها بريق الفكرة ولونها الديني
فأجابت — دون وعي — كل ناعق وناعب ، وانساق — يلهيها الشعور والعاطفة —
وراء كل ثائر وداعية ، منذ فجر التاريخ الإسلامي حتى القرن المنصرم ، فاعجب
لأسطورة تسلب الناس إرادتهم ثم تخلق تاريخاً . وتاريخ كل أمة مرآتها ، وهو
رهين بنصيبها من التعليم وحظها من الحضارة .

(١) أنظر « جولزهر » Goldziher العقيدة والشريعة في الإسلام (الترجمة العربية)

الفصل الثالث

المهدية في الإسلام

لقد آن لنا بعد أن درسنا « الإمامة » في الإسلام ، وتحدثنا عن « الرجعة » ، وعقيدة « المخلص » في الشرق القديم ، أن نلج موضوع البحث وهو « المهدية » ، وننتقل إليه بأدواتنا في الدرس . ولا يسهل الباحث إزاء هذا المعتقد إلا أن يبتدئ بمادة اللغة نفسها كخطوة أولى من خطوات بحثه العلمى المنظم .

لفظة « المهدي » :

نبدأ بلغة الضاد نساثلها — مستهدين — لنعرف ما لهذا المبنى عندها من معنى ؟
قالت اللغة : « المهدي » اسم مفعول من هدى ؛ هداه الله إلى الإيمان هدىً ، وهديته الطريق وإلى الطريق أهديه هداية ، والمهدي : ضد الضلال وهو الرشاد . ونحن لا نشك في عراقة هذه الكلمة في اللغة العربية ، فهي جاهلية التاريخ مولداً ونشأة ، وليست من مستحدثات الإسلام ؛ فالهداية إلى الخير ، وإلى الطريق نجدها : — دون ريب — في العصر الجاهلي^(١) ، وجاء الإسلام فزاد في معانيها الهداية إلى

(١) كان يعيش في شبه الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام أقوام هم جيل من العرب ، لهم حياتهم الخاصة ومعاييرهم الأخلاقية ومثلهم العليا ، بما فيها من سمو وكمال أو نقص وإسفاف ، ولست أجدني مطالباً إذا قلت إن هذه الحياة قد جاءتنا منقوصة بعض الشيء على ألسنة الرواة والمؤرخين ، لسبقها لتاريخ العرب من جهة ، وللعمل من جهة أخرى على الخط منها وتشويهها إزاء البصر الإسلامى الذى اكتسحها وأعقبها وغير الكثير من عرفها .

والحق أن القرآن وهو ذلك المصدر الهام لدراسة العصر الجاهلى ، قد حدثنا عن الكثير من معائب هذا العصر وآثامه ، ولكن الباحث لا يستطيع مع ذلك أن يطبع أهل الجاهلية قاطبة بطابع الإثم والردية ، وما نظن أن عصرنا من العصور وسم جميع أفرادها بميسم الخير أو الشر . وتاريخ الآداب العربية يحدثنا عن فضائل كثيرة لهؤلاء الناس الذين كانوا يضربون في صحراء شبه جزيرة العرب ويضطربون بها في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد ، وهو ذلك العصر المعنى دائماً بلقب « الجاهلية » ذلك اللقب الإسلامى الذى لم يكن في أكبر الظن مشتقاً من الجهل بمعنى عدم

الإيمان فأنسب عليها ثوباً دينياً ، زادها على الألسن انتشاراً ودوراناً ، وفي العربية نمواً وبقاء ، وإن كنا لا نعتز على لفظة « المهدي » هذه في القرآن الكريم الذي خلا منها خلواً تاماً . وهذه اللفظة بمعناها اللغوي المتقدم ، وُصف بها الرسول صلوات الله عليه في أشعار الحسان بن ثابت يرثيه بها فيقول^(١) :

ما بال عينك لا تنام كأنما كُحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على « المهدي » أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي
كما امتدحه الفرزدق أيضاً بهذا اللقب في قوله^(٢) :

بقوم أبو العاصي أبوم توارثوا خلافة « مهدي » وخير الخواتم
وقد وُصف بهذه الكلمة الخلفاء الأربع : جاء في الحديث : « عليكم بسنتي
وسنة خلفاء الراشدين المهديين » .

وفي العصر الأموي نجد رعيلاً من الشعراء يفتقون هذا اللقب على كثير من
خلفاء بني أمية وأمرائهم ؛ ففي سليمان بن عبد الملك يقول نهار بن تومعة^(٣) :

له راية بالثغر سوداء لم تزل تُفَضُّ بها للمشركين جموع
على طاعة « المهدي » لم يبق غيرها فأبنا وأمرُ المسلمين جميع
وفي سليمان هذا يقول الفرزدق^(٤) :

== المرفة ، وإنما هو ضد للحلم ، ويؤيده قول النبي لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، وقد
ارتأى هذا الرأي كثير من الباحثين وعلى رأسهم العلامة « جولدزيهر » Goldziher محتجين
بقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهل أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
والباحث يشك بحق فيما رواه لنا الراوون عن حياة العرب قبل الإسلام ، وبأسف لما كان
يقوم به بعض الرواة من انتحال للأشعار وافتعال للأخبار واصطناع للرواية كادت تضيع معه
معالم الحقيقة .

(١) ديوان حسان ص ٩٧ نشر البرقوق بالقاهرة عام ١٩٢٩ .

(٢) أنظر « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١

(٣) « جولدزيهر » Goldziher « دائرة المعارف الإسلامية » مادة « مهدي » .

(٤) « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤١

وَأَلْقَيْتَ مِنْ كَفِّكَ حَبْلَ جَمَاعَةٍ وَطَاعَةَ « مَهْدِيٍّ » شَدِيدِ النِّقَامِ
وفيه أيضاً يقول جرير^(١) :

سليمان المبارك قد علمتم هو « المهدى » قد وضع السبيل
وقد أطلقه جرير على النبي إبراهيم عليه السلام في قوله في النقائض^(٢) :

أَبُونَا أَبُو إِسْحَقَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا أَبٌ كَانَ « مَهْدِيًّا » نَبِيًّا مَطْهَرًا
كما أطلقه أيضاً على الخليفة الأموي هشام حيث يقول^(٣) :

فَقُلْتُ لَهَا الْخَلِيفَةُ غَيْرُ شَكٍّ هُوَ « الْمَهْدِيُّ » وَالْحَكَمُ الرَّشِيدُ
والطبري يحدثنا أن سليمان بن صُرَدَ الآخذ بثأر الحسين قد دعا له بعد موته
بقوله : « اللَّهُمَّ ارْحَمْ حَسِينًا الشَّهِيدَ ابْنَ الشَّهِيدِ الْمَهْدِيَّ ابْنَ الْمَهْدِيَّ^(٤) » .

ويلاحظ بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher ، أن المسلمين المعاصرين
يطلقون اسم « المهدى » على من يدخل في الإسلام من أهل الديانات الأخرى ؛
قال الباحث الإسلامي الكبير : « وقد تولى مشيخة الأزهر شيخان في اسميهما
لقب المهدى ، الذي لا يخرج في معناه عن مدلوله الحديث ، وهما الشيخ محمد المهدى
الحفنى — وكان في الأصل قبلياً اسمه « هبة الله » — وتولى المشيخة من سنة ١٨١٢
إلى ١٨١٥ ، والثاني الشيخ محمد العباسي المهدى ، وقد تولى مشيخة الأزهر
من سنة ١٨٧٠ إلى ١٨٩٠^(٥) » .

هذا هو المعنى اللغوي ، وهو كما تراه بسيط ساذج ، ثم أخذ يتطور ويتحور
حتى طلع علينا بشيء آخر جديد ، ليس في سهولة الأول ، بل فيه كل التركيب
والتعقيد ، إذ هو يقول : المهدى « إمام منتظر يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٣٤١

(٢) المصدر نفسه .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أنظر الطبري ج ٧ ص ٧٠ ط الحسينية .

(٥) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٢

قال ابن الأثير في (النهاية) ونقله ابن منظور في (اللسان) : « المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق ، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة ، و به سُمي « المهدي » الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان ^(١) » .
وقد امتدح سبط ابن التعاويذي الخليفة العباسي الفاضل لدين الله ولقبه بالمهدي ،
وقد غالى في مدحه وتمجيده حتى رأى في خلافته ما يغنى عن انتظار مهدي في آخر
الزمان ، فقال ^(٢) :

أنت الإمام « المهدي » ليس لنا إمام حق سواك يُنتظر
تبدو لأبصارنا خلافاً لأن يُزعم أن الإمام منتظر
ودراسة هذا المعنى الجديد هو دراسة المهدي وتاريخها .

السبعة وعوامل الفكرة عندهم :

كانت الشيعة أسبق الفرق الإسلامية إلى التعلق بهذه الأسطورة ، التي ترتكز
في وجودها على عاملين : خارجي يهودي ؛ فالنبي إيلياء أو إلياس الذي رفع إلى
السماء ، والذي لابد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق ، هو تماماً
النموذج الأول للأئمة الختفين ، ويظهر هذا العامل اليهودي واضحاً في قول الشاعر
الكيساني كثير عزّة في ابن الحنفية ^(٣) :

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأحرار في الحقب الخوالي
وقد ندّد العلامة ابن حزم الظاهري الأندلسي بالقائلين بمهدية عبد الله بن
معاوية بن جعفر بن أبي طالب ، وأنه حي يُرزق بجمال أصفهان ، ولا بد من ظهوره
نم عقّب فقال :

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٤٤ ط المطبعة العثمانية سنة ١٣١١ هـ

(٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٥٨ نشر « مرجليوث » Margoliouth بالقاهرة

سنة ١٩٠٣

(٣) شرح ديوان كثير ج ١ ص ٢٧٥ ط الجزائر سنة ١٩٢٨ .

« وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد ، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهرًا ، وكان عبد الله هذا رديّ الدين معطلاً مستصحباً للدهرية .

« قال أبو محمد (هو ابن حزم) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكك صديق بن عامر بن أرغش بن سام بن نوح ، والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ريقاً بنت بنؤال بن ناخور بن تارخ ، على إسحاق ابنه عليه السلام ، وإلياس عليه السلام ، وفنحاس بن العاذار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض نوكة الصوفية ، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيّان إلى اليوم^(١) » .

وكان من أثر اليهودية في المسيحية ، أن قال المسيحيون برجة عيسى كهدي في آخر الزمان ، ثم غزت المسيحية السوق الإسلامية ببضاعتها هذه ؛ فقال بها الإسلاميون .

وقد دخل هذا العامل اليهودي البيئة الإسلامية على يد عبد الله بن سبأ الذي يحدثنا عنه النوبختي في كتابه « فرق الشيعة » أنه كان يقول هذه المقالة في يوشع ابن نون أيام يهوديته .

أما العامل الثاني في خلق هذا المعتقد في البيئة الإسلامية ، فهو إسلامي — منتزع من بيئة الإسلام — إذ عندما أفلت زمام الأمر من يد الشيعة ، وأدال الأمويون دولتهم ، وانهارت آمالهم في الخلافة وشالت نعماتهم ، حرصوا على استغلال روح الجماهير الفطرية الساذجة المحبة لآل البيت ، وبتوا فيها هذا المعتقد ، كي لا يفقد الناس آمالهم في البيت العلوي ، ولا يعدم الخارج من هذا البيت أنصاراً تؤيده بقوة السيف وتعاونيه على تحقيق أغراضه ومطامعه .

وقد ساعدت المظالم والفظائع التي أوقعها بنو أمية بالعلويين دلي تمسك الجمهور بهذا المعتقد ، حتى يقول السكيت^(٢) بن زيد الأسدي المتوفى عام ١٢٦ هـ :

(١) أنظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ج ٤ ص ١٨٠ ط مطبعة التمدن .

(٢) الهاشميات ص ٦٩ وما بعدها نشر الرافعي بالقاهرة .

فتلك ملوكُ السوء قد طال ملكهم
فيارب هل إلّا بك النصر يُرتجى عليهم وهل إلّا عليك المَوَل
ويقول^(١) :

فقل لبني أمية حيث حلّوا وإن خفتُ المهند والقطيعة^(٢)
ألا أفٍٍ لدهرٍ كنتُ فيه هِدَانًا طائعا لَكُم مطيعا
أُجَاعُ اللَّهِ من أشبعتموه وأشبع من مجوركم أُجيعا
ولا يغيب عن بالنّا أن السكيت معتدل في تشيعه ، ألا تراه يقول^(٣) :

أهوى عنيّا أمير المؤمنين ولا ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول وإن لم يعطيا فدكاً بنتَ النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتیان به يوم القيامة من عذرٍ إذا اعتذرا
فإذا كان شعر السكيت يعبر بقوة عن مبلغ المعتدلين من الشيعة ،
فُتْرى كيف كان شعور غلاتهم نحو مظالم بني أمية ؟

يقول ابن أبي الحديد إنهم « حاربوا عليّا ، وسموا الحسن ، وقتلوا الحسين ،
وحملوا النساء على الأفتاب حواسر ، وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين ، حين
أشكل عليهم بلوغه ، كما يُصنع بذراري المشركين إذا دُخلت دورهم عنوة ، وبعث
معاوية بسرّ بن أرطاة إلى اليمن ، فقتل ابني عبيد الله بن العباس ، وهما غلامان
لم يبلغا الحلم ، وقتل عبيدُ الله بن زياد يوم الطّف تسعة من صلب عليّ عليه السلام ،
وسبعة من صلب عقيل ، ولذلك قال ناعيمهم :

عين جودي بعبرة وعويل واندبى إن ندبت آل الرسول
نسمة كلهم لصلب عليّ قد أصيبوا وسبعة لعقيل
« ثم إن بني أمية تزعم أن عقيلاً أعان معاوية على عليّ عليه السلام ، فإن

(١) الهاشميات ص ٨٢

(٢) القطيع : السوط .

(٣) الهاشميات ص ٨٣ وما بعدها .

كانوا كاذبين ، فما أولاهم بالكذب ، وإن كانوا صادقين ، فما جازوا عقيلاً بما صنع ، وضُرب عنق مسلم بن عقيل صبراً وغدراً بعد الأمان ، وقتلوا معه هانىء ابن عروة ، لأنه آواه ونصره ، ولذلك قال الشاعر :

فإن كنت لاتدرين ماالموت فانظري إلى هانىء في السوق وابن عقيل
تري بطلاً قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
وأكلت هند كبدة حمزة ، فمنهم آكلة الأكباد ، ومنهم كهف النفاق ، ومنهم
من نقر بين ثنيتي الحسين عليه السلام بالقضيب . . . الخ^(١) .

وفي شرح النهج أيضاً يقول أبو جعفر محمد بن علي الباقر لبعض أصحابه :

« يا فلان : ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ، وقد أخبرنا أولاً الناس بالناس ، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجبت على الأنصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد ، حتى رجعت إلينا ، فنكثت ببيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كثود حتى قُتل ، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ، ووثب عايه أهل العراق حتى طعن بمنجبر في جنبه ، ونهبت عسكره ، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده ، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته ، وهم قليل حق قليل ، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ، ثم غدروا به ، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ، ثم لم نزل أهل البيت نُستذل ونُستضام ونُقصى ومُتمن ومُحرم ويُقتل ونُخاف ، ولا نأمن على دماننا ودماء أوليانا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لسكذبهم وجحودهم موضعاً ، يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، فخذثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ، ليبعضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية ، بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على

(١) أنظر شرح النهج مجلد ٣ ص ٦٨ طبع القاهرة .

الظنة ، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا ، سُجن أو نُهب ماله ، أو هُدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشد ويزداد ، إلى زمان عبيد الله بن زياد ، قاتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء الحجاج يقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر ، أحب إليه من أن يقال شيعة على^(١) ... » ! . وهكذا تصور لنا هذه الوثيقة الخطيرة مقدار ما أصاب العلويين من عسف ومظالم على يد بني أمية ، حتى إن العلوى ليتستر من بطشهم بالزندقة أو الكفر . وقد سئل أحد شيوخ الأمويين عن سبب سقوط دولتهم فقال — كما يروى المسعودى — : « إنا شغلنا بذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا ، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا » .

ولم تكن دولة بني أمية تعدم المخلصين من رجالها ، الذين كانوا يحذرونها دائماً عواقب سياستها الوحشية ، التي كانت تسرع بها إلى الانهيار ، فالطبرى يروى لنا كيف يتمثل العباس بن الوليد بن عبد الملك بأبيات يحذر فيها بني أمية من سوء سياستهم ، وبنذرهم بعاقبة أمرهم الويلة ، ويطلعهم على مقدار سخط الناس على حكومتهم ، فيقول^(٢) :

إني أعيدكم^١ بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ماتت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلجمن^٢ ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن^٣ بأيديكم بطونكم فتم لا حسرة تغنى ولا جزع

وأكبر الظن أنه لم يكن لمثل هذه الصيحات المنذرة سبيل إلى قصور بني أمية ، فقد حالت دونها حجب اللهو وأستار العبث ، تلك التي حالت دون صيحات نصر ابن سيار ، حتى أخذ القوم إعصار فيه نار ؛ وهنا يقول العلامة « دونالدسن »

: Doneldson

(١) ابن أبي الحديد مجلد ٣ ص ١٥

(٢) أنظر الطبرى ٩ ص ٨ طبع الحسينية .

« إن من المحتمل جداً أن الإخفاق الظاهر الذى أصاب المملكة الإسلامية فى توطيد أركان العدل والتساوى ، على زمن دولة الأمويين ، كان من الأسباب لظهور فكرة المهدي آخر الزمن ^(١) » .

ويقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« على أنه قد تبين أن الاحتكام إلى الله ، أو ترك الأمر لله ، الذى كان يتمثل فى الامعات التى كان يصحبها الانتقاء المتذمرون على الأمويين ، كان من الأسلحة التى لا تجدى فتيلاً ، على أنه مهما يكن ، فقد كانوا يرون أن ما أذن الله به أن يكون ، لا يمكن أن يعترض عليه الإنسان ، وإذا فلا يسع المرء إلا أن يضع رجاءه فى الله الذى سيحكم يوماً ما العالم المليء بالمظالم والآثام وتلك هى الآمال الصامته التى خرجت منها فكرة المهدي ، التى وفقت بين الواقع والمثل الأعلى ، وبدا على أثرها الاعتقاد الراسخ فى ظهور حاكم إلهي يوجهه الله توجيهاً حسناً ^(٢) » .

ولم يكن العباسيون — مع الأسف — أراف بآل على من سبقهم الأمويين حتى ليقول بحق العلامة « فان فلوطن » Van Vloten :

« ولم يكن جور المظالم العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المحتل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي ، والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره ^(٣) » .

وأبو الفرج يحدثننا فيقول ^(٤) :

« جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبلي إلى سُوَيْقَةَ ^(٥) ، وهو طريد بنى العباس وذلك بعقب أيام بنى أمية ، وابتداء خروج ملكهم إلى بنى العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيْقَةَ ، فاستنشداه عبد الله شيئاً من شعره فأنشده ، فقال له : أريد أن تنشدني شيئاً مما رثيت به قومك ؛ فأنشده :

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٣١

(٢) العقيدة والشرعية فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ٧٤

(٣) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية « الترجمة العربية » ص ١٣٢ .

(٤) أنظر الأغاني ج ١١ ص ٢٩٨ وما بعدها ط الدار .

(٥) موضع قرب المدينة كان يسكنه آل على .

تقول أمانة لما رأت نشوزى عن المضجع الأنفس
وقلة نوحى على مضجعى لدى هجمة الأعين النعس
أى ، ما عراك ؟ فقلت الهموم م عرون أباك فلا تُبْلِسِى^(١)
لفقد العشيبة إذ نالها سهام من الحدث المئس
فصرعاهم فى نواحي البلا د تُلَقِّ بِأَرْضٍ ولم تُرْمَس
فكم غادروا من بواكى العيو ن مَرَضَى ومن صَبِيَّة بُؤَس
إذا ما ذكرهم لم تنم لحرَّ الهموم ولم تجلس
يرجمن مثل بكاء الحما م فى مأتمٍ قَلِقِ المجلس
فذاك الذى غالى فاعلى ولا تسألينى فستفحسى^(٢)
فما أنسَ لا أنسَ قتلاهم ولا عاش بعدهم من نسي

« قال : فلما أتى عليها ، بكى محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له عمه الحسن
ابن حسن بن على عليهم السلام : أتبكي على بنى أمية ، وأنت تريد بينى العباس
ما تريد ؟ ! »

« فقال : والله ياعم لقد كنا نقمنا على بنى أمية ما قمنا ، فما بنو العباس إلا أقل
خوفاً لله منهم ، وإن الحجة على بنى العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كانت
للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر^(٣) . »

وفى هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع ابن الرومى (على بن العباس) ، من
قصيدة^(٤) يرثى بها يحيى بن عمر بن الحسين :

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فاختشوا وأارتجوا

(١) الإبلas : اليأس والتجبر والسكوت من الغم والحزن .

(٢) استنحس فلان الأخبار : تجسسها .

(٣) يقصد الخليفة المنصور .

(٤) أنظر « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغاني أبى الفرج الأصفهاني ص ٦٤٦ وما بعدها

أَكَلْ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَتِيلٌ زَكِيٌّ بِالدَّمَاءِ مُضَرَّجٌ
تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرًّا أُمَّةٌ فَلَهُ دِينُ اللَّهِ قَدْ كَادَ يُمْرِجُ^(١)
بَنِي الْمَصْطَفَى كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ شِلُوكَهُمْ لَبَلُواكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ مَفْرَجٌ
أَمَّا فِيهِمْ رَاجِعُ الْحَقِّ نَبِيهِمْ وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَشْجُرُجُ
لَقَدْ عَمَّهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ مُنْجَمَجٌ^(٢)
أَبْعَدَ الْمَسْكُونِ بِالْحَسَنِ شَهِيدَكُمْ تَضَاءُ مَصَابِيحِ السَّمَاءِ فَتُسْرَجُ
أَجْنُتُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَذَائِكُمْ وَشُدُّوا عَلَى مَا فِي الْعِيَابِ وَأَثَرِ جِوَا^(٣)
وَحَلُّوا وَلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغِيَّبَهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ أَنْ يَفْرُقُوا حَيْثُ لَجَّ جِوَا
غَرَّرْتُمْ إِذَا صَدَقْتُمْ أَنْ حَالَةً تَدُومُ لَكُمْ وَالْدَّهْرُ لَوْنَانِ أُخْرِجَ^(٤)
لَهُمْ لَمْ فِي مَنْطَوَى الْغَيْثِ ثَأْرًا سَيَسْمُو لَكُمْ وَالصَّبْحُ فِي اللَّيْلِ مَلَجٌ
فَيَدْرِكُ ثَأْرَ اللَّهِ أَبْصَارَ دِينِهِ وَلِلَّهِ أَوْسٌ آخَرُونَ وَخَزَرْجٌ
أَيُّ الْحَقِّ أَنْ يُمَسَّوْا خُصَاصًا وَأَنْتُمْ يَكَادُ أَحْوَكُكُمْ بَطْنَةٌ يَتَمَجُّجُ
تَمْشُونَ مَخْتَالِينَ فِي حَجَرَاتِكُمْ ثَقَالَ الْخَطَا أَكْفَالَكُمْ تَنْتَحَرِجُ
وَلَيْدَهُمْ بَادِي الطُّوًى وَوَلِيدَكُمْ مِنْ الرِّيفِ رِيَّانُ الْعِظَامِ خَدَّجٌ^(٥)
وَلَمْ تَقْنَعُوا حَتَّى اسْتَقَارَتْ قُبُورُهُمْ كَلَابِكُمْ مِنْهَا بِهِمْ وَدَبَّرَجَ^(٦)
وَفِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا يَقُولُ أَبُو عَطَاءٍ أَفْلَحَ^(٧) بَنُ بَسَارِ السَّنْدَى مَتَحَسِّرًا مُلْتَقَاءً :
يَا لَيْتَ جُورَ بَنِي مَرْوَانَ عَادَ لَنَا يَا لَيْتَ عَدْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ

(١) يفسد ويضطرب ، ويريد بشر الأئمة : خلفاء بني العباس

(٢) أى غير مبين .

(٣) العياب ، جمع عيبة ، وهى . ما يجعل فيها التناح ، والإشراج : شد الحريطة .

(٤) أى ذو لونين أسود وأبيض .

(٥) المتلى الذراعين والساقين .

(٦) البهيم : الأسود . والدبزعج : ما له لون بين لونين غير خالص لأحدهما .

(٧) من مخضرمى الدولتين ومن موالى بنى أسد ، وأحد شعراء القرن الثانى الهجرى ، وقد توفى بعد الثمانين والمائة ، راجع إن شئت ترجمته فى الأغاني ، وفى فوات الوفيات لابن شاكِر السكيتي ، وفى دائرة المعارف الإسلامية ، وفى نزهة الخواطر لابن نحر الدين الحسيني ط حيدر آباد .

ويقول الشاعر العلوي النائر الهجاء ، دعبل بن علي الخزاعي المتوفى عام ٢٤٦ هـ :

وليس حتى من الأحياء نعلمه من ذى يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار^(١) على جزر
قتل وأسروا وتحريق ومنهبة فقل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إذ قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
وقال معبراً عن موجة عامة من روح الاستياء ضد خلفاء بني العباس :
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد
فرّ ذاك وصرّ الشؤم يتبعه وقام ذا فقام الفحس والنسك
وقال فأوجع :

أنى يكون وليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

ولا نستطيع في هذا المقام أن نغفل « تائية »^(٢) دعبل الرائعة ، التي بكى فيها آل البيت أحرّ بكاء ، وقد فجّعه ما حلّ بهم على أيدي بني أمية وبنى العباس جميعاً ، وندب فيها ديارهم وروبعهم ، وعزّى نفسه بخروج الإمام المهدي ، ليجزى على النعماء والنقمت ، وقد كان الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد ، يبكي عند سماع هذه القصيدة ويستعيدها ، رغم نيل « دعبل » منه وهجائه له ولآبائه ، وفي هذه التائية العصماء يقول دعبل :

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنزلٌ وحى مقفّرُ العرصات
ديارُ عليّ والحسين وجعفر وحمة والسجاد ذى الثّنات^(٣)
قفا نسأل الدار التي خفّ أهلها متى عهدُها بالصوم والصلوات ؟
وأين الألى شطّت بهم غربة النوى أفانين في الآفاق مفترقات ؟

(١) الأيسار : المقامرون .

(٢) أنظرها بمعجم الأدياء ج ١١ ص ١٠٣ وما بعدها ، ط دار المأمون .

(٣) جمع ثفنة ، وهي من الإنسان ركبتة ، يريد أن ركبتيه تأثرتا بكثرة السجود . والسجاد : هو علي بن عبد الله بن العباس .

قبورٌ بكوفاتٍ وأخرى بطيبةٍ وأخرى بفتح^(١) نالها صلواتي
وقبرٌ ببغدادٍ لنفس زكية تضمَّنَها الرحمن في الغُرُفاتِ
قليلة زُوارٍ سوى بعض زُورٍ من الضعع والعِقبان والرخات
لهم كلَّ حين نومةٌ بمضاحج لهم في نواحي الأرض مختلفات

ألم ترَ آتَى من ثلاثين حجةً أروح وأغدو دائماً الحسرات
أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات
فأَل رسول الله نُحِفُ جسمهم وآل زياد حفل القصرات^(٢)
بناتُ زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ لقطع قلبي إثرهم حسراتي
خروجُ إمام لا محالة خارجٌ يقوم على اسم الله والبركات
يميزُ فينا كلَّ حق وباطل ويجزي على النعماء والنقبات
فيا نفسُ طيبي ثم يا نفسُ أبشري فغير بعيد كلُّ ما هو آت

ولما اضطهد المتوكل على الله الخليفة العباسي شيعه عليّ ، وهدم قبر الحسين
فسوّاه بالأرض حتى لا يحج إليه الزائرون ، قال يعقوب بن السكيت العالم اللغوي
المعروف ، وقيل البسامي الشاعر :

تالله إن كانت أميةٌ قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهـدوما
أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتنبعوه رميا

وأبو بكر الخوارزمي يقص علينا في رسالة له إلى شيعة نيسابور ، ما حاق بآل
البيت من محن وأحداث على أيدي بني أمية ، والزبيريين ، وبني العباس جميعاً ،
وهي دون شك وثيقة خطيرة ، نرى أنفسنا مسوقين إلى تسجيلها ، لما لها من أهمية

(١) موضع بكّة .

(٢) جمع قصرة وهي : أصل العنق .

بالغة فيما نحن بصدده ، مع اعتذارنا للقارئ لإسقاطنا بعض ما فيها من فحش وإفذاء وهجر ؛ فقد كان الخوارزمي متشيعاً صادق التشيع ، فألمه وأحزنه — إلى حد بعيد — ما مئى به العلويون ، آل البيت ، من قتل ونفى وتشريد وفاقة ونمخضة ، من مختلف صنوف الحاكمين ، فسكتب إلى شيعة نيسابور هذه الرسالة الفريدة ، يؤرخ فيها للخطوب التي لحقت بالشيعة ، ويسجل محنهم ومصائبهم المتلاحقة ، منذ فجر التاريخ الإسلامي ، عقب وفاة النبي حتى أيام بني العباس ، ويسخط فيها كل السخط على هؤلاء الذين ناصبهم العداء ، وأراقوا منهم الدماء ، وقد أخفش في سخطه هذا وأقذع فأوجع ، قال أبو بكر :

« سمعت أرشد الله سعيكم ، وجمع على التقوى أمركم ، ماتكم به السلطان الذى لا يتحامل إلا على العدل ، ولا يميل إلا على جانب الفضل ، ولا يبالى أن يمزق دينه إذا رقا دنياه ، ولا يفكر فى أن يقدم رضا الله إذا وجد رضاه ، وأنتم ونحن أصلحنا الله وإياكم ، عصابة لم يرض الله لنا الدنيا ، فذخرنا للدار الأخرى ، ورغب بنا عن ثواب العاجل ، فأعد لنا ثواب الآجل ، وقسمنا قسمين : قسماً مات شهيداً ، وقسماً عاش شريداً ، فالخى يحسد الميت على ما صار إليه ، ولا يرغب بنفسه عما جرى إليه ، قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام : « الحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدور » ، وهذه مقالة أسست على الحن ، ووُلد أهلها فى طالع المزاهر والفتن ، فحياة أهلها نغص ، وقلوبهم حشوها غصص والأيام عليهم متحاملة ، والدنيا عنهم ماثلة ، فإذا كنا شيعة أُنمقنا فى الفرائض والسنن ، ومتبعى آثارهم فى كل قبيلح وحسن ، فينبغى أن نتبع آثارهم فى الحن .

« غُصبت سيدتنا فاطمة ، صلوات الله عليها وعلى آله ، ميراث أبيها ، صلوات الله عليه وعلى آله ، يوم السقيفة ، وأخر أمير المؤمنين عن الخلافة ، وسُم الحسن رضى الله عنه سرّاً ، وقتل أخوه كرم الله وجهه جهراً ، وصُلب زيد بن على بالكُناسه ، وقطع رأس زيد بن على فى المعركة ^(١) ، وقتل ابنه محمد وإبراهيم على

(١) كذا فى الأصل طبع بولاق وطبع الجوائب ، ورأس زيد قطع بعد المعركة ، ولعل الصواب : وقطع رأس يحيى بن زيد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني ص ١٥٨ .

يد عيسى بن موسى العباسي^(١) ، ومات موسى بن جعفر في حبس هارون ، وسُمِّىَ
على بن موسى بيد المأمون ، وهُزِمَ إدريس بفخ حتى وقع إلى الأندلس فريداً ،
ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً ، وقُتِلَ يحيى بن عبد الله بعد الأمان والايمان
وبعد تأكيد العهد والضمان . . . !

« هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان ، وغير قُتِلَ محمد بن زيد
والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان ، وغير ما صنعه أبو الساح (كذا)
في علوية المدينة ، حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سمرات ، وهذا بعد قُتِلَ
قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي ، حين أخذه بأبويه ، وقد ستر نفسه ،
ووارى شخصه ، بصانع حياته ، ويدافع وفاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل
المصعبي بمحيي بن عمر الزيدى خاصة ، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة
كافه ، وبحسبكم أنه ليست في بيضة الإسلام بلده ، إلا وفيها لقتيل طالبي تر به ،
تشارك في قتالهم الأموي والعباسي ، وأطبق عليهم العدنانى والقحطاني :

فليس حتى من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

« قادتهم الحمية إلى المنية ، وكرهوا عيش الذل ، فماتوا موت العزة ، ووثقوا
بمالهم في الدار الباقية ، فسخت نفوسهم عن هذه القانية ، ثم لم يشربوا كأساً من
الموت ، إلا شربها شيعتهم وأولياؤهم ، ولا قاسوا لونا من الشدائد ، إلا قاساه
أنصارهم وأتباعهم .

« داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ، ونفى أباذر الغفاري
إلى الربد ، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي ، وغرب الأشتر النخعي ، وعدى
ابن حاتم الطائي ، وسير عمر بن زرارة إلى الشام ، ونفى كميل بن زياد إلى العراق ،

(١) كذا في الأصل طبع بولاق وطبع الجوائب ، ولعل الصواب : وقتل محمد وإبراهيم
ابنا عبد الله بن الحسن على يد ... الخ ، انظر مقاتل الطالبين ص ٢٦٨ وما بعدها .

وجفا أبى بن كعب وأقصاه ، وعادى محمد بن حذيفة وناواه ، وعمل في دم محمد بن سالم ماعمل ، وفعل مع كعب ذى الخطبة مافعل !

« واتبعه في سيرته بنو أمية : يقتلون من حاربهم ، ويغدرون بمن سالمهم ، لا يخفون المهاجرى ، ولا يصونون الأنصارى ، ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس ؛ قد اتخذوا عباد الله خوفاً ، ومال الله خوفاً ، يهدمون الكعبة ، ويستعبدون الصحابة ، ويعطلون الصلاة الموقوتة ، ويختمون أعناق الأحرار ، ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار ، وإذا فسق الأموى ، فلم يأت بالضلالة عن كلاله .

« قتل معاوية حجر بن عدى الكندى ، وعمر بن الحق الخزاعى ، بعد الأيمان المؤكدة ، والموائيق المغلظة ، وقتل زياد بن سمية الألوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبرا ، وأوسعهم حبساً وأسرا ، حتى قبض الله معاوية على أسوأ أعماله ، وختم عمره بشر أحواله ، فاتبعه ابنه ، يجهز على جرحاه ، ويقتل أبناء قتلاه إلى أن قتل هانىء بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى أولاً ، وعقب بالحارث ابن زياد الرياحى ، وبأبى موسى عمرو بن فرطة الأنصارى ، وحبيب بن مظهر الأسدى ، وسعيد بن عبد الله الحنفى ، ونافع بن هلال الحملى ، وحنظلة بن أسعد الشامى ، وعابس بن أبى شبيب الشاكرى ، فى نيف وسبعين من جماعة شيعته ، وأمر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً ، ثم سلب عليهم الدعوى ابن الدعوى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ، ويقتلهم ألوان القتل ، حتى اجتث الله دابرهم ، ثقیل الظهور بدماهم التى سفك ، عظیم التبعة بحريمهم الذى انتهك ، فاتبعت لنصرة أهل البيت طائفة ، أراد الله أن يخرجهم من عهدة ماصنعوا ، ويفسل عنهم وضراً ما اجتروحوا ، فصمدوا صمد الفئة الباغية ، وطلبوا بدم الشهيد ، الدعوى ابن لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم ، وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم ، إلا إقداماً على القتل والقتال ، وسخاء بالنفوس والأموال ، حتى قُتل

سلمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجمة الفزارى ، وعبد الله بن والٍ التيمي ،
 في رجال من خيار المؤمنين ، وعليه التابعين ، ومصاييح الأنام ، وفرسان الإسلام .
 « ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار — بعد أن شفى الأوتار
 وأدرك الفار ، وأفنى الأشرار ، وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله —
 وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحر بن شميطة ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك
 وعبد الله بن كامل ، وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثله ، ويقتلونهم شر قتله ،
 حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد ، وأراح من أخيه مصعب العباد ، فقتلهم
 عبد الملك بن مروان (كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) ، بعد
 ما حبس ابنُ الزبير محمد ابن الحنفية وأراد إحراقه ، ونفى عبد الله بن العباس
 وأكثر إرهابه .

« فلما خلت البلاد لآل مروان ، سلطوا الحجاج على الحجاز بين ثم على العراقيين
 فتلعّب بالهاشميين ، وأخاف الفاطميين ، وقتل شيعة على ، ومح آثار بيت النبي ،
 وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعي . واتصل البلاء مدة ملك المروانيه ،
 إلى الأيام العباسيه ، حتى إذا أراد الله أن يحتم مدتهم بأكثر آثامهم ، ويجعل أعظم
 ذنوبهم في آخر أيامهم ، بعث على بقية الحق المهمل ، والدين المعطل ، زيد بن علي ،
 فخذله منافقو أهل العراق ، وقتله أحزاب أهل الشام ، وقتل معه من شيعته نصر
 ابن خزيمة الأسدي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري ، وجعاعة من شايعه وتابعه ،
 وحتى من زوجه وأدناه ، وحتى من كلمه وماشاه !

« فلما انتهكوا ذلك الحريم ، واقترفوا ذلك الإثم العظيم ، غضب الله عليهم
 وانتزع الملك منهم ، فبعث عليهم أبا مجرم — لا أبا مسلم — فنظر ، لا نظر الله إليه ،
 إلى صلابه العلويه ، وإلى لين العباسيه ، فترك تقاه واتبع هواه ، وباع آخرته بدنياه ،
 وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وسلط
 طواغيت خراسان ، وخوارج سجستان ، وأكراد أصفهان ، على آل أبي طالب

يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، ويطلبهم في كل سهل وجبل ، حتى سلب عليه أحب الناس إليه ، فقتله كما قتل الناس في طاعته ، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته ، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه ، وأن ركب ما لا يهواه ، وخلت من الدوانيقي الدنيا فخبط فيها عسفاً ، وتقضى فيها جوراً وحيفاً ، إلى أن بات وقد امتلأت سجونته بأهل بيت الرسالة ، ومعدن الطيب والطهارة ، قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرم ، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنيّ بالسند ، على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبيّ ، فما ظنك بمن قرب متناوله عليه ، ولان مشه على يديه ؟ ! وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم ، وفعله موسى قبله بهم ؛ فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن عليّ بفخ من موسى ، وما اتفق على عليّ بن الأفطس الحسيني من هارون ، وما جرى على أحمد بن عليّ الزيدي ، وعلى القاسم بن عليّ الحسني من حبسه ، وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي حين أخذ من قبله ، والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوه واقتلع غرس الإمامه ... !

« وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش ؟ فقد شتموه ! ومن شريك ؟ فقد عزلوه ! ومن هشام بن الحكم ؟ فقد أخافوه ! ومن عليّ بن يقطين ؟ فقد اتهموه ... !

« فأما في الصدر الأول فقد قُتل زيد بن صرحان العبديّ ، وعوقب عثمان ابن حنيف الأنصاريّ ، وخفي حارثة بن قدامة السعديّ ، وجندب بن زهير الأزديّ ، وشريح بن هانيّ المراديّ ، ومالك بن كعب الأرحبيّ ، ومعتل بن قيس الرياحي ، والحارث الأعور الهمدانيّ ، وأبو الطفيل الكنانيّ ، وما فيهم إلا من خرّ على وجهه قتيلاً ، أو عاش في بيته ذليلاً ، يسمع شتمه الوصيّ فلا يفسكر ، ويرى قلة الأوصياء وأولادهم فلا يغيّر ، ولا يخفي عليكم حرج عامتهم وحيرتهم ، كجابر الجعفي وكرشيد الهجري ، وكزرة بن أعين ، وكفلان وأبي فلان ... ، ليس إلا أنهم رحمهم الله كانوا يتولون أولياء الله ، ويتبرأون من أعداء الله ، وكفى به جرماً عظيماً عندهم ، وعيباً كبيراً بينهم .

« وقل في بني العباس ، فأياك ستجد بحمد الله تعالى مقالا ، وجُلّ في عجايبهم ، فأياك ترى ما شئت مجالا :

« يُجبي فيهم فيفرّق على الديلمي والتركى ، ويحمل إلى المغربى والفرغانى ، ويموت إمام من أئمة الهدى ، وسيد من سادات بيت المصطفى ، فلا تُتبع جنازته ، ولا تُخصّص مقبرته ، ويموت (ضراط) لهم أو لاعب ، أو مسخرة أو ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاء ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاه ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه عليّاً ، ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن حبّيش قتيل داود بن على ، ولو لم يحبس فيهم غير أبى تراب المروزى ، لكان ذلك جرحاً لا يبرأ ، وثائرة لا تُطفأ ، وصدعاً لا يلتئم ، وجرحاً لا يلتحم ، وكفاهم أن شعراء قریش قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعارضون فيها أشرار المسلمين ، فحملت أشعارهم ودوّنت أخبارهم ، ورواها الرواة مثل الواقدى ، ووهب بن منبه التميمى ، ومثل السكلى والشرقى بن القطامى ، والهيثم بن عدى ، وداب بن السكنانى ، وأن بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب الوصى ، بل في ذكر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقطع لسانه ، ويمزّق ديوانه ، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى وكما أريد بالسكيت بن زيد الأسدى ، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى ، وكما دُمّر على دعبل بن على الخزاعى ، مع رفقتهم من مروان بن أبى حفصة اليمامى ، ومن على بن الجهم الشامى ، ليس إلا اغلّوها في النصب ، واستيجابهما مقت الرب ، حتى إن هارون ابن الخيزران ، وجعفر المتوكل على الشيطان — لا على الرحمن — كانا لا يعطيان مالا ، ولا يبذلان نوالا ، إلا لمن شتم آل أبى طالب ، ونصر مذهب النواصب ، مثل عبد الله بن مصعب الزبيرى ، ووهب بن وهب البخترى ، ومن الشعراء مثل مروان بن أبى حفصة الأموى ، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريش

الأصمعي ، فأما في أيام جعفر ، فمثل بكار بن عبد الله الزبيري ، وأبي السمط ابن أبي الجون الأموي ، وابن أبي الشوارب العبشمي .

« ونحن أرشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى ، وآثرنا الدين على الدنيا ، وليس يزيدنا بصيرةً زيادةً من زاد فينا ، ولن يحل لنا عقدةً نقصانٌ من نقص منّا ؛ فإن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود كما بدا ، كلمة من الله ووصية من رسول الله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ومع اليوم غد ، وبعد السبت أحد ، قال عمار ابن ياسر ، رضى الله عنه ، يوم صفين : لو ضربونا حتى نبلغ سبعات هجر ، لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ، ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم ، ولقد تأخر أمر الإسلام ثم تقدم (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون) ، ولولا محنة المؤمنين وقلائهم ، ودولة الكافرين وكثرتهم ، لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ، ولما قال الله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ، ولما تبين الجزوع من الصبور ، ولا عُرف الشكور من الكفور ، ولما استحق المطيع الأجر ، ولا احتقب العاصي الوزر ، فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله ، ولكل مقامة مقال ؛ فعند الحن الصبر ، وعند النعم الشكر ، ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر ، فما شككنا في وصيته ، وكُذِب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة ، فما اتهمناه في نبوته ، وعاش إبليس مدة تزيد على المئتين ، فلم ترتب في لعنته ، وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام والرضا بعد الرضا ولا مزية عندنا في صحة إمامته ، وكان وعد الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ولتعلمن نبأه بعد حين . . !

« اعلموا رحمكم الله أن بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن ، وأتباع الطاغوت والشيطان ، جهدوا في دفن محاسن الوصي ، واستأجروا من كذب في الأحاديث

على النبي صلى الله عليه وسلم ، وحولوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة ، والخلافة — زعموا — إلى دمشق عن الكوفة ، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال ، وقلدوا عليه الأعمال ، واصطنعوا فيه الرجال ، فاقدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ، ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله ، ولقد كان ينادى على رؤوسهم بفضائل العتره ، ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجة ، لا تنفع في ذلك هيبة ، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة ، والحق عزيز وإن استذل أهله ، وكثير وإن قلّ حزبه ، والباطل ذليل وإن رصّع بالشبهه ، وقبيح وإن غطى وجهه بكل مليح ، قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفاس بني أمية :

سُمِيَةُ أُمِّي نَسَلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ غَيْرُهُ :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسِبُ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سَوَاقِ وَإِمَامٍ
وَقَالَ أَبُو دَهَبٍ الْجُمُحَى فِي سَمَةِ سُلْطَانِ بَنِي أُمِيَّةٍ وَوَلَايَةِ آلِ بَنِي سَفِيَانٍ :
تَبَيْتَ السَّكَارَى مِنْ أُمِيَّةٍ نُؤْمَاً وَبِالطَّفِّ قَتَلْتَنِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ قَتَةَ :

وَإِنْ قَتِيلَ الطَّفُّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتْ
وَقَالَ السَّكَيْتُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُوَ جَارُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ :

فَقُلْ لِبَنِي أُمِيَّةٍ حَيْثُ حَلَّوْا وَإِنْ خَفَتِ الْمَهْنَدُ وَالْقَطِيمَا
أَجَاعَ اللَّهُ مِنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعُ مِنْ يَجُورُكُمْ أَجِيْعَا

« وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العباس على رؤوسهم بالحق وإن كرهوه ، وبتفضيل من نقصوه وقتلوه ؛ قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون :

آلَ النَّبِيِّ وَمَنْ يَجْهَمُ يَتَطَامِنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ

ومن النصارى واليهود وهم من أمة التوحيد في أزل^(١)
وقال دعبل بن على ، وهو صنيعه بنى العباس وشاعره :
ألم تر أئى مذثمانين حجة أروح وأغدو دأهم الحشرات
أرى فيئهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات
وقال على بن العباس الرومى ، وهو مولى المعتصم :
لكل أوان للنبي محمد قتيل زكى بالدماء مضرّج
وقال ابراهيم بن العباس الصولى ، وهو كاتب القوم وعاملهم ، فى الرضا لما
قرّبه المأمون :

يمنّ عليكم بأموالكم وتعطون من مائة واحدا

« وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بنى عمهم جوعاً وسفهاً ، ويملاؤن ديار
الترك والديلم فضة وذهبا ، يستنصرون المغربى والفرغانى ، ويحفون المهاجرى
والأنصارى ، ويولون أنباط السواد وزارتهم ، وقُلف المعجم والطالم قيادتهم ،
ويمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم ، وفى جذم ، يشتهى العلوى الأكلة
فيُحرّمها ، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات
الحرمين والحجاز ، تصرف إلى ابن أبى مريم الدينى ، وإلى ابراهيم الموصلى ، وابن
جامع السهمى ، وإلى زلز الضارب ، وبرصوما الزامر ، وإقطاعُ بختيشوع النصرانى
قوتُ أهل بلد ، وجارى بفا التركى ، والأفشين الأشروسنى ، كفايةُ أمة ذات عدد ،
والمتوكل — زعموا — يتسرى بائنى عشر ألف سريه ، والسيد من سادات أهل البيت
يتعفف بزنجية أو سندية ، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنه ، وعلى
موائد الخسائنه ، وعلى طعمة السكّالّين ، ورسوم القرّادين ، وعلى مخارق وعلوبة
الغنى ، وعلى زرزر ، وعمر بن بانه الملهى ، ويبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربه ،
ويصارفونه على دائق وحبّه ، ويشترون العوادة بالبدر ، ويُجرون لها ما ينى برزق

(١) فى القاموس ، الأزل : الضيق والشدة .

عسكر، والقوم الذين أحلّ لهم الخمس ، وحرّمت عليهم الصدقة ، وفرضت لهم الكرامة والمحبة ، يتكفّفون ضرا ويهلكون فقرا ، ويرهن أحدهم سيفه ، ويبيع نوبه ، وينظر إلى فيثمه بعين مريضه ، ويتشدد على دهره بنفس ضعيفه ، ليس له ذنب إلا أن جده النبي ، وأباه الوصي ، وأمه فاطمه ، وجدته خديجة ، ومذهبه الإيمان ، وإمامه القرآن .

« وقد كانت في بني أمية مخازي تذكر ، ومعائب تؤثر ، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين ، وأمه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين ، وابنه يزيد القروء ، مربى الفهود ، وهادم الكعبيه ، ومنهب المدينه ، وقاتل العترة ، وصاحب يوم الحرّة . وكان مروان الوزغ ابن الوزغ ، لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله أباه وهو في صلبه ، فلحقته لعنة الله ربه ، وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الأرض وشملت ، وهي توليته الحجاج بن يوسف النخعي ؛ فأتك العباد وقاتل العبياد ، ومبيد الأوتاد ومخرب البلاد ، وخبيث أمة محمد الذي جاءت به الفذر ، وورد فيه الأثر ، وكان الوليد جبار بني أمية ، وولى الحجاج على المشرق ، وقرّة بن شريك على المغرب ، وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظّه ، ومات بشمًا ونخمه ، وكان يزيد صاحب سلامة وحبابه ، الذي نسخ الجهاد بالخر ، وقصر أيام خلافته على العود والزمزمر ، وأول من أغلى سعر المغنيات ، وأعلن بالفاحشات ، وماذا أقول فحين أعرق فيه مروان من جانب ، ويزيد بن معاوية من جانب ، فهو ملمعون بين ملمعونين ، وعريق في الكفر بين كافرين ، وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف ابن عمر النخعي ، وكان الوليد بن يزيد خليف بن مروان ، السكافر بالرحمن ، الممزّق بالسهم القرآن ، وأول من قال الشعر في نفي الإيمان ، وجاهر بالفسوق والعصيان . . !

« وهذه المثالب ، مع عظمتها وكثرتها ومع قبحها وشفعتها ، صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العباس ، الذين بنوا مدينة الجبارين ، وفرّقوا في الملامى والمعاصي أموال المسلمين . . . !

« هؤلاء أرشدكم الله ، الأئمة المهديون الراشدون ، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون . . . ! بذلك يقف خطيب جمعتهم ، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم . . . ! »
 « فإن كسد التشيع بخراسان ، فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين ، وبالجزيرة والثغرين ، وبالجبل واليغارين^(١) ؟ وإن تحامل علينا وزير أو أمير ، فإننا نقول على الأمير الذي لا يُعزل ، وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل ، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوه ، ولا يطلب سبجلاً ولا شهادة ، وإياه تعالى نحمد على طهارة المولد ، وطيب المحدث ، ونسأله ألا يكلنا إلى أنفسنا ، ولا يحاسبنا على مقضى عملنا ، وأن يعيذنا من رعونة الحشوية ، ومن لجاج الحروريه ، وشكِّ الواقفيه ، وإرجاء الحنفية ، وتحالف أقوال الشافعية ، ومكابرة البكرية ، ونصب المالكية ، وإجبار الجهمية والنجارية ، وكسل الراونديه ، وروايات السكيسانية ، وجحد العثمانية ، وتشبيه الحنفية ، وكذب الغلاة الخطابية ، وألا يحشرنا على نصب أصفهاني ، ولا على بغض لأهل البيت طوسي أو شاشي ، ولا على إرجاء كوفي ، ولا على تشبيه قمي . ولا على جهل شامي ، ولا على تحنيل بغدادى ، ولا على قول بالباطن مغربى ، ولا على عشق لأبي حنيفة بلخى ، ولا على تناقض فى القول حجازى ، ولا على مروق سجزى ، ولا غلو فى التشيع كرخى ، وأن يحشرنا فى زمرة من أحببناه ، ويرزقنا شفاعته من توليناه ، إذا دعا كل أناس بإمامهم ، وساق كل فريق تحت لوأهم ، إنه سميع قريب ، يسمع ويستجيب^(٢) » .

ولا يسعنا فى ختام هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة إلا أن نأسف مع الخوارزمي لما أصاب بنى على من كوارث وخطوب ، حتى من بنى عمهم العباسيين ، بعد أن أقاموا دواتهم على نفوذهم ، وتاجروا بين الجماهير باسمهم فدعوا إلى (الرضا من آل محمد) . ولقد كانت هذه الكوارث التى صورها لنا الخوارزمي خاصة والمؤرخون عامة ،

(١) كذا بالأصول ؟

(٢) أنظر رسائل الخوارزمي ص ١٢٥ وما بعدها ، طبع بولاق مطبعة عبد الرحمن رشدى

من العوامل الفعالة التي زادت الشيعة تمسكاً بمقيدة المهدي ، الذي سيرفع عنهم هذه الحزن ، ويعيد إليهم حقهم المنتصب وملكهم المسلوب .

مستندات الشيعة :

لقد حرص الشيعة أكبر الحرص على تبين الأساس الديني لهذا المعتقد — معتقد المهديّة — والدفاع عنه جاهدين ضد سخرية المرتابين ، وقد استغرق ذلك صفحات عديدة من مؤلفاتهم الدينية ، وفي العصر الحديث — كما نبخبرنا « جولدزيهر ^(١) Goldziher » ظهر بفارس كتاب ، يدعو إلى التوق من الشك الذي تعاطم تياره الجارف ، فأوشك أن يذهب بالإيمان بإمام العصر الخفي .

وقد رأت الشيعة في ميدان « الحديث » الواسع مستنداً ومجأً ، فما كان هذا الميدان الفسيح جداً يرد ذا حاجة قط ، أو يوحد باباً دون ملتجئ طارق ، وسرعان ما اختلقت الشيعة الأحاديث الكثيرة ، ووضعتهم مؤيدة لوجهة نظرها ، ورفعها إلى النبي ، لتصبغ هذا المعتقد بصبغة إسلامية رسمية ، من ذلك قولهم :

« لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، و « نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا وحزبه وعمره والحسن والحسين والمهدي » ، و « قولهم « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » ، و « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » ، و « يخرج ناس من المغرب فيوطنون للمهدي » ، و « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، إلى آخر ما ابتدعوا وصنعوا وإنه لكثير . . . ١

وأمثال هذه الأحاديث لم تروها الكتب الصحيحة المتشددة في الرواية ،

كصحيحى البخارى — محمد بن اسماعيل — ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وإنما روتها الكتب الأقل تشدداً ، كسنن أبى داود وابن ماجة والترمذى والنسائى ومسنده أحمد ، ولقد أوسع علماء الحديث ونقدته هذه المجموعة نقداً وتفصيلاً ، ورفضها بشدة العلامة ابن خلدون فى مقدمته^(١) .

يقول العلامة « دونالدسن » Doneldson :

« ومما هو جدير بالملاحظة أن استعمال هذا المصطلح ، سبق تدوين الحديث بنحو مائتى سنة ، وهى مدة كافية لتبلور فكرة المهدى ، ولما كان القرآن نفسه لم يرد فيه ما يؤيد هذه الفكرة ، كان من الضرورى الالتجاء إلى الحديث لإثباتها ، وقد فنّد ابن خلدون فى مقدمته جميع الأحاديث الواردة فى هذا الصدد ، فأشار إلى عدم ورودها فى صحيحى البخارى ومسلم ، وأشار إلى أن الأحاديث الواردة فى الترمذى وأبى داود مأخوذة عن « عاصم » ، وعاصم هذا فى حديثه اضطراب ، وقد تكلم فيه ابن علىة فقال : « كل من اسمه عاصم سىء الحفظ » ، ومع هذا فبالنظر إلى عدم ذكر القرآن شيئاً عن المهدى ، وأن الأحاديث الواردة بشأنه كلها ضعيفة أو مشكوك فيها ، فإن عقيدة المهدى لا تدخل فى اعتقادات أهل السنة والجماعة^(٢) .
ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

« والناظرون فى هذه الأحاديث من أولى البصائر ، لا يجدون فى صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله من قولها ؛ فإن فيها من الغلو والخطب فى التواريخ والإغراق فى المبالغة والجهل بأمور الناس والبعد عن سنن الله المعروفة ، ما يشمر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة ، تعمّد وضعها رجال من أهل الزيف أو المشايخين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة فى بلاد العرب أو المغرب^(٣) » .

وقد عمدت الشيعة أيضاً إلى القرآن — كما عمدت إليه سائر الطوائف الإسلامية

(١) المقدمة ص ٩٦ طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٢) عقيدة الشيعة ص ٢٣١

(٣) أنظر دائرة معارف وجدى مادة « مهدى » .

المتشعبة والبيئة الاختلاف — تحاول أن تجد في نصوصه تأويلاً واضحاً سهلاً ،
أو خفياً متعسفاً ، يؤيد معتقدهم ، فيقولون :

قال الله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » قال ابن حجر في صواعقه : « قال مقاتل
ابن سليمان ومن تبعه من المفسرين ، إن هذه الآية نزلت في المهدي ، ولذلك فهم
ينظمونها في سلك الآيات الفازلة في آل البيت ^(١) » .

وأكبر الظن أنى لست في حاجة لبيان ما في هذا التفسير من مجانبة لنص
القرآن ، وقد عرض علينا « جولدزيهر » Goldziher ^(٢) تفسيراً شيعياً طريفاً لسورة
« الشمس » ، يمكن به أن نكون لأنفسنا فكرة عن هذا التأويل القرآني ومدى
تعسفه ، قالوا « والشمس وضحاها (الشمس هي محمد) ، والقمر إذا تلاها (القمر
هو علي) والنهار إذا جلاها (النهار الحسن والحسين) والليل إذا يغشاها (الليل
هو الأمويون) » !

ويحدثنا ابن قتيبة الدينوري عن مدى تعسف الشيعة في تفسيرهم لآيات القرآن
فيقول : إنهم يفسرون قوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » بأنها عائشة
رضي الله عنها . . . ويقولون في قول الله عز وجل : « فقلنا اضربوه ببعضها » إنه
طلحة والزبير ، قال ابن قتيبة : « ويقولون في الحجر والميسر إنهما أبو بكر وعمر رضي

(١) يزعم المتشيعون أن المقصود بأهل البيت في قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » إنما هو علي وفاطمة والحسن والحسين ، ومن هذا يطلقون
على ذراريهم اسم « آل البيت » ويروي الحب الطبري صاحب « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى »
أن الآية الكريمة نزلت على الرسول في بيت أم سلمة ، فدعا النبي بعلي وفاطمة والحسن والحسين
وجلبهم بكساء ، ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، قالت
أم سلمة : « وأنا معهم يارسول الله ، قال : أنت على مكانك وأنت على خير » والحق أن المقصود
في الآية بأهل البيت ، من زوجات الرسول ، فالخطاب لمن قبل هذه الآية وبمدها ، وقد كان
عكرمة ينادى في الأسواق بنزول هذه الآية في نساء النبي خاصة ، فأزواج النبي — أمهات
المؤمنين — هن أهل البيت ، أما ذرية فاطمة فهم آل علي لا آل البيت آل النبي ، وهذا دون
شك ما يقره الأسلوب القرآني المنزه عن العبث والإسفاف .

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٣١

الله عنهما ... ! والجبب والطاغوت إنهما معاوية وعمر بن العاص ... ! مع محائب
أرغب عن ذكرها ، ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها^(١) .

وهذا تفسير شيعي آخر طريف إلى أبعد حدود الطرافة رواه لنا الأغاني قال :
« كان بشار جالسا في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالى
المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل (وأوحى ربك إلى النحل أن
اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر) ؟

» فقال له بشار : النحل التي يعرفها الناس ، قال : هيها يا أبا معاذ ، النحل :
بنو هاشم ، وقوله (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)
يعنى العلم ... ! فقال له بشار : أرانى الله طعامك وشرابك فيما يخرج من بطون
بنى هاشم ، فقد أوسعنا غنائنا ... ، ففضب وشتم بشارا ، وبلغ المهدي الخبر ،
فدعا بهما فسألها عن القصة ، فحدثه بشار بها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ،
ثم قال للرجل : أجل ! فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم
فإنك بارد غث^(٢) ... » .

والحق أن تفسير الشيعة لنصوص القرآن ، كان بعيدا كل البعد عن روحه
الظاهرة وعن مادة اللغة نفسها ، ولم يكن قط حائرا لرضى أهل السنة ، أو أهل اللغة
الذين كانوا ينظرون إليه بعين السخرية والاستخفاف ، قال الشعبي — فيما يرويه
لنا ابن عبد ربه :

« ماشبهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف من بنى مخزوم
من أهل مكة ، وجدته قاعدا بفناء الكعبة فقال (أى للشعبى) : ما عندك في
تأويل هذا البيت ؟ فإن بنى تميم يغلطون فيه ؛ يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم ،
وهو قول الشاعر :

(١) أنظر تأويل مختلف الحديث ، ص ٨٦ ط الكردى بالقاهرة .

(٢) أنظر الأغاني ص ٣٠٨ ط الدار .

بيت زُرارة مُحْتَبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت وأشار بيده إلى الكعبة ، وزرارة : الحجر زُرَّ حول البيت ، فقلت له : فجاشع ؟ قال : زمزم ؛ جشعت بالماء ، قلت : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت : فهشل ؟ ففكر فيه طويلاً ثم قال : أصبته ... ؛ هو مصباح الكعبة طويل أسود ، وهو النهشل ^(١) ... ! » .

وتزاحم الصوفيَّة الشيعة في هذا الميدان من التأويل الباطني لآيات القرآن ، وقد كتب في ذلك مشايخهم كالنستري والسلمى ومحيى افدين بن عربى . وهذا التفسير الخفى عندهم — وهم الخاصة — هو مراد الله ، وهو « الحقيقة » أما التفسير الظاهرى لنصوص الكتاب عند العامة — غير الواصلين إلى مراتب المعرفة بالكشف والفناء بالاندماج — فهو « الشريعة » ، والأول عند الصوفية هو الحق ؛ لاعتماده على الإشراق والكشف ، وهو معرفة تشبه إلى حد كبير — كما يقول العلامة الطيب الذكر « نيكلسون » Nicholson — فكرة الغنوصية في الديانة الهلنستية ؛ فهى تأمل انتشائى في الله يشعر به القلب الذى غمره الضوء الإلهى ، وليس للعقل الإنسانى فيها نصيب ^(٢) ، وأما التفسير الثانى للقرآن وهو تفسير « الشريعة » وما يتصل به من علوم الظاهر ، فيعتمد على اللغة والفكر البشرى والتلقى عن المشايخ والاستفادة من الكتب ، وهو لهذا تافه لا قيمة له ، بعيد عن الحق عند الصوفية وإخوانهم الشيعة .

ومن مستندات الشيعة أخيراً قول على أو علوى في (النهج) : « لتعطفن

(١) العقد الفريد ٢ ص ٤١٠ وما بعدها ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، وانظر ابن قتيبة : عبون الأخبار ٢ ص ١٤٦ ط الدار ؛ وابن قتيبة أيضاً « تأويل مختلف الحديث » ص ٨٦ ط الكردى بالقاهرة

(٢) أنظر ما كتبه في ذلك « نيكلسون » Nicholson في مجموعة دراساته التى ترجمها الأستاذ أبو العلا عفيف باسم « في التصوف الإسلامى وتاريخه » ص ١١٥ وما بعدها .

الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس^(١) على ولدها ، وتلا عقيب ذلك (وزريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) .

« قال ابن أبي الحديد : « والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذى يملك الأرض في آخر الزمان ؛ وأصحابنا يقولون إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لا بد أن يكون موجوداً ، وإن كان غائباً إلى أن يظهر ، بل يكفى في صحة هذا الكلام ، أن يُخلق في آخر الوقت^(٢) » .

ولا يعزب عن بالنا أن « النهج » منحول على عليّ ، وقد صنفه محمد بن الحسين العلوى المعروف بالرضى ؛ قال ابن شهر آشوب السَّروى وهو شيعى من أهل القرن السادس : « الشريف الرضى الموسوى ، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين ، له نهج البلاغة^(٣) ... الخ »

وقيل صنفه أخوه على بن الحسين الملقب بالمرتضى ، وكلاهما من أئمة الإمامية ومن فصحاء العربية ؛ قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » :

« من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، ففيه السبُّ الصراح والخطُّ على السيدين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين ، جزم بأن أكثره باطل^(٤) » .

وفى هذا الصدد يقول العلامة المرحوم محمد إسماعيل النشاشيبي :

« فتلك الأقوال في النهج ذوات الأنباء بالغيب ، وكلام ابن أبي الحديد ،

(١) الضروس : الناقة .

(٢) شرح النهج مجلد ٤ ص ٣٣٦

(٣) انظر « معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً » لابن شهر آشوب السَّروى رشيد الدين أبي جعفر محمد بن على المتشيع المتوفى عام ٥٨٨ هـ ، ص ٤٤ ، وكتابه هذا تمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبي جعفر الطوسى ، وقد نشره عباس إقبال بطهران عام ١٣٥٣ هـ .

(٤) الإسلام الصحيح ١ ص ٣٣٦ ط القدس .

وتلك الألفاظ المولدة في الخطب ، دع عنك المقالات الكلامية والمذاهب الإمامية والاعتزالية ، والكلمات الإغريقية والفارسية ، وتباين الأنفاس المختلفة ، وتباعد الأساليب في القول ، وأغلاط في اللغة وفي علم العربية — وإن قلت — كل ذلك يُسند مذهب إليه (منهاج السنة) و (ميزان الاعتدال) و (مختصر إرشاد الحيارى) ، ويحققه ، ويدفع كلام ابن أبي الحديد ومن ماشاء ويزهقه (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ^(١)) .

غمرة السبعة وألوهية الأئمة :

سبق أن تحدثنا إليك عن عقيدة الشيعة في « الإمام » وما فيها من تقديس ، وعن نظرهم إلى إمامهم الأول « علي » ، وما فيها من إفراط وغلو . وقد ساق هذا الإفراط بعضهم إلى أن قالوا بنبوته ، وهؤلاء هم جماعة « الفُرايية » القائلين إن محمداً كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب فالتبس الأمر على جبريل وأعطى الرسالة خطأً لحمد ، ولا لوم عليه في هذا الخطأ غير المقصود ، بيد أن منهم جماعة تلعبه وتسكفقه ؛ لأنه تعتمد إعطاء الرسالة لحمد ^(٢) . وقال العلوي بن ذراع الدوسي — وقيل الأسدي صاحب فرقة العلوية — بألوهية علي ، وأنه هو الذي بعث محمداً ، وكان يدعو إلى ذمّه قائلاً إن محمداً بعث ليدعو إلى علي ، فدعا إلى نفسه ^(٣) . . . !

وقد اصطدم هؤلاء جميعاً بقول القرآن « محمد رسول الله » فذهبوا — موتورين — بطعنون في القرآن وينسجون الأساطير حول شخصية علي ، فقالوا بحلول جزء إلهي فيه ، فهم إذ حرمهم الواقع نبوة صاحبهم ، يعيشون في جور ميثولوجي وراء ألوهيته .

(١) الإسلام الصحيح ١٠ ص ٣٥٥

(٢) الفصل لابن حزم ٤ ص ١٨٣ ، وانظر الفرق بين الفرق للبيهقادي ص ١٥٢

ومختصره للرسني ص ١٥٧ ، وانظر أيضاً الإسفرايني « التبصير في الدين » ص ٧٤ .

(٣) أنظر الشهرستاني « الملل والنحل » ٢ ص ١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

وكان أول القائلين بألوهية عليّ هو ابن سبأ ، الذي زعم أن روح الله حلت في كل نبي ، وأنها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر ، وقد انتقلت بعد وفاة محمد إلى عليّ ، ثم إلى أبنائه الذين انتقلت إليهم الإمامة ، وقد واجه ابن السوداء علياً بعقيدته هذه فقال له « أنت أنت » أي أنت الإله ، فنفاذ عليّ إلى المدائن وأحرق بالنار كثيراً من رجال فرقته « السبائية » ، الذين واجهوه أيضاً بقولهم — كما يحدثنا ابن حزم^(١) — « أنت هو » فقال لم عليّ : « ومن هو ؟ » قالوا « أنت الله » ! فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأجّجت وألقى بهم فيها ، فجعلوا يقولون « الآن صبح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله » ! وفي ذلك يقول عليّ :

لما رأيتُ الأمرُ أمراً مُنكراً أُجّجتُ ناراً ودعوتُ قُنبراً^(٢)

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد « بيان بن سمان » — وقيل بنان — التميمي الهدي ، مؤسس فرقة « البيانية » فقد كان له في هذا المذهب شأن خطير ؛ حدثنا الشهرستاني قال :

« وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، قال : حلّ في عليّ جزء إلهي واتحد بجسده ، منه كان بعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصر والظفر ، وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال : (والله ما قلمت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ، ولسكن قلعته بقوة ملكوتية)^(٣) .

بيد أن صاحبنا هذا « بيان » لم يقف عند القول بألوهية عليّ ، بل انضاف وراء أضراليل ابن السوداء ، فزعم أن الجزء الإلهي قد انتقل إليه من عليّ بنوع

(١) « الفصل » ح ٤ ص ١٨٦ ، والشهرستاني ح ٢ ص ١١ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٣ ، ومختصره للرسمي ص ١٤٢ ، والتبصير في الدين ص ٧١ ، وانظر كذلك « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ص ٨٧ .

(٢) قنبر : خادم عليّ ، ونلاحظ هنا أن عقوبة عليّ للسبائية بإحراقهم بالنار على مقاتلتهم فيه ، لم يسبق لها نظير في الإسلام .

(٣) أنظر الملل والنحل ح ١ ص ٤٠٢ على هامش ابن حزم .

من التناسخ ، بعد حلوله في محمد بن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم ، فاستحق « بيان » بذلك أن يكون إماماً ، وقد كتب إلى محمد الباقر يدعوه إلى نفسه ، ويقول له : « أسلم تسلم — فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة »^(١) . ولكن يبدو أن مزاعم « بيان » ومحاولته الزّج بنفسه في عداد الأئمة بهذا الطريق الملتوى ، لم تقابل من مشايخ الشيعة إلا بالاستخفاف والازدراء ، مع أنه كان يؤكد إمامته بزعمه أن الله أشار إليه في القرآن بقوله « هذا بيان للناس »^(٢) ، ثم كانت خاتمته على يد خالد بن عبد الله القسري ، الذي أحرقه بالنار هو والمغيرة بن سعيد المجلي في يوم واحد عام ١١٩ هـ^(٣) ، وقد كان المغيرة أيضاً من الغلاة في علي^(٤) ، القائلين بقدرته على إحياء الموتى ؛ قال ابن قتيبة : « قال الأعشى : قلت للمغيرة هل كان عليّ يحيي الموتى ؟ فقال : لو شاء لأحيا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً »^(٥) . وفي عام ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م كان أحد خطباء الشيعة ببغداد يدعو في خطبة الجمعة بعد الصلاة على النبي فيقول : « وعلى أخيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب مكلم الجمعة ، ومحبي الأموات ، البشريّ الإلهي ، مكلم الفتية أصحاب الكهف » .

وقد وُجد في العصر الحديث — كما يحدثنا «جولدزيهر» Goldziher^(٦) — من يعبد عليّاً بين فلاحي التركان ، الذين يقطنون مقاطعة « قارص » (أردغان) التي تنازلت عنها تركيا لروسيا بعد الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م^(٧) .

(١) الملل والنحل - ١ ص ٢٠٥ .

(٢) أنظر ابن حزم - ٤ ص ١٨٥ ، وعيون الأخبار - ٢ ص ١٤٨ .

(٣) أنظر الطبري - ٨ ص ٢٤٠ وما بعدها ط الحسينية .

(٤) الشهرستاني - ٢ ص ١٣ على هامش ابن حزم ، وانظر أيضاً ابن حزم - ٤

(٥) عيون الأخبار - ٢ ص ١٤٩ ط الدار .

(٦) العقيدة والشرعية في الإسلام - الترجمة العربية - ص ٣٣٢ .

(٧) هذه المقاطعة هي من أملاك تركيا اليوم ، وتطالب بها في إصرار روسيا السوفيتية .

بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد قام العلامة « ديفتسكى » Devitzki بدراسة أحوال هذه الطائفة ومعتقداتها ، وإن كنا — مع الأسف — لم نحظ بالاطلاع على نتائج دراسته .

وقد تبرأ السيد الحيرى ، شاعر الشيعة الكيسانية من هذا الغلو فى على^(١) فقال :
 قَوْمٌ غُلَوُا فِي عَلَى لَا أَبَا لَهُمْ وَأَجْشَمُوا أَنْفُسًا فِي حَبِّهِ تَعْبَا
 قَالُوا : هُوَ اللَّهُ : جَلَّ اللَّهُ خَالِقُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ ابْنُ شَيْءٍ أَوْ يَكُونَ أَبَا
 وقال شاعر آخر هو إسحق بن سويد العدوى^(٢) :

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنَ الْغَزَالِ مِنْهُمْ وَابْنُ بَابٍ^(٣)
 وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

وبعد تأليه على^(٤) ، نرى القول بالوهية الأئمة قد انتشر فى الأوساط الشيعية ، وقالت به منهم طوائف عدة ، حدثنا عنها كثير من مؤرخى الفرق الإسلامية كآبى منصور عبد القاهر البغدادى المتوفى عام ٤٢٩ هـ فى كتابيه « أصول الدين » و « الفرق بين الفرق » ، كما حدثنا عنها الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » ، وابن حزم فى « الفصل » والشهرستانى فى « الملل » ؛ فن هؤلاء القائلين بحلول الجزء الإلهى فى زعمائهم البشر ، أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، الذى حلت فيه عندهم الروح الإلهية ، ومن الغلاة من ألّه أصحاب الكساء الخمسة ، محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا : خستهم شىء واحد ، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر ، وقد كرهوا أن يقولوا (فاطمة) بالتأنيث فقالوا (فاطم) وفى ذلك يقول شاعرهم^(٥) :

تَوَلَّيْتُ بَعْدَ اللَّهِ فِي الدِّينِ خَمْسَةً نَبِيًّا وَسَبْطِيهِ وَشَيْخًا وَفَاطِمًا

(١) المقد الفريد لابن عبد ربه - ٢ ص ٤٠٥ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٧١ نشر السطار ، وانظر أيضاً التبصير فى الدين

للاصفهاني ص ٤١ ، والمقد الفريد - ٢ ص ٤٠٥ .

(٣) النزال ، وابن باب : كنيته واسل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد من شيوخ المعتزلة الأول .

(٤) أنظر الشهرستانى - ٢ ص ١٣ على هامش ابن حزم .

ومن « المغيرية » من قال بالوهمية المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسري ، وقد كان المغيرة يقول بها في عليّ فأحرقه مولاة .

وزعمت « المنصورية » ^(١) أن أبا منصور المجلى عُرج به إلى السماء ، وأن الله سبحانه مسح بيده على رأسه وقال : « يا بني بَلِّغْ عَنِّي » وأنزله بعد ذلك إلى الأرض فهو « الكسف » الساقط من السماء ، وهو المعنى بقوله تعالى : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » إلى آخر الآية ، فقليل لهذه الطائفة « الكسفية » ، وكانت خاتمة أبي منصور هذا على يد والي الكوفة يوسف بن عمر أيام هشام بن عبد الملك . وهناك أتباع أبي الخطاب الأسدي ^(٢) الذين يؤهلون جعفرأ الصادق ، والمفتنحُ الخراساني ، الذي زعم أن روح الإله قد حلت فيه بعد أبي مسلم ، وتابعه في دعواه هذه أشياح وأنصار ^(٣) ، وغير هؤلاء كثيرون !....

ولا يسع الباحث إلا أن يتساءل : من أي مصدر استقت الشيعة هذه التعاليم ؟ ومن ذلك الذي جلب بذورها ورمى بها في تربة الإسلام الشيعي ، فكان لها أسوأ الأثر لدى جمهور أهل السنة ، والمُنصفين من الفرق الإسلامية الأخرى ؟

نحن لا نشك في أن للنقاش المسيحي حول شخصية « يسوع » ، ولتلك المسيحية المفلسفة التي ناقشت طبيعة « المسيح وعيسى » — لاهوته وناسوته — تلك التي اختط منهاجها « أوريجونس » Origenes (١٨٥ — ٢٥٤ م) ، أقول : كان لذلك دون ريب أكبر الأثر في القول بحلول الجزء الإلهي في أئمة الشيعة ، ونحن لا نشك كذلك في أن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية من المسيحية المفلسفة ، وزعمها في عليّ وذريته ، وقد زجَّ بها — كما عودنا في كثير من المعتقدات

(١) الشهرستاني ٢ ص ١٤ وما بعدها ، وابن حزم ٤ ص ١٨٥ ، وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ص ١٤٩ ، ومختصره ص ١٣٤ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢ ص ١٦ ، وانظر ابن حزم ٤ ص ١٨٧ والبغدادى في « الفرق » ص ١٥٠ ، ومختصر الرسعنى ص ١٣٥ .

(٣) أنظر التبصير في الدين للأسفرائيني ص ٧٦ وما بعدها .

والمذاهب الأجنبية - في البيئة الإسلامية ، لا سيما تلك التي تقدّس « آل البيت » ،
فنمت وازدهرت وما زال يترقرق في أغصانها ماء الحياة حتى العصور الحديثة .
وإنما لأنّس في هذا الصدد بما يحدثنا به العلامة الشهرستاني إذ يقول :
« وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب
اليهود والنصارى ؛ إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ،
فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق
بعض الأئمة » ^(١) .

ويقول ابن خلدون :

« ومنهم طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حدّ العقل والإيمان في القول بالوهمية
هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حل في ذاته
البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه » ^(٢) .

(١) أنظر الملل والنحل ج ٢ ص ١٠ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية -

(٢) أنظر « المقدمة » ص ٩٦ وما بعدها ط يولاق عام ١٢٧٤ هـ .

المهدى عند الشيعة

مهدى الشيعة ، إمام من أئمتهم الختفين ؛ له كل ما للإمام الظاهر من خصائص روحية ، ولا بدّ من ظهوره بعد اختفاء ، تويده العناية الإلهية ، وأئس ظهوره فقط لتخليص العالم وتطهيره من الجور ، ولكن لينتصر أيضاً لآل البيت الذين ذاقوا صنوف الخسف من مختلف الحاكين .

وليس هذا المهدي الختفي في عزلة تامة عن شيعته ، بل يتصل به الصفوة منهم اتصالاً شخصياً مباشراً ؛ روى الشعراني — فيما حدثنا به « جولدزيهر »^(١) Goldziher — عن الصوفي حسن العراقي أنه في حديثه — وهو مقيم بدمشق — قد أضاف المهديّ وقراه أسبوعاً كاملاً ، وأخذ عنه أساليب الذكر والزهادة ، وأن الفضل في طول عمره يرجع إليه . وقد كانت سنّ العراقي عندما روى عنه الشعراني روايته هذه سبعاً وعشرين ومائة سنة .

وليس حتماً أن يكون الاتصال بالمهدي شخصياً ، بل يجوز أن يكون بطريق التراسل ، وقد قال رواة الشيعة ، إن بعض علمائهم في التفسير قد راسل المهدي لاستجلاء بعض المسائل الغامضة في أبواب التشريع الإسلامي الشيعي ، كما يقولون إن عليّ بن بابويه القمّي — والد الفقيه المتشيع أبي جعفر محمد المعروف بالصدوق والمتوفى بالري عام ٣٥١ هـ^(٢) = ٩٩١ م — قد أرسل طلباً مكتوباً إلى المهدي — وهو هنا مهدي الإمامية الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري — مع رجل يدعى عليّ بن جعفر بن الأسود ، يسأله فيه أن يتشفع له عند الله ليرزقه العقب ويرفع عنه محنة العقم ، فنسلم بعد قليل براءة مكتوبة من المهدي ، بشره فيها بولدين كان الفقيه

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٥ .

(٢) ذكرت « دائرة المعارف الإسلامية » أن تاريخ وفاته الهجري هو عام ٣٨١ ، راجع هذه المادة في المجلد الأول من الترجمة العربية للدائرة .

أبو جعفر الصدوق أكبرهما ، وكان كثيراً ما يفتخر هذا الفقيه ، بأنه مدين بوجوده لبشرى « صاحب الأمر »^(١) .

ولمهدى الشيعة كثير من خصائص الأنبياء السابقين ، قال صاحب الكافي :
« قال الصادق : نظرت في صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر الذي خص الله به محمداً والأئمة من بعده ، وتأملت فيه مولد غائبنا ، وغيبته ، وإطائه ، وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدر ذكره : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) معنى الولاية . قلنا يا ابن رسول الله ، كرمنا وشرّفنا ببعض ما أنت تعرفه من علم ذلك : قال : إن الله جعل في القائم منّا سنناً من سنن أنبيائه ؛ سنة من نوح : طول العمر ، وسنة من إبراهيم : خفاء الولادة واعتزال الناس ، وسنة من موسى : الخوف والغيبة ، وسنة من عيسى : اختلاف الناس فيه ، وسنة من أيوب : الفرج بعد البلوى ، وسنة من محمد : الخروج بالسيف يهتدى بهداه ويسير بسيرته »^(٢)

وسيطر بظهور المهدي ، ذلك التراث الضخم الذي انحدر إلى الأئمة من الإمام الأول على ، والذي ظل عندهم سرّاً مكتوماً ، والكافي يحدّثنا عن شيء من هذا التراث الذي سيزوّد به المهدي ؛ فسيكون معه حجر موسى ؛ به يطعم جيشه ويسقيه ، والجفران — الأكبر والأصغر — ، ومصحف على . ومصحف فاطمة ، والجامعة ، وصحيفتان ؛ إحداهما فيها أسماء شيعته وأنصاره إلى يوم القيامة ، وفي الأخرى أسماء أعدائه كذلك ، وسيكون معه أيضاً درع النبي وسيفه ذو الفقار^(٣) .

والجفران — كما تقول الشيعة — إهاب ماعز وإهاب كبش ؛ فيهما زبور داود

(١) أحد ألقاب مهدي الاثني عشرية ، محمد بن الحسن العسكري ، الخنفي في السرداب منذ عشرة قرون ونصف ، وانظر فيما يتعلق بموضوع ابن بابويه القمي كتاب « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والصريفة في الإسلام » الترجمة العربية ص ٣٤٥ .

(٢) أنظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٩٩ نشر الخانجي بالمعاصرة .

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ وما بعدها .

«توراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء . ومن مضى من علماء بنى إسرائيل ، وفيهما عامة الحلال والحرام ، وعلم ما كان وما يكون . وقد أطلقت لفظة « الجفر » على الكتب الخفية الغامضة التي تبحث في التنبؤات عامة ، وتناول هذه الكتب وشرحها ، هو موضع اهتمام المشتغلين بالسحر والطلاسم ، وكثيراً ما أسهم الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، بنصيب كبير في الاشتغال بهذه الكتب .

وقد سخر ابن قتيبة من تفسير الروافض للقرآن الكريم ، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعد بن هارون العجلي ، وقال فيه ^(١) :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلامهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا : إله ، ومنهم طوائف سمته النبي المطهرا
فإن كان يرضى ما يقولون جعفر فإني إلى ربي أفارق جعفرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجمرا
وقد سخر أيضاً شاعر المعرة ، أبو العلاء — الفيلسوف الإسلامي المتشائم —
من جفر الشيعة في قوله ^(٢) :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك ^(٣) جفر
ومرأة المنجم وهى صفرى أرته كل عامرة وقفر
أما مصحف على ، فهو عندهم القرآن الصحيح الذى نزل به جبريل من السماء ، وهو يختلف عن مصحف السنة ؛ روى الكافى عن الصادق أن القرآن الذى نزل به الوحي على محمد سبعة آلاف آية ، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٥ وما بعدها ط (الدار) ، وانظر « تأويل مختلف الحديث » ص ٨٥ ، ونظر أيضاً البغدادى « الفرق بين الفرق » ص ١٥٣ وما بعدها .
(٢) اللزومات ج ١ ص ٣٩٠ ط المحروسة ١٨٩١ م .
(٣) المسك : الجلد .

وستون آية فقط ، والبواقي مخزونة عند أهل البيت ، فيما جمعه علي بن أبي طالب ؛ قال الكليني : « إنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فسا جمعه وحفظه كما نزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده » ^(١) . وليس مصحف السنة ناقصاً فحسب ، بل هو عند غلاة الشيعة مغيرٌ مبدلٌ ؛ تعتمدُ جامعوه حذف الآيات النازلة في عليّ ووضع أخرى مكانها في محمد ؛ قال عبد القاهر البغدادي :

« والخلاف الثالث مع الروافض الذين قالوا : لاحجة اليوم في القياس والسنة ولا في شيء من القرآن ، لدعواهم وقوع التحريف فيه من الصحابة ، وقد زعموا أن الحجة ، إنما هو قول الإمام الذي ينتظرونه ، وهم قبل ظهوره في التيه حيارى ، إلى أن يستنقذهم الإمام الذي ينتظرونه ، إذا ظهر ، بزعمهم » ^(٢) .

وقال ابن حزم : « ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدلٌ ؛ زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وُبدل منه كثير » ^(٣) . وأما مصحف فاطمة ، فهو قرآن من نوع آخر ، مخزون عند آل البيت ، إلى أن يخرج به المهدي ؛ روى الكليني :

« قال الصادق : هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ؛ مكثت فاطمة بعد النبي خمساً وسبعين يوماً ، صُبَّت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها وعمها يحدث لذريتها ، وكان عليّ يستمع ويكتب ماسمِع ، حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه شيء من حلال ومن حرام ، ولا يكن فيه علم ما يكون » ^(٤) .

و « الجامعة » قالوا : هي صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، فيها جميع ما يحتاج إليه

(١) السكافي ج ١ ص ١١٠ ، وانظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جارا الله ص ٢٣ ، وانظر أيضاً « التبصير في الدين » للأصفهاني ص ٢٤ وما بعدها .

(٢) أنظر « أصول الدين » ص ١٩ ط استانبول ١٩٢٨ م .

(٣) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ج ٤ ص ١٨٢ ط مطبعة التمدن .

(٤) السكافي ج ١ ص ١١٥ ، وانظر أيضاً « الوشيعة » ص ٩٨ .

الناس وهي من إملاء النبي وخط علي^(١) . . .

ويهزأ الإسلام الشنئ بكل هذا التراث الموهوم ، ويمده من الشيعة سرقة في القول وشططاً بل خطأ وخبطاً ، ويقطع أهل السنة بكفر من شك في القرآن ، أو قال بنقصه أو تبديله ، مجمعين على أن مصحف عثمان هو تماماً الذي هبط به جبريل على محمد ، كما ينكرون نزول جبريل من السماء بعد موت الرسول ، ويشكون — محقين — في إسناد ما يروى من أمثال هذه الأقوال إلى جعفر الصادق .

وجعفر الصادق هذا الذي ينتقل عنه الكافي — بحار الشيعة — بكثرة ظاهرة ، وترتفع إليه روايات الشيعة مسندة أو دون إسناد ؛ هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر ، فهو علوي الأب بكرى الأم ، وفي هذا الصدد يقول الشريف الرضى :

وحزنا عتيقاً وهو غاية فخرم بمولد بنت القاسم بن محمد ولقرايته هذه من جده الخليفة الأول أبي بكر ، كان يُنظر إليه دائماً نظرة فيها الكثير من الاحترام والاعتدال ، والصادق سادس الأئمة الاثني عشرية ، وقد لقَّب بالصادق لصدقه في القول ، كما لقَّب أبوه محمد بالباقر لتبقره في العلم أى توسعه فيه . وقد وُلد جعفر عام ٨٠ هـ وتوفي في شوال عام ١٤٨ هـ في العام العاشر من حكم الخليفة أبي جعفر المنصور ، ودفن ببيمع الفرقد بالمدينة مع أبيه وجده وعم جده الحسن بن علي .

ويحتل الصادق لدى جمهور أهل السنة مكانة محترمة ، لذلك يشكون في كل ما ينسب إليه من أقوال بعيدة عن روح الإسلام السنئ ، الذي يظهر أن الصادق لم يؤخذ عليه في حياته ما يتناقض معها أو يبدو غريباً عنها^(٢) . وقد زعمت

(١) « الشيعة » ص ٩٨ .

(٢) يؤيد ذلك ما رواه العلامة الألوسي ، إذ يحدثنا فيقول :

« وأطلق بعض الغلاة من الشيعة القول بالإيحاء إلى الأئمة الأطهار ، وهم رضى الله تعالى عنهم بمزلة عن قبول قول أولئك الأشرار ؛ فقد روى أن سديراً الصيرفي سأل جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه فقال :

« النواسية »^(١) أن جعفرأ هذا هو المهدي المنتظر ؛ فقالت بحياته وعدم موته حتى يظهر ويظهر أمره ، ورووا عنه أنه قال : « لو رأيتم رأسي يُذهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا ، فإنني صاحبكم صاحب السيف » .

ونحن لانعلم إلا القليل عن أوصاف الصادق الجسمية ، إلا أنه كان أبيض الوجه والجسم أثم الأنف حالك الشعر ، ولم يُذكر كذلك إلا القليل عن حياته البيتية غير أننا نعلم أنه أعقب أولاداً عشرة ، سبعة ذكور وثلاث بنات من أمهات مختلفات ومن نساء كان يتسراهن . أما في عالم السياسة فلم يكن له — فيما يظهر — شأن خطير في ميدانها ، بل كان يمتاز بطابع الزهد في الدنيا والابتعاد عن ذوي السلطان ، سواء أكان ذلك عن تقية منه أو عن عقيدة ومبدأ ، وقد بدا هذا الطابع السلبي في موقفه من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ؛ فقد كتب إليه :

« لم لا نقشانا كما نقشاننا الناس ؟ فأجابه : ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة قهنيك بها ، ولا نعدّها نعمة فنمزيك لها » ، فكتب إليه المنصور : « نصحبنا لتنصحبنا » ، فأجابه الصادق بقوله : « من يطلب الدنيا لا يتصحبك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك »^(٢) .

حكى المسعودي^(٣) أن أبا سلمة (داعية العباسيين) حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام ، أضمر الرجوع — عما كان إليه من الدعوة العباسية — إلى آل أبي طالب

== « جعلت فداك » ، إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثر ، حتى قال بعضهم : إن الإمام ينكت في أذنه ، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف في قلبه ، وقال آخرون : يرى في منامه ، وقال آخرون : لما يقضى بكتب آياته ... ! فبأى جوابهم أخذ يجملني الله فداك ؟ .

« قال : لا تأخذ بشيء مما يقولون ياسدير ، نحن حجج الله تعالى وأمانؤه على خلقه ؛ حللنا من كتاب الله تعالى وحرامنا منه » . أنظر تفسير الألوسي > ٧ ص ٦٥ ط بولاق .

(١) أنظر الشهرستاني > ٢ ص ٣ على هامش ابن حزم ، وانظر أيضاً ابن حزم > ٤ ص ١٨٠ ، والفرق بين الفرق ص ٣٨ وما بعدها ، ومختصره للرسني ص ٥٦ .

(٢) الكشكول لبهاء الدين العاملي > ١ ص ١٢٩ ط بولاق .

(٣) أنظر مروج الذهب > ٨ ص ٢٨ وما بعدها على هامش ابن الأثير .

فبعث بكتابين مع رسول إلى المدينة ؛ أحدها إلى جعفر (الصادق) ، والآخر إلى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب فلما وصل الرسول إلى جعفر ، أعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه ليلاً ، فقال جعفر : وما أنا وأبو سلمة ، وأبو سلمة شيعة لقيري ؟ قال له : إني رسول فقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت ، فدعا جعفر بسراج ، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق ، وقال : للرسول : عرّف صاحبك بما رأيت ، ثم تمثل بقول الكميّ :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

ومهما يكن من شيء فلقد كان لموقف الصادق السلي أثر كبير في نجاته من اضطهاد بنى أمية وبنى العباس على السواء ، في عصر كان يمجج بالدسائس والفتن ، وقد اكتسب الصادق بسياسته هذه ، رضى الخليفة الصارم أبي جعفر المنصور ، حتى يتحدثنا ابن واضح اليعقوبى فيقول :

« قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً وقد اخضلت لحيته بالدموع ، وقال لى : ما علمتَ ما نزل بأهلك ؟ فقلتُ وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفى ، فقلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : جعفر بن محمد ، فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه ، فقال لى : إن جعفرأ كان ممن قال الله فيه (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات ^(١) . »

وقد عُرف الصادق — كأبيه — بعلمه الفياض الغزير ، لاسيما درايته الواسعة بالحديث ؛ قال الشهرستاني :

« وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويُفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، مات عرض للإمامة

(١) أنظر تاريخ ابن واضح - ٣ من ١١٧ ط النجف بالعراق ١٣٥٨ هـ .

قط ، ولانازع أحداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط^(١) .

وقد تتلمذ عليه عالم المدينة الإمام مالك بن أنس ، واستمع إليه عالم العراق أبو حنيفة النعمان . ويقال إنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء ، وقد نُسب إليه كتاب « الجفر » ، وذكر ابن خلكان^(٢) أن من تلامذته جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي ، الذي جمع رسائل أستاذه وهي خمسمائة في كتاب ، يشتمل على ألف ورقة . والصادق يشغل — كما قلنا — في كتب الشيعة مكانا ملحوظا ؛ فلا يكاد يخلو كتاب من إسناد أقوال وأحاديث وروايات إليه ، « ولم يرو عن أحد من أهل بيته مارو عنده ، حتى قال الحسن بن علي الوشاء — من أصحاب الرضا — : أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ ، كل يقول : حدثني جعفر بن محمد . . . وذكروا أن الرواة عنه بلغوا نحو أربعة آلاف رجل^(٣) » . ونحن لانشك في وضع الكثير من تلك الأقوال على لسانه ؛ قال الشهرستاني : « لكن الشيعة بعده افرقوا ، وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروجه على أصحابه ، فنسبه إليه ور بطة به ؛ والسيد برىء من ذلك^(٤) . . . » .

وقد اختلف في الصادق رجال الحديث ، فالبخاري أسقط روايته^(٥) ، وقال يحيى ابن سعيد « في نفسى منه شيء » وقال القطان : « مجالد أحبّ إلىّ منه^(٦) » ، وقد وثقه الشافعي ، ويحيى بن معين وابن عدى وغيرهم^(٧) ، ويصفه الذهبي بأنه

(١) اللال والنحل ج ١ ص ٢٢٤ و ج ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٥ ط الحلبي ، وانظر أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٢٢٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٣) أعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي ج ٤ ص ٦٥٠ ط دمشق .

(٤) اللال والنحل ج ٢ ص ٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٥) أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٧ ط حيدرآباد ١٣٣٣ هـ ، وانظر أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٢٢٠ .

(٦) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٧) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ ، وانظر ضحى الإسلام

لأحمد أمين ج ٣ ص ٢٦٥

سيد بنى هاشم^(١) ، وقال ابن حبان : « كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماء وفضلاً ، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه . . . ، وقد اعتبرت حديث الثقات عنه ، فرأيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأئمة ، ومن الحال أن يلصق به ما جناه غيره^(٢) . . . » .

أما تلك المؤلفات التي تحمل اسم الصادق في التنجيم والسحر والكمياء ، فنحن لانشك في أنها قد دُسَّت عليه فيما بعد .

ولابد لنا قبل أن نختم هذا الفصل ، أن نعالج مسألة وقت ظهور مهدي الشيعة . وخروجه من مخبأه فنقول : لعل من الطبعي أن يميل أنصار هذا المعتقد إلى تحديد اللحظة التي يظهر فيها إمامهم المهدي ، متلهفين قلقين ، مشرئين أعناقهم واجفة قلوبهم ، كما أوضحنا في حديثنا عن « الرجعة » . وقد قام بهذه المحاولة بعض من الصوفية والشيعة ، الذين سلكوا — كما يقول « جولدزيهر »^(٣) Goldziher — نفس الطريق الذي سلكه فقهاء اليهود ، فقد سبق أن قام هؤلاء بحسابات تأويلية في هذا الصدد ، انتهجها الإسلاميون فأولوا آيات القرآن الكريم ، وحاولوا جذبها إليهم جذبا غنياً ، وتفسيرها تفسيراً متعسفاً ، كما قاموا أيضاً بحسابات ونجميات للحروف والأعداد ، ليصلوا من ذلك كله إلى تحديد الوقت الذي يظهر فيه إمامهم الخفي . ولم تصادف هذه المحاولة نجاحاً ولا قبولاً في الإسلام الشيعي بوجه عام ؛ إذ لم يرق هذا الصنيع لدى أقطاب التشيع المعتدل ، فنددوا بهؤلاء « الموقتين » ووصموهم بالخداع والتدجيل ، وحظروا الاشتغال بمثل هذه المسألة ، محتجين في ذلك بأقوال وروايات للأئمة ، وهذه الروايات تؤلف في « الكافي » فصلاً خاصاً هو « باب كراهية التوقيت »^(٤) . وقد آلف أحد غلاة الشيعة وهو محمد بن حسن القمي

(١) أنظر دول الإسلام للذهبي ١ ص ٧٢ ط حيدر آباد ١٣٦٤ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٢ ص ١٠٣ ط حيدر آباد .

(٣) العقيدة والمريمية في الإسلام « الترجمة المريمية » ص ١٩٣ .

(٤) الكافي للكليني ١ ص ١١٥ وما بعدها .

— المعروف بوضعه للحديث — كتاباً وسمه باسم « وقت خروج القائم ^(١) » ذهب فيه إلى تحديد الوقت الذى سيظهر فيه المهدي ، ولم يصل هذا الكتاب إلى أيدينا ، حتى نستطيع أن نرى فيه فلسفة « التوقيت » اليهودية ومبلغ نضجها .
ومهما يكن من شيء فلم تصادف هذه الفلسفة لدى الشيعة قبولاً ، من جراء ما قوبلت به من معارضة ورفض ، ويدلك على مبلغ رفضها لدى معتدلى الشيعة ، أن كتاب تراجهم — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » ^(٢) Goldziher — إذا تحدثوا عن أحد علماء الكلام الشيعي ، قالوا — خطأ له وتفقيراً منه — « إنه من المبالغين في الوقت » أى في تقدير وقت ظهور المهدي .

(١) أنظار « جولدزيهر » Goldziher « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٣٣٨

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٣٣٨

الفصل الرابع

فرق الشيعة إزاء هذا المعتقد

لقد ذهب أهل التشيع في معتقداتهم مذاهب شتى ؛ فتعددت فرقهم وكثرت طوائفهم كثرة بالغة ، بيد أنهم يرجعون في جملتهم إلى أربع فرق رئيسية : سبائية ، وكيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وسنحاول التحدث عن « المهدية » عند كل فرقة من هذه الفرق .

السبائية :

أسبق فرق الشيعة ظهوراً على مسرح التاريخ الإسلامى ، وإن سبقتها متشيعون . لكن لا معنى لفرقة ذات عقائد وكيان ؛ بل بمعنى أنصار وأشياع ، وهذا هو المعنى اللغوى للفظ « الشيعة » . وشيعة على أو أنصار على ، هم أولئك الذين التفوا حوله وامتنعوا عن مبايعة أبى بكر ، ساخطين على مؤتمر السقيفة ، الذى أهدر حقوق بنى هاشم ، وتنامى قرابتهم للرسول صاحب الأمر ، فخطب بذلك أول سطر فى ظلم « آل البيت » الذى عجبت به صحائفهم الحراء الدامية من مختلف الحاكمين . وفى هذا الصدد يقول الشاعر المتشيع مهيار الديلمى ^(١) :

حَمَلُوهَا يَوْمَ « السَّقِيفَةِ » أَوْزَا رَأَى تَخِفُّ الْجِبَالُ وَهِيَ ثِقَالُ
يَالَهَا سُوءَةً إِذَا « أَحْمَدُ » قَا مَ غَدَاً بَيْنَهُمْ فَقَالَ وَقَالُوا
وَيَقُولُ أَيْضاً ^(٢) :

وَقَدْ جَعَلَ ^(٣) الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ لِحَيْدَرٍ ^(٤) بِالْخَبَرِ الْمُسْتَنْدِ

(١) ديوان مهيار ح ٣ ص ١٦ ط الدار .

(٢) المصدر السابق ح ١ ص ٢٩٩

(٣) الضمير يعود على الرسول عليه السلام .

(٤) من ألقاب على بن أبى طالب .

وسمّاه مولً بإقرار من لو اتبّع الحقّ لم ينجّد
يمزُّ على « هاشم » و « النبي » تلاعبٌ تميّ بها أو عدى^(١)

أما « الشيعة » السبّاية ، فهم أصحاب ابن السوداء عبد الله بن سبأ المني ،
أحد أخصّاء اليهود الذين ساءت لهم الدعوة الإسلامية ، بعقائدها البسيطة السهلة السمحة ،
التي كانت أكبر عامل في انتشارها وكثرة معتنقيها ، كما ساء لهم ظفرها ، إن في ميدان
الحجّة أو السيف ، فقد كانت تخرج دائماً من الميدانين أكثر أنصاراً وأعمّ ذبوعاً
وأشدّ عوداً وأصلب مكسراً ؛ فعمد هؤلاء اليهود الخنقون إلى التظاهر بالإسلام ،
ثم التشيع لآل البيت — وهم الجانب الذي يبدو مظلوماً لدى الجماهير — فاكتمبوا
الذلك رضى العامة وثقتهم ، ونالوا حظاً من العطف والإعجاب ساعدهم على بثّ
معتقداتهم المدامة وأفكارهم الغريبة ، التي تبعث على الشك أو تحاول العبث
بأصول الدين ، بغية هدم المجتمع الإسلامي وتقويض بنيانه ، وقد أغرق هؤلاء
الأخبار المتمسكون بالمعرضون ، السوق الإسلامية ببضاعتهم وإسرائيلياتهم ، التي
سرعان ما نفقت وراجت وطفحت بها كتب « التفسير » ، واتسع بها ميدان
« الحديث » ، واشتغلت بها العقول بين رفض وقبول .

وقد كان عبد الله بن سبأ ، أحد هؤلاء الأخبار ، ورأس كل الفتن والاضطرابات
التي حاقت بالمجتمع الإسلامي الأول ، وقد شك بعض الباحثين في شخصيته ووجوده ،
غير أن البحث العلمي حدا بالعلماء أخيراً إلى الاعتراف به كشخص له وجود تاريخي
وكيان حقيقي ، وقد ظهر هذا الداعية المتنقل في خلافة عثمان ، وأخذ يقطع البلاد
الإسلامية طويلاً وعرضاً ، يحاول بذلك « إضلال المسلمين » على حد تعبير الطبري^(٢) .
وأصله من صنمء اليمن ، وقد طوّف بالحجاز ومدينتي البصرة والكوفة بالعراق ، ثم توجه
إلى الشام ، واستقر أخيراً في مصر ، حيث قام فيها بدور رئيسي هام في المؤامرة الواسعة

(١) « تيم » قبيلة أبي بكر ، و « عدى » قبيلة عمر بن الخطاب .

(٢) الطبري ج ٥ ص ٩٨ ط الحسنية .

النطاق التي حيكت حول عثمان ، عاملاً بذلك على مناصرة عليّ ، الذي كان يظهر دائماً في صورة المظلوم من الخلفاء السابقين له ، المغتصبين لحقه المنصوص عليه من الله . وقد كان الناقمون في خلافة عثمان ، يكتبون صاحبنا هذا سراً ، فيملأ قلوبهم غيظاً وصدورهم حنقاً وعقولهم فساداً ، حتى إذا أثمرت بذور الشر التي بذرها ، وغلى مرجل الأمة الإسلامية ، سار مع الركب الذي توجه من مصر إلى المدينة ، قبل مقتل عثمان محرّضاً على الثورة^(١) .

وابن سبأ هو مؤسس فرقة السبائية التي تحمل اسمه ، والتي تعتبر — كما قلنا — أسبق فرق الشيعة وجوداً في التاريخ . وكأزج هذا اليهودي بنظرية « الجزء الإلهي » في البيئمة الإسلامية ، وبالتالي « ألوهية عليّ »^(٢) كذلك أزج بعقيدة « المهدي » فكان أول القائلين بها ، وقد زعمها أيضاً في صاحبه عليّ ، الذي وجد فيه مزرعة لتجارب به وحقلاً لعقائده ، مستعيناً في ذلك بقرابة عليّ من الرسول ومصاهرته له ، وكيد مؤتمر السقيفة به ، وعطف الناس عليه والتفافهم حوله ، وقد برّيم عليّ رضوان الله عليه بادعاءات ابن السوداء التي زعمها فيه من تأليه ووصاية ومهدية ، وضاق بها وبه ذرعاً ، فهمم بقتله — بعد أن أحرق بالنار كثيراً من أتباعه^(٣) — فصاح الناس : « يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعو إلى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك ؟ »^(٤) . ويدلنا هذا القول على مقدار تمكن ابن السوداء عند الجماهير وحبهم له ، كما يدلنا على تعلقهم بعليّ وآل بيته ، وقد استجاب عليّ لنداء القوم .

(١) الطبرى صفحة ١٠٤

(٢) أنظر صفحة ٧٦ من كتابنا هذا .

(٣) أنظر كتابنا أيضاً والصفحة نفسها

(٤) قال البغدادي : « وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة ، فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا ، وأن علياً رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء ، كما أن محمداً خير الأنبياء ؛ فلما سمع ذلك منه شيعة على ، قالوا لعليّ : إنه من محبيك ، فرفع على قدره وأجلسه تحت درجة منبره » أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٤ ، نشر المطابع بالقاهرة ، أو مختصره للرسعنى ص ١٤٣

دفنى ابن السوداء إلى ساباط المدائن ، خوفاً من شماتة أهل الشام واختلاف أصحابه عليه كما يقول البغدادي^(١) .

وفى المدائن أخذ ابن سبأ يروج ابضاعته ، وقد التفّ حوله أنصار وأشياع من عُقْل القلوب وقُفْل العقول ، ولما بلغه نعى علىّ قال للذى نعاها : « كذبت لو جئتنا بدماعه فى سبعين صُرّة ، وأقت على قتله سبعين عدلاً ، لعلمنا أنه لم يمت ولم يُقتل ولا يموت ، حتى يسوق العرب بعصاه ، ويملك الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » ، ومن ثم قال ابن سبأ « برجة » علىّ كهديّ فى آخر الزمان ، كما أسلفنا القول فى حديثنا عن « البرجة »^(٢) .

(١) يقول البغدادي : « السبأية أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم إلى على رضى الله عنه ، فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين ، حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :
لقرم بنى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بنى فى الحفرتين
ثم إن علياً رضى الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فدفن ابن سبأ إلى ساباط المدائن » .
أنظر « الفرق بين الفرق » ص ١٤٣ ، أو مختصره ص ١٤٢ . وأنظر أيضاً « التبصير فى الدين » للأصفهاني ص ٧١ وما بعدها .
(٢) انظر كتابنا هذا ص ٣٨ وما بعدها .

الكيسانية

الكيسانية من أهم فرق الشيعة فيما نحن بسبيل درسه من عقيدة المهدية ، وهي منسوبة إلى « كيسان » قال الشهرستاني : هو « مولى أمير المؤمنين على عليه السلام ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية^(١) » ، أما مؤسس الفرقة وزعيمها ، فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو النخعي ، المولود في السنة الأولى من الهجرة ، وأحد دهاة الساسة في العصر الأموي ، وقد لُقّب المختار بكيسان ، لأنه تلقى العلم عن « كيسان » مولى على ، الذي يقال إنه هو الذي حمل على الطلب بدم الحسين وعرفه بقتلته ، ولأن صاحب شرطته الفتاك المكنى أبا عمرة اسمه « كيسان » ، ولأن المختار نفسه — كما يقول البغدادى^(٢) — كان يلقب أصالة « بكيسان » .

والمختار من إحدى بيوت ثقيف العريقة في المجد ، فهو حفيد عظيم إحدى القرىتين مسعود بن عمرو النخعي ، وقد كان له في العصر الأموي تاريخ يدل على دهاء سياسي كبير ، وإن لم يكن مشرفاً من الناحية الأخلاقية ؛ إذ لم يعرف الإخلاص سبيلاً قط إلى قلبه ، فهو خير نموذج للأمير السكياثلي ؛ كان خارجياً ، ثم ثار في وجه بني أمية مشايعاً لابن الزبير ، ثم تشيع لآل البيت خالفاً طاعة ابن الزبير ، ثم انفلت من تشيعه وهو في أوج عظّمته وحارب الشيعة ، ثم خرج من الإسلام عامة وأدعى النبوة . وإلى القارىء نسوق شيئاً من قرآنه الذي أوحى إليه ، يقول :

« أما والذي أزل القرآن ، وبينَ الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأقنات البغاة ، من أزد عمان ، ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان ، وتُعل ونهان ، وعبس وذبيان ، وقيس وعيلان — وحقّ السميع العليم ، العلى العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم ، لأعركنَّ عرك الأديم ، أشراف بني تميم . . . » !

(١) الملل والنحل - ١ ص ١٩٦ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٦ نشر الطار بالقاهرة .

ويقول : « أما ومشى السحاب ، الشديد العقاب ، السريع الحساب ، العزيز الوهاب ،
القدير الغلاب ، لأنبشَنَ قبر ابن شهاب ^(١) ، المفترى الكذاب ، المحرم المرتاب .
ثم ورب العالمين ، ورب البلد الأمين ، لأقتلن الشاعر المدين ، ورازجَ المارقين ،
وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وإخوان الشياطين ، الذين اجتمعوا على
الأباطيل ، وتقوّلوا على الأقاويل ، وليس خطاى إلا لذوى الأخلاق الحميدة ، والأفعال
السديدة ، والآراء العتيدة ، والنفوس السعيدة ^(٢) . . . » الخ

وأكبر الظن أن النبوة هي الأخرى — بمد نجاحه السياسى المنقطع النظير —
لم تشبع طموحه فانساخ منها وادعى الألوهية . . . الخ

ولابدّ لنا من التحدث بإفاضة عن فرقة « السكيسانية » هذه بوجه خاص ؛
فتاريخها — بحق — يُعد نموذجاً رائعاً للتجار بعقيدة « المهدي » واستغلالها
في المآرب السياسية .

ثار الختان في وجه بنى أمية مع مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وكاد يصيبه
ما أصاب مسلماً والحسين ، على يد عبيد الله بن زياد — الذى ضرب به على حاجبه
فشرته أو شجّه ، نسَمَّى الأشر — لولا شفاعته بعض القوم ، فحُلّى ، ببعد الله سبيله وأمره
بمغادرة الكوفة في ثلاثة أيام وإلا قتله ، فخرج منها صاحبنا خائفاً يترقب ميمماً شطر
الحجاز ، حيث بايع في مكة عبد الله بن الزبير الذى كان خارجاً على بنى أمية ، وفي
الوقت نفسه كان يضمّر الشرر للعلويين لامتناعهم عن مبايعته ، وقد بدأ ينظم بطشه
بهم عندما انتهت إليه ولاية الحجاز والعراق واليمن وفارس ، وكاد يقضى عليهم ،
لولا أن سارع بالقضاء عليه الحجاج بن يوسف الثقفى من قبيل بنى أمية .

وكان يقيم بمكة بجوار ابن الزبير ، أحد ولد على بن أبى طالب من غير فاطمة ،
هو محمد بن على المعروف بابن الحنفية ، أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة ،
وقيل هي سندية سوداء ليست من بنى حنيفة وإنما هي أمة لهم ، وقيل كانت من سبي

(١) يقصد الإمام المشهور محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .

(٢) أنظر « الفرق بين الفرق » للبغدادى ص ٣١ ومابعدها ، ولختصر للرسمى ص ٤٥ .

ومابعدها ، وانظر أيضاً الكامل للبرد ص ٧ ص ٢٠٦ نهر المرسى .

البيعة وصارت إلى عليّ فأولدها محمداً هذا الملقب بأبي القاسم ، والذي يُعد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة . وقد جاءت الإمامة من أبيه عليّ مباشرة ، حينما دفع إليه الراية يوم « الجمل » قائلاً له :

اطعمهم طعن أبيك تُحمّد لا خير في حرب إذا لم توقد^(١)
بالمشرق والقنا المشرّد

أو أن الإمامة قد انتقلت من عليّ إلى الحسن ثم إلى الحسين ، الذي أوصى بها إلى أخيه محمد هذا .

حاول ابن الزبير — جاهداً — أن يجذب إلى صفّه كلاً من محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ، ليشدّ بهما وبنى هاشم أزره ، ولكن عبثاً حاول ، فقد رفضا مبايعته ، وعندئذ أخذ ابن الزبير يضطهد آل عليّ ، وبعد عدّته للقضاء على ابن الحنفية ، وهنا وجد المختار الفرصة سانحة لتحقيق أغراضه ومطامعه ، فاعتزم الهرب إلى الكوفة متسحراً بوشاح التشيع ، وأنفذ مალأً كثيراً إلى عليّ بن الحسين بن عليّ ، وكتب إليه يريد مبايعته والقول بإمامته ، ولكن عليّاً — كما يقص علينا المسعودي^(٢) — رفض طلبته ، وأبى أن يقبل هديته أو يجيبه عن كتابه ، بل سبّه على رؤوس الملأ في مسجد النبي وأظهر كذبه وخوره ولما يئس منه المختار كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك ؛ فشاور ابن الحنفية ابن أخيه عليّ بن الحسين في الأمر ، فأشار عليه ألاّ يجيبه إلى شيء من ذلك ، وأن يُشهر أمره ويُظهر كذبه ، غير أن ابن الحنفية رأى أن يستشير في الأمر ابن عباس أيضاً ، فقال له ابن عباس : « لا تفعل فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير » قال المسعودي : « فأطاع (ابن الحنفية) ابن عباس وسكت عن عيب المختار »^(٣) .

(١) أنظر « التبصير في الدين » للأسفرائني ص ١٨ ، وعند البغدادي في « الفرق » ص ٢٦ والرسعني في « المختصر » ص ٣٦

لا خير في الحرب إذا لم تربد

(٢) أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٥٥ على هامش ابن الأثير .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦

وكهذا قيل ابن الحنفية ما عرض عليه المختار من الدعوة إليه وإظهار إمامته ، كما يتضح من رواية « مروج الذهب » وتم التعاقد بينهما ، فجاء المختار وقال له : — كما يحدثنا البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف » — « إني على الشخصوس للطلب بدمائكم والانتصار لكم ، فسكت ابن الحنفية ، ولم يأمره ولم ينهه ، فقال المختار : سكوتة عنى إذن لى وودّعه ، فقال له ابن الحنفية : عليك بتقوى الله ما استطعت » .

ومن روايتى المسعودى والبلاذرى هاتين ، نكاد لا نشك فى أن معاهدة خطيرة قد عقدت بين المختار وابن الحنفية ضدّ ابن الزبير وبنى أمية جميعاً ؛ على أن تكون مساعدة المختار حرية سياسية ، ومساعدة ابن الحنفية روحية دينية ، يُلهب بها المختار الداهية ظهور الجماهير ، فتفساق وراهه عن طواعية ، يؤيد ذلك تأييداً قاطعاً ما رواه ابن سعد كاتب الواقدي فى « الطبقات » قال : « قال المختار لابن الحنفية : أنا خارج إلى العراق ، فقال له محمد : فاخرج وهذا عبد الله ابن كامل الحمدانى يخرج معك » ^(١) .

لم يجد المختار بداً بعد هذا من الاحتمال على ابن الزبير ، حتى يأذن له بالرحيل إلى العراق ، خوفاً من أن يقطع عليه تدبيره ، فتوجه إليه وقال له — كما يحدثنا ابن سعد — « أعلم أن مكائى من العراق أنفعُ لك من مقامى هاهنا ، فأذن له عبد الله ابن الزبير ، فخرج هو وابن كامل ، وابن الزبير لا يشك فى مناصحته ، وهو مُصيرٌ على الغش لابن الزبير ، فخرجا حتى لقيا لافياً بالعزيب ، فقال المختار : أخبرنا عن الناس فقال : تركت الناس كالسفينة تجول لا ملاح لها ، فقال المختار : فأنّا ملاحها الذى يقيهما » ^(٢) .

دخل المختار الكوفة ودعا شيعتها إلى جديد بعض الشىء ، هو مهدية ابن الحنفية الذى أكد المختار أنه استخلفه لأخذ البيعة له ، ولما اجتمعت حوله الشيعة ،

(١) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٧١ ط ليدن .

(٢) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٧١

خطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن المهدي ابن الوصي محمد بن علي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ، ومنتخباً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء ^(١) » .

فبدأ على شيعة الكوفة شيء كبير من التردد إزاء هذا الحدث ، ولعلهم كانوا يعلمون شيئاً من تاريخ المختار وعدم صدقه في دعوة يدعيها ، أو عقيدة يعتقدها أو مبدأ يدين به ؛ فأرسلت وفداً من أعيانها إلى ابن الحنفية ليستأذنه في مقابلة المختار ، فقال ابن الحنفية للوفد : « وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ^(٢) » . ولا ندرى لماذا لجأ ابن الحنفية إلى مثل هذا الأسلوب ، بدلاً من أن يواجه الناس بالصریح من القول ؟ وهو بنفسه الذي تعاهد مع المختار وأذن له بالرحيل إلى العراق ، كما اتضح من رواية ابن سعد ، وأكبر الظن أنه فعل ذلك متسترأ ، خوفاً على حياته من ابن الزبير الذي كان له بالمرصاد .

ومهما يكن من شيء فقد اعتبر الوفد الكوفي إجابة ابن الحنفية المتلوية إجازة لهم بمشايعة المختار ^(٣) ، فعادوا إلى الكوفة يشدون من أزره ، ولم يدع المختار - وهو السياسي الحنك - هذه الساحة الفريدة تغلت من يده ، فخطب الناس قائلاً :

« يا معشر الشيعة إن نفرأ منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به ، فرحلوا إلى إمام المهدي والتجيب المرتضى ، ابن خير من جلس ومشى ، حاشا النبي المجتبي ، فسألوه عما قدمتُ به عليكم ، فأنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله ^(٤) » ، فقام عند ذاك أحد الموفدين وهو عبد الرحمن بن شريح ، من مشاهير شيعة الكوفة وقال :

« أما بعد يا معشر الشيعة فإننا قد كنأ أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ، ولجميع

(١) الطبري ج ٧ ص ٦٤ ط الحسينية .

(٢) الطبري ج ٧ ص ٩٧

(٣) في الطبري : « فخرجنا من عنده ، ونحن نقول قد أذن لنا ، قد قال : لوددت أن الله

انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا » طبري ج ٧ ص ٩٧

(٤) المصدر السابق .

إخواننا عامة ، فقد منا على المهدي ابن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة وموازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ، فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشركة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغل والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ، فلم يبلغ ذلك شاهدكم غائبكم » ^(١) .

ولقد كان من الطبيعي بعد هذا أن يلتفت ^(٢) الشيعة حول المختار ، الذي أعمل الحيلة حتى وثب وثبته الجريئة ، فاستولى على الكوفة ونواحيها ، وقضى على عبيد الله ابن زياد ، ثم ساعده طالعه الحسن ، فخضعت له الجزيرة واستتب له الأمر بعض الشيء . وهنا عرف ابن الزبير ما بين المختار وابن الحنفية من مؤامرة واسعة النطاق للقضاء عليه ، وكان ابن الحنفية لا يزال مقيماً بجواره في مكة — دفعاً للفتنة وبعداً

(١) الطبري ح ٧ ص ٩٧ ، وانظر البيهقي ح ٣ ص ٥ ط النجف ، وابن الأثير ح ٤ ص ٨٣ ط الحلبي .

(٢) ومن الشيعة من لم يقتنع بمزاعم المختار في ابن الحنفية ؛ ولكنه خرج معه لئلا ينشأ من قتلة الحسين ، فالطبري يحدثنا : أن المختار توجه إلى دار إبراهيم بن الأشتر وقال له : « أما بعد ، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي ، وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله . وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا » ، فقرأ ابن الأشتر الكتاب فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ؛ سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإني قد بعث إليك بوزيري وأميني ونجيني الذي ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوى والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرته وأجبت دعوتى وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة . . . الخ » .

فغضب ابن الأشتر من هذا الخطاب ، وأبدى ارتياحه فيما حواه من مهادنة ابن الحنفية ، وقال للمختار متسائلاً شاكاً : « قد كتب إلى ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه ؟ قال له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ » وتتجلى هنا عدم الثقة في المختار واضحة ظاهرة ، ولسكن المختار يستشهد بمجماعة من أنصاره ، فيشهدون أن الخطاب هو حقاً من ابن الحنفية ، وعند ذلك يبايع ابن الأشتر ، ثم يقول لبعض خاصته : « أفتري هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال قلت له : قد شهدوا على ما رأيت ، وهم سادة القراء ، ومشخة المصر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً ، قال : فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم منهم ، غير أني أعجبني الخروج ، وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر ، فلم أطمع على ما في نفسي من ذلك » أنظر الطبري ح ٧ ص ٩٨ وما بعدها . وانظر أيضاً فيما يتعلق بهذا الخطاب المزعوم ، الدينوري « الأخبار الطوال » ص ٢٨٣ ط السعادة ، والبداية والنهاية لابن كثير ح ٨ ص ٢٦٥ وما بعدها .

للتهمة في أكبر الظن - فأسرع في القبض عليه ، وحبسه في سجن يدعى « عارماً »^(١) وحنق على آل عليّ وبنى هاشم جميعاً ، حتى ترك الصلاة على النبي من أجلهم ؛ قال اليعقوبي :

« وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملاً شديداً ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد (ص) في خطبته ، فقيل له : لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال إن له أهل سوء ، يشربون لذكرك ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به ، وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بنى هاشم ، ليأبىعوا له فامتنعوا ، فحبسهم في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليأبىعن أو ليحرقنهم بالنار ... »^(٢).

رأى ابن الحنفية أن ابن الزبير جادٌّ في تهديده وقسمه ، فاستغاث بصاحبه المختار واستصرخه في كتاب رواه لنا اليعقوبي قال فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عليّ ومن قبله من آل رسول الله ، إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين . أما بعد ؛ فإن ابن الزبير أخذنا فحبسنا في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنه أو ليضرمنا علينا بالنار ، فياغوئاه ... »^(٣).

وأ أكبر الظن أن ابن الزبير قد علم بهذه المكاتبة فأخذته حى الغضب ، وكاد يودى بحياة زعماء بنى هاشم وأعيانهم ، لولا أن استغاثه ابن الحنفية كانت قد وصلت إلى المختار ، الذي أسرع فأرسل إليهم أبا عبد الله الجدلي ، فأنقذهم من موت محقق ؛ إذ واقام والنار - كما يحدثنا الأغاني - مشتعلة عليهم ، فأطفأها واستنقذهم ...^(٤).

(١) أنظر الأغاني - ٩ ص ١٥ ط الدار ، وانظر كذلك السكامل للبرد - ٧ ص ٢٠٧ نشر المصنف .

(٢) تاريخ ابن واضح اليعقوبي - ٣ ص ٨ ، وانظر الطبري - ٧ ص ١٣٦ ، وابن الأثير - ٩٧ ص ٤ .

(٣) اليعقوبي - ٣ ص ٨ .

(٤) قال أبو الفرج : « كان عبد الله بن الزبير قد أغرى ببنى هاشم ، يتبعهم بكل مكروه ويفرى بهم ويخطبهم على المنابر ويصرح ويصر بذكرهم ، فرأى عارضة ابن عباس وغيره منهم ، =

ضاق ابن الزبير بعد ذلك ببني هاشم وأخفق في القضاء عليهم ، فأخرجهم من مكة إخراجاً قبيحاً - على حد تعبير ابن واضح^(١) - فنفي ابن الحنفية إلى ناحية رضوى ، وابن عباس إلى الطائف . بيد أن ابن الحنفية ارتأى أن يتجه إلى المختار بالعراق ، ليقاسمه الظفر بعد أن تاجر باسمه وحارب بنفوزه الروحي ، فأخذ طريقه إليه . ويظهر أن صاحبنا هذا كان ساذجاً إلى أبعد حدود السذاجة في ركونه إلى المختار ؛ فما كان المختار - وهو في أوج سلطانه - ليقبل جيرة ابن الحنفية ، خوفاً من التفاف الجماهير حوله ، ثم ضياع ملكه ونفوزه ، ولما علم بمقدمه قال لجنده : « إن للمهدى علامة ، وهي أن يضرب بالسيف ضربة ، فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدى ... ! »^(٢) وبهذه الحيلة التي احتالها تغلب المختار بمكره ودهائه على بساطة ابن الحنفية ، وتخلص منه نهائياً ، إذ ما كاد يعلم هذا بالنبأ ، حتى قفل راجعاً خوفاً على حياته ، في حسره وندم ولات ساعة مندم .

وفي الحق لقد كان ابن الحنفية كأبيه علي ، تنقصه الحفكة السياسية نقصاً كبيراً ، وقد وجد هو أخيراً بعد هذا الإخفاق والخيبة أنه ليس أهلاً للصراع السياسي ، فركن إلى عبد الملك بن مروان وباعه وألقى عصاه . وتحاول الكيسانية أن نجد في التجاء ابن الحنفية إلى عبد الملك ذنباً كبيراً قد اقترفه وجناه ، مرتئية أن الله قد عاقبه عليه بحبسه بجبل رضوى حياً كما سنعثلك بعد . وقد مات ابن الحنفية في المحرم

== ثم بدا له فيهم فحس ابن الحنفية في سجن عارم ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في محبس وملاء حطباً وأضرم فيه النار ، وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدي وسائر شيعة ابن الحنفية ، قد وافوا نصرته ومحاربة ابن الزبير ، فكان ذلك سبب إيقاعه به ، وبلغ أبا عبد الله الخبر ، فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطلقاها واستنقذهم ... » . الأغاني ج ٩ ص ١٥ ط الدار .

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٩ ط النجف .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣١ ، ومختصره للرسعي ص ٤٥ ، وفي « التبصير في الدين » للأصفهاني ص ١٩ يقول المختار : « المهدى محمد بن الحنفية وأنا علي ولابته ، غير أن للمهدى علامة ، وهي أن يضرب عليه بالسيف فلا يحميك فيه السيف ، وأنا أجرب هذا السيف على محمد بن الحنفية ، فإن حاك فيه فليس بمهدى ، فلما بلغ إلى محمد بن الحنفية هذا الخبر ، خاف أن يقتله بما ذكرناه من حيلته ، فتوقف حيث كان » .

عام ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان وإلى المدينة ودفن بالبقيع ، بعد نفوذ روحى كبير لم يحسن استغلاله لضعفه السياسى .

ولقد خلف ابن الحنفية أولاداً كثيرين من أمهات شتى ؛ قال ابن كثير : « وقد توفى ابن الحنفية فى الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة وكان له من الولد : عبد الله ، وحزمة ، وعلى ، وجعفر الأكبر ، والحسن ، وإبراهيم ، والقاسم ، وعبد الرحمن ، وجعفر الأصغر ، وعون ، ورقية ، وكلهم لأمهات شتى » ^(١) .

وتقول الشيعة إن النبى عليه السلام كان قد بشر به أباه علياً قبل مولده ، وسماه باسمه وكنيته « محمد أبى القاسم » ^(٢) ؛ قال « جولد زيهر » Goldziher :

« وكان من هذا أن أصبح ابن الحنفية فيما بعد موضع العقيدة الشيعة الخاصة بالخلود الجثمانى والرجمة ، وهما صفتان يختاره الله لمداية البشر ويُعرف بالمهدى - كما كان معقد رجاء وإيمان الأنقياء ، وموضع ثناء الشعراء المتصليين به » ^(٣) .

وأكبر الظن أن ابن الحنفية لم يكن زاهداً فى الدنيا ، أو بعيداً عن ملذاتها وترفها ، كما تحاول أن تصوره بذلك المصادر الشيعة ؛ فابن خلكان يقول : « وكان محمد يخضب بالحناء والكتم وكان يتختم فى اليسار » ^(٤) ، ويحدثنا ابن سعد فى طبقاته فيقول : « عن عبد الواحد بن أيمن ، قال : أرسلنى أبى إلى محمد بن الحنفية فدخلت عليه ، وهو مكحل العينين مصبوغ اللحية بحمرة ، فرجعت إلى أبى فقلت : أرسلتنى إلى شيخ مخنث ! فقال : يا ابن اللعناء ، ذاك محمد بن على ... » ^(٥) ، ويقول صاحب الطبقات أيضاً : « روى أبو إدريس : رأيت ابن الحنفية يخضب بالحناء والكتم ، فقلت له : أكان علىّ يخضب ؟ قال لا ، قلت فما لك ؟ قال أنشيب به

(١) البداية والنهاية - ٩ ص ٣٩

(٢) أنظر ابن خلكان - ١ ص ٤٤٩ ط الحلّى .

(٣) العقيدة والشرعية فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٤) وفيات الأعيان - ١ ص ٤٥٠ ط الحلّى .

(٥) أنظر طبقات ابن سعد - ٥ ص ٨٥ ط ليدن .

للنساء...»^(١) وقد نقل العلامة « جولد زيهر » Goldziher هذه الرواية الأخيرة لابن سعد وأوردها في كتابه القيم « العقيدة والشريعة في الإسلام » ، وعقب عليها بقوله : « وفي الحق إذا نظرنا لأخلاق هذا المهدي على ضوء الحقائق التاريخية ، نرى أنه كان في الواقع - كما هو الظاهر - رجلاً ذا عقلية دينوية ، وأنه لم يكن قط بعيداً عن لذائذ الدنيا ومتعها ، ومع ذلك فقد كان يمثل المصالح الدينية المقدسة ، في سبيل السنن والتقاليد الإسلامية ، ولم يشعر أحد بأدنى تناقض بين إمامة ابن الحنفية وبين اعترافه السابق ، الذي يعسر انسجامه مع إمامته ، والذي ربما وُضع على لسانه قصد الدعاية »^(٢).

أما صاحبنا الداهية المختار بن أبي عبيد ، فقد لحقته منيته قبل وفاة ابن الحنفية ، إذ قتله طارف وطريف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة عام ٦٧ هـ ، في معركة بينه وبين مصعب بن الزبير ، بعد أن ادّعى النبوة ثم الألوهية وابتدع القول بالبداء ، وبعد أن أسس فرقة « الكيسانية » ، التي دانت بمهدية ابن الحنفية ، وهو الثاني في القائمة بعد أبيه على .

وفي مصرع المختار يقول أعشى همدان^(٣) :

لقد نُبِّئْتُ والأنباء تنمى بما لاقى الكواذب بالمدار^(٤)

وما إن سرّني إهلاك قومي وإن كانوا وحقك في خسار

ولكني سررت بما يلاقى أبو إسحاق^(٥) من خزي وعار

ولاشك أن ابن الحنفية ، الذي روى عن أبيه الحديث القائل : « المهدي ممّا

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨٥ ط ليدن

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٢٩

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٤ ومختصره للرسعني ص ٤٩ ، وانظر الطبري ج ٧

ص ١٤٩ ط الحسينية .

(٤) ناجية قرب الكوفة ، ذكرها ابن حوقل والمقدسي .

(٥) كنية المختار .

أهل البيت بصلحه الله في ليلة » ، كان يرى نفسه ذلك المهدي ، الذي اختلق له ذلك الحديث أو اختلقه المختلقون ، وأنه كان فخوراً بلقب « المهدي » هذا راضياً عنه كل الرضى ، وإن تردد « مرجليوث » Margoliouth في ذلك إذ يقول : « لا ندري إذا كان ابن الحنفية قد رضى بهذا اللقب (المهدي) الذي خلعه عليه المختار أم لا ^(١) ؟ » . ولا ندري نحن كيف غابت عن Margoliouth نصوص ابن سعد القاطمة في هذا الصدد ؛ ففي الطبقات : « قلت السلام عليك يا مهدي ، قال وعليك السلام ^(٢) » ، وفيها : « عن أبي حمزة قال : كانوا يسمون علي محمد بن علي ، سلام عليك يا مهدي ، فقال : أجل أنا مهدي أهدى إلى الرشيد والخير ، اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله ^(٣) » ؛ فإذا سلم أحدكم فليقل سلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ^(٤) » .

ولقد كان لزماً على ابن الحنفية أن يقبل هذا اللقب ويرضى به ، بل ويفترض أنه المهدي حقاً — جاريّاً وراء مزاعم المختار — ولو في شيء من التستر والتكتم ، لينتقم من قتلة الحسين ، وليبدل من دولة بني أمية وابن الزبير جميعاً ، جزاء وفاقاً لما أذاقوه لآل البيت من صنوف الخسف والعدوان ، بيد أن ضعفه السياسي ومكر المختار به ، لم يتيحا له من تحقيق هذه المآرب ، إلا القضاء على قتلة الحسين .

وبعد موت ابن الحنفية ، اختلفت « الكيسانية » ، فاعترف بعضهم بموته ، وساق الإمامة من بعده إلى ولده أبي هاشم ، (ومنهم من أرجعها إلى ابن أخيه علي ابن الحسين) ، ولم يؤمن البعض الآخر بموته وهم « الكربية » أصحاب أبي كرب الضرير ؛ فهو عندهم مقيم ببجل رضوى ومعه أربعون من أصحابه ، وهي حتى يُرزق ؛ عنده عينان من غسل وماء ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه من أعدائه

(١) أنظر مقال « مرجليوث » Margoliouth عن المهدي بدائرة معارف الدين والأخلاق .

(٢) أنظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٩ ط ليدن .

(٣) يشير بذلك إلى الحديث الوارد في هذا الصدد والذي يقول : « يواطىء اسمه اسمي ،

وكنيته كنيتي » .

(٤) أنظر الطبقات ج ٥ ص ٦٨

إلى وقت خروجه ، وتنزل عليه الملائكة فتراجعه الكلام ، وتؤنسه هو واصحابه .
وقد اختلفوا في سبب حبسه بجبل رضوى ، فمنهم من قال : « كان ذلك عقاباً له على
خروجه بعد قتل الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وطلب الأمان منه ، وقبوله العطاء
من قبله » ، ومنهم من قال :

« كان ذلك عقوبة له ؛ لركونه إلى عبد الملك بن مروان ومبايعته له » ، وقال
آخرون : « لاندري سبب حبسه ، والله في ذلك سرٌّ لانهلمه ^(١) » .
ولقد شغلت « مهديّة » ابن الحنفية صفحات رائعة من شعر الشيعة ، سنجد ذلك
عنها في الفصل الخاص بذلك من كتابنا .

(١) أنظر البغدادي في « الفرق » ص ٣٤ ، والرسمي في « المختصر » ص ٥٠ ،
والأسفرايني في « التبصير في الدين » ص ٢٠ .

الزيدية

الفرقة الرئيسية الثالثة من فرق الشيعة هي « الزيدية » ، نسبة إلى زيد بن عليّ ابن الحسين بن عليّ ، وقد ثار بالكوفة داعياً لنفسه عام ١٢٢ هـ — ٧٤٠ م ، بيد أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، أخذ فتنته وقضى عليه ؛ إذ أرسل إليه وإلى العراق ، يوسفُ بن عمر الثقفى — من قبله — جيشاً بقيادة « العباس المرثى » فأدار الدائرة على « زيد » ، وُصِّلَ بكفاس الكوفة ؛ قال الطبري :

« وبُعث برأسه إلى هشام ، فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل به إلى المدينة ، ومكث البدن مصلوباً حتى مات هشام ، ثم أمر به الوليد فأُزيل وأُحرق »^(١) .

ويقول الكندي في كتابه « أمراء مصر » :

« إن أبا الحكم بن أبي الأبيض القيسي ، قدم إلى مصر برأس زيد بن عليّ يوم الأحد ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٢ ، واجتمع الناس إليه في المسجد ، وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون ، بالقرب من جامع ابن طولون ، يقال إن رأسه مدفون به » . وقد رجَّح القلقشندي هذه الرواية ونقل عن « خطط القاهرة » للقااضي محي الدين ابن عبد الظاهر قوله بأن رأسه « مدفون بالمشهد الذي بين كيمان مصر ، جنوب الجامع الطولوني المعروف بمشهد الرأس »^(٢) . ولما صلب زيد كان الناس يأتون إلى خشبته فيتعبدون تحتها .

والحق أن زيداً — كما كان يتمتع بنفوذ روحي لدى أتباعه — كان يحظى أيضاً بمكانة ممتازة لدى جمهور أهل السنة ، وذلك لاعتداله في مذهبه في الإمامة ، وعدم قبوله الطعن في الشيخين ، ولقوله بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، مما دعا

(١) الطبري - ج ٨ ص ٢٧٧ ط الحسينية .

(٢) أنظر صبح الأعشى - ج ١٣ ص ٢٢٧ .

بعض أتباعه الغالين إلى رفض دعوته والانفصال عنه ، فسمّوا تبعاً لذلك بالرافضة أو بالروافض .

ولا شك أن لتعاليم المعتزلة أثراً كبيراً في عقلية « زيد » ؛ فقد تتلمذ لشيخ المعتزلة واصل بن عطاء الفزّال ، وأخذ عنه أصول الاعتزال^(١) ، وقد حاول بعض أتباعه أن يجعل من قتله مظلمة تحدث بها النبي ؛ ففي تاريخ ابن عساكر :

« أخرج الحافظ عن حذيفة بن اليمان ، أن النبي نظر إلى زيد بن حارثة فقال : المظلوم من أهل بيئى سمى هذا ، والمقتول فى الله والمصلوب من أمتى سمى هذا — وأشار إلى زيد بن حارثة — ثم قال : أدن منى يا زيد ، زادك الله حبّاً عندى ، فإنك سمى الحبيب من ولدى ، زيد . . . » ! !

ولما قضى على زيد حاول ولده يحيى متابعة الكفاح ، فهرب إلى خراسان حيث خرج بجوزجان ثائراً على نصر بن سيار ، وإلى خراسان ، الذى بعث إليه بسلم المازنى ، على رأس ثلاثة آلاف رجل ، فقضى عليه عام ١٢٥ هـ — ٧٤٣ م ، وبُعِث برأسه إلى نصر بن سيار ، فبعث به إلى الوليد بن يزيد .

ولقد رثى زيد بن على كثير من الشعراء ، منهم فضل بن العباس بن عبدالرحمن ، الذى يقول فى رثائه من قصيدة ضافية^(٢) :

ألا يا عينُ لا ترقِ وجودى بدمعك ليس ذا حين الجود
غداة ابنُ النبي أبو حسينٍ صليبٌ بالكُناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويُمسى بنفسى أعظم فوق العمود

(١) قال العلامة المهرستاني : « أراد (زيد) أن يحصل الأصول والقروع ، حتى يتحلى بالعلم ، فتتلمذ فى الأصول لواصل بن عطاء الفزّال رأس المعتزلة — مع اعتقاد واصل بأن جده على بن أبى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ، ما كان على يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه — فاقنيس منه الاعتزال ، وصارت أصحابها معتزلة » . أنظر الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية .

(٢) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبى الفرج الأصفهاني ص ١٤٩ ط عيسى الحلبى بالقاهرة .

تعدى الكافر الجبار فيه فظلوا ينبشون أبا حسين
فطال به تلعبهم عتواً وجاور في الجفان بنى أبيه
فكم من والد لأبى حسين ومن أبناء أعمام سيلقى
دعاه معاشرة نكثوا أباه فسار إليهم حتى أتاهم
وكيف تضن بالعبرات عيني وكيف لها الرقاد ولم تراهي
تجتمع للقبائل من معد ككتاب كلما أردت قتيلاً
بأيديهم صفائح مرهفات بها نسقى النفوس إذا التقينا
ونحكم في بنى الحكم العوالى ونُنزل بالمعيطين حرباً
وإن تمكن صروف الدهر منكم نجازيكم بما أوليتمونا
ونترككم بأرض الشام صرعى تنوء بكم خوامعها^(٢) وطلس^(٣)
ولست بأيس من أن تصيروا فأخرجه من القبر اللعيد
خضيباً بينهم بدم جسد^(١) وما قدروا على الروح الصعيد
وأجداداً لهم خير الجردود من الشهداء أو عم شهيد
لهم أولى به عند الورود حسيفاً بعد توكيد العهد
فما أرعوا على تلك العقود وتطعم بعد زيد في المجدود !
جواد الخيل تعدو بالأسود ! ومن قحطان في حلق الحديد
تفادت : أن إلى الأعداء عودى صوارم أخلصت من عهد هود
ونقتل كل جبار غنيد ونجعلهم بها مثل الحصيد
عمارة منهم وبنو الوليد وما يأتى من الأمر الجديد
قصاصاً أو زيد على المزيد وشقى من قتييل أو طريد
وضارى الطير من بقق وسود خفازيراً وأشباه القروود

(١) الجسد : الدم البابس .

(٢) الخوامع : الضياع ، جمع خامعة .

(٣) الطلس ، جمع أطلس : وهو الذئب الأمعط في لونه غيرة إلى الدواد .

وقال أبو ثُمَيْلة الأَبَار يرفي زيدا^(١) :

يا أبا الحسين أعار فقدك لوعةً من يلق ما لقيتُ منها . يكبد
فقد السهاد ولوسواك رمت به الأم قدار حيث رمت به لم يسجد
ونقول : لا تبعد ، وبعدك داؤنا وكذلك من يلق المنية يبعد
كنت المؤمل للعظام والنهي تُرجى لأمر الأمة المتأوّد
فقتلت حين رضيت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مصعد
فطلبت غاية سابقين فنلتها بالله في سير كريم المورد
وأبى إلهك أن تموت ولم تسر فيهم بسيرة صادق مستنجد
والقتل في ذات الإله سجية منكم وأحرى بالفعال الأجد
والناس قد آمنوا ، وآل محمد من بين مقتول وبين مشرّد
نُصب إذا ألقى الظلام ستوره رقد الحسام وليهم لم يرقد
يأليت شعري والخطوب كثيرة أسباب موردها وما لم يورد
ما حجة المستبشرين بقتله بالأمس أو ما عذر أهل المسجد ؟

والزيدية فرقٌ تختلف مذاهبها بصدد عقيدة « المهدي » إثباتاً ونفيّاً ؛ فالسليمانية أتباع سليمان بن جرير الزيدي ، والأبترية أو الصالحية أتباع الحسن بن صالح بن حى (المتوفى عام ١٦٩ هـ) وكثير النواء الملقب بالأبتر (والمتوفى أيضاً في حدود هذا التاريخ) ، تفكران « المهديّة » لأنهما ترفضان القول برجمة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة .

وتعاليم هاتين الفرقتين في جملتها ، هي تعاليم زيد بن علي نفسه ، وتسكاد تقترب « الصالحية » من أهل السنة ، بل هي أقرب فرق الشيعة إليهم ، وأكبر الظن أن « جولدزيهر » Goldziher كان يقصد هاتين الفرقتين من الزيدية أو إحداها بقوله :

(١) أنظر مقاتل الطالبين للأصفهاني أبي الفرج ص ١٥٠ وما بعدها .

« وهم لا يقولون بالأساطير المتعلقة بالعلم الباطنى عند الأئمة ، إلى غير ذلك من صفات شبيهة بصفات التآليه التى خص الشيعة أئمتهم بها ، وقد تقيدوا بدلاً من هذه الخيالات والأحلام بالصورة الواقعية للإمام الذى يعمل فى الحياة فى نضال مكشوف »^(١) .

أما « الجارودية » من الزيدية ، أتباع أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى ، المتوفى بعد عام ١٥٠ هـ ، فتقول بمهدية « النفس الزكية » وسنقص عليك نبأه فى شيء من الإفاضة ، لما له من أهمية خاصة .

(١) أنظر العقيدة والشرعية فى الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢١١

النفس الزكية محمد بن عبد الله

مهدي الجارودية

هو أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن الحسن ، بن الحسن ، بن علي بن أبي طالب ،
وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله ، بن زعدة بن الأسود بن المطلب .

وقد وُلد محمد هذا عام مائة من الهجرة ، وبين كتفيه — فيما يقولون^(١) —
خال أسود عظيم كهيئة البيضة ، اتخذوه — فيما بعد — علامة لمهديته ، وكان يقال
له « صريح قریش » ؛ إذ لم تقم عنه « أم ولد » في جميع آبائه وأمهاته
وأجداده^(٢) .

وقد سُرَّ بمولده المنتشيعون جميعاً ، وكانوا يروون عن النبي في أحاديثهم أن اسم
المهدي ، محمد بن عبد الله ، فرجوا أن يكون هو صاحبنا ، محمد بن عبد الله بن
الحسن ، وفرحوا به كثيراً ، وجعلوا يتذكرونه في مجالسهم ، على أنه المخلص والمنقذ
لهم من مظالم بني أمية ؛ قال شاعرهم^(٣) :

ليهنكم المولود آل محمد	إمام هدى ، هادى الطريقة ، مهتدى
يسوم أمىّ الذلّ من بعد عزّها	وآل بني العاص الطريد المشرّد
فيقتلهم قتلاً ذريعاً ، وهذه	بشارة جدّيه ، عليّ وأحمد
هما أنبأنا أن ذلك كائن	برغم أنوف من عُداة وحُسد

(١) أنظر مقاتل الطالبين لصاحب الأغاني أبي الفرج الأصفهاني ص ٢٣٨ و ٢٤٣
ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٥

وقال سلمة بن أسلم الجهني ^(١) :

إِن الذي يروى الرواة لبين إذا ما ابن عبد الله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره وفيه علامات من البر والهدى
وقال أيضاً ^(٢) :

إننا لنرجو أن يكون محمد إماماً به يحيا الكتاب المنزل
به يصلح الإسلام بعد فساده ويحيى يتيم بائس ومعوّل
ويملأ عدلاً أرضنا بعد ملئها ضلالاً ويأتينا الذي كنت آمل

ولما شبّ محمد ، أرسله أبوه مع أخيه إبراهيم ، ليتلقى العلم على يدى عبد الله
ابن طاوس ؛ ففي « مقاتل الطالبين » لصاحب « الأغاني » أبي الفرج الأصفهاني :
« كان عبد الله بن الحسن يأمر ابنه محمدًا بطلب العلم والتفقه في الدين ،
وكان يحىء به وبأخيه إبراهيم إلى ابن طاوس ، فيقول له : حدثهما لعل الله أن
ينفعهما ^(٣) » .

ولقد تلمذ محمد أيضاً لشيخ الاعتزال واصل بن عطاء ، وبين الشيعة والمعتزلة
نسب وصهر ؛ روى أبو الفرج في « مقاتل الطالبين » فقال :
« قدم علينا أبو أيوب بن الأدبر ، رسولاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء ،
داعياً إلى مقالاته ، فاستجاب له محمد بن عبد الله بن الحسن في جماعة من آل
أبي طالب ^(٤) » .

ولم يكن طلب محمد للعلم مقصوراً على أستاذه ابن طاوس وابن عطاء ، فقد
طلبه من غيرهما من رجال العلم ؛ حدثنا هو عن نفسه فقال :

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

« إن كنت لأطلب العلم في دور الأنصار ، حتى لأنوسد عتبة أحدهم ، فيوظني الإنسان فيقول : إن سيدك قد خرج إلى الصلاة ، ما يحسبني إلا عبده ... »^(١) .
ولقد لقي محمد ، نافع بن عمر ، وأبا الزناد ، وسمع منهما وحدث عنهما ، كما حدث عن غيرهما ، بيد أن حديثه كان قليلاً ، ويرجع ذلك في أكبر الظن إلى رُتقٍ في لسانه ، كانت تحبس الكلام في صدره ، فلا يكاد يبين ؛ روى أبو الفرج فقال :

« كان محمد متمماً ، فرأيتُه على المنبر ، يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب يده عليه يستخرج الكلام »^(٢) .

ومن الطريف حقاً أن الشيعة لما رأَت هذا العيب القادح في مهديّة محمد ، خرجت على الناس توهمهم أن هذا العيب إنما هو من علامات المهدي ... ! ، ولجأ التشيعيون — كعادتهم دائماً — إلى الحديث ، يشدون به أزرهم ، فرووا عن الرسول ، من طريق أبي هريرة أنه قال :

« إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله ، في لسانه رُتنة ... » !!

ومهما يكن من شيء ، فنحن لا نشك أبداً في أن محمداً كان على جانب كبير من العلم والتفقه في الدين ، كما كان على قسط عظيم من التقى والزهد ، حتى لقد لُقّب من أجل ذلك بالنفس الزكية كما يحدثنا المسعودي^(٣) ، ويقول أبو الفرج :

« كان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه في زمانه ، في علمه بكتاب الله وحفظه له وفقهه في الدين ، وشجاعته وجوده وبأسه ، وكل أمرٍ يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له في العامة ، وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً ، من آل أبي طالب وآل العباس وسائر بني هاشم »^(٤) .

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢

(٣) مروج الذهب ج ٨ ص ٧٩ على هامش ابن الأثير .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٣٣

ولقد اعتقد « النفس الزكية » أنه المهدي حقاً ، وساعده على ذلك الهاشميون من عباسيين وعلويين جميعاً ، ليخلصوا عن طريقه من نير بني أمية الثقيل ، ومن مظالم البيت الرواني الحاكم ، فأخذ « النفس الزكية » منذ صباه ، يدعو الناس إلى مهديته ، في شيء من التستر والتسكتم خوفاً من عيون آل مروان ؛ قال أبو الفرج :

« لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن ، منذ كان صبياً ، يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه ، ويسمى بالمهدي ^(١) » .

ولقد بايعه بالمهدية الهاشميون جميعاً ، ومنهم إبراهيم الإمام والسفاح وأبو جعفر المنصور ، الذين أقاموا دولة بني العباس فيما بعد ، ففي « مقاتل الطالبين » :

« إن نفرأ من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء من طريق مكة ، فيهم إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن ، وابناه محمد وإبراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فقال لهم صالح بن علي :

« إنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم ، فقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاجتمعوا على بيعة أحدكم ، فتفرقوا في الآفاق وادعوا الله ، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم .

» فقال أبو جعفر : لأي شيء تخذعون أنفسكم ؟ والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقاً ، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ، يعني محمد بن عبد الله . قالوا : قد والله صدقت ، إننا لنعلم هذا ، فبايعوا جميعاً محمداً ، وبايعه إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور ، وسائر من حضر ^(٢) » .

ولا سبيل إلى الشك في أن هذه المبايعة من كبار العباسيين ، لم تكن أبداً خالصة ولا صادقة ؛ فقد كانوا يتخذون آل عليّ درعاً واقياً لهم ، وذريعة لها خطرها

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ وما بعدها .

في تنفيذ خطتهم وسياستهم ، فالفاس إلى آل عليّ أميل ، وهم بهم ألصق وأعلق ، وقد كانوا في بداية أمرهم يدعون إلى « الرضا من آل محمد » ، ونحن لا نشك كذلك في أن هذا التوقير والاحترام من المنصور الداهية للنفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن ، والذي نقرأ عنه في « مقاتل الطالبين » ، كان كذلك مصطنعاً لأمرٍ ما ؛ فأبو الفرج يروي عن عمير بن الفضل الخنعمي أنه قال :

« رأيت أبا جعفر المنصور يوماً ، وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه ، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود ، وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ، ثم سوّى ثيابه على السرج ، ومضى محمد ، فقلت — وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً — من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام ، حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل البيت...^(١) » .

أرأيت مبلغ احترام المنصور للنفس الزكية ؟ هذا الاحترام المقنع المصطنع ، الذي يخفي وراءه الوقعة في أشنع صورها ، كما يخفي العسل الحلو المذاق ، الموت السريع فيما يضمه من سموم قاتلة .

ولقد نجح العباسيون في القضاء على دولة بني أمية ، وتشديد دولتهم الوليدة على اكتاف بني عمومته آل عليّ ، وبسواعدهم وجهادهم بل وبنفوذهم الروحي بين الجماهير ، ولسكن « السفاح » يسرف في القضاء على أعداء الدولة الجديدة ، من أمويين وعلويين على السواء ، وهكذا أصبح العلويون في نظر أبناء عمومهم المماكرين أعداء... ! ، ولقد ساء العلويين أن يستأثر أبناء عمومته بالملك ، بعد أن اتخذهم مَعْبَراً لبناؤه ، وبوقفاً للدعوة إليه ، فبادر محمد بن عبد الله بالخروج على هذه الدولة أيام المنصور — الذي كان يسير في ركابه فيما مضى — ليلتين بقيتا من جمادى

الآخرة عام ١٤٥ هـ مطالباً الناس بالوفاء ببيعتهم له ولهديته ، وتصل أنباؤه إلى أبى جعفر الخليفة العباسى الذى كان إلى وقت قريب ، يبايعه ويحضر الناس على مبايعته ، ويأخذ برذائه حتى يركب ، ويسوى ثيابه على السرج ، ويقول هذا مهدينا — فيعدّ العدة لقتاله ، ويكذّبه فى دعواه ؛ قال مولى لأبى جعفر :

« أرسلنى أبو جعفر فقال : اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد ، فسمعته يقول : إنكم لا تشكّون أنى أنا المهدي ، وأنا هو ، فأخبرت بذلك أبا جعفر ، فقال كذب عدوّ الله ، بل هو ابنى^(١) ... » !!

وهكذا يصبح « النفس الزكية » فى نظر المنصور ، أو إن شئت فى نظر « السياسة » كذاباً وعدوّاً لله ، وأن المهدي حقاً ، هو المهدي بن المنصور . . . ثم تحدثنا الرواية أن المنصور نفسه لم يكن يؤمن بمهدية ولده ، ولقد اصطنعها له ليقوّى من مركزه السياسى ، فأبو الفرج يحدثنا عن مسلم بن قتيبة أنه قال :

« أرسل إلى أبو جعفر ، فدخلت عليه ، فقال : قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدي ، والله ما هو به . . . وأخرى أقولها لك ، لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، وابنى والله ما هو بالمهدي الذى جاءت به الرواية ... ! ولكنى تيمنت به وتفاءلت به »^(٢) !

وهكذا انقلب التابع على متبوعه ، وأصبح أبو جعفر لمحمد خصماً ، وقد حاول جهده أن يستميله إليه بالسياسة واللين ، وبذل له فى سبيل ذلك الوعود والعهود . . . ولكن محمداً فى الحق لم يكن من السذاجة إلى هذا الحد الذى تصوره المنصور ، حتى يركن إلى عهوده ووعوده ، وهو يعلم تماماً مقدار صدقها

وفى هذا الصدد دارت بينهما مكاتبات ، رواها لنا الطبرى ، تسجل فى هذا الصراع حجج كل منهما ، وتصور مقدار تمسكه بما يدعيه ، وهى بحق وثائق خطيرة ،

(١) أنظر مقاتل الطالبين ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧

على جانب كبير من الأهمية ، نرى أنفسنا مسوقين هنا إلى تسجيلها ، لما لها من قيمة فيما نحن بصدده .

كتب أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله ، عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد ابن عبد الله . . . » :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولم في الآخرة عذاب عظيم ، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

« ولك على عهد الله وميثاقه وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إن تبت رجعت من قبل أن أقدر عليك ، أن أومنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمانكم وأموالكم ، وأسوئك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من في حبسى من أهل بيتك ، وأن أومن كل من جاءك وبابك واتبعك ، أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك ، فوجه إلى من أحببت يأخذك من الأمان والعهد والميثاق ما تشق به » .

فكتب إليه « النفس الزكية » وقد لقب نفسه بالمهدى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدى ، محمد بن عبد الله ، إلى عبد الله بن محمد :

« طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، إنه كان من المفسدين ، وزيد أن نمن على الذين

استضعفُوا في الأرض ، ونجعلهم أئمةً ومجعلهم الوارثين ، ونمكِّن لهم في الأرض ،
وَنُرِيّ فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون .

« وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضتَ عليّ ؛ فإن الحقَّ حقنا ،
وإنما ادعيتُم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليّاً
كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته ، وولده أحياء ؟

« ثم قد علمتَ أنه لم يطالب هذا الأمر أحدٌ ، له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا
وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء . . . ، وليس يمتُّ أحدٌ
من بني هاشم بمثل الذي نمتُّ به من القرابة والسابقة ، وإنّا بنو أمّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فاطمة بنت عمرو في الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة في الإسلام ، دونكم .
« إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن
السلف أولهم إسلاماً عليّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأولُ من صلى
القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمةُ سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام
حسنٌ وحسينٌ سيدا شباب أهل الجنة .

« وإن هاشماً وَلَدَ عليّاً مرتين ، وإن عبد المطلب وَلَدَ حسناً مرتين ، وإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإنّي أوسط
بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أباً ، لم تعرق فيّ العجم ، ولم تنازع فيّ أمهات الأولاد . .
فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لي في النار ؛
فأنا ابنُ أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ، وأنا ابن خير الأخيار
وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار .

« ولك الله علىّ إن دخلتَ في طاعتي وأجبت دعوتي ، أن أؤمنك على نفسك
ومالك ، وعلى كل أمرٍ أحدثته ، إلا حدثاً من حدود الله ، أوحقاً لمسلم أو معاهد ،
فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك .

« وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالمهد ، لأنك أعطيتني من العهد والأمان

ما أعطيته رجالاً قبلي ، فأى الأمانات تعطيني : أمان ابن هبيرة ... ؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي ... ؟ أم أمان أبي مسلم ... ؟ » .

فردّ عليه أبو جعفر ، مفنداً حججه بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد :

« فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك ، فإذا جلّ فخرُ بقرابة النساء ، لتفضلّ به الجفّة والنوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالقصة والأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا .

« ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهم ، كانت آمنة أقربهم رحماً وأعظمهم حقاً ، وأول من يدخل الجنة غداً ، ولكن اختيار الله خلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

« وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب وولادتها ، فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ، ولا ابناً ، ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة ، رزقه عبد الله ، أولام بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر لله ، يختار لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

« ولقد بعث الله محمداً عليه السلام ، وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أيّ ، وأبني اثنان أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ، ولا ذمة ولا ميراثاً .

« وزعمت أنك ابنُ أخفّ أهل النار عذاباً ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صنير ، ولا في عذاب الله ضعيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ، ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وستردّ فتعلم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

« وأما ما فخرت به من فاطمة أمّ عليّ ، وأن هاشماً وَلَدَهُ مرتين ، ومن فاطمة أمّ حسن ، وأن عبد المطلب وَلَدَهُ مرتين ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وَلَدَكَ مرتين ، خير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يلد هاشمٌ إلا مرة ، ولا عبد المطلب إلا مرة .

« وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أمّاً وأباً ، وأنه لم تلدك العجم ، ولم تعرّق فيك أمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً ، فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ، فإنك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً ، وأولاً وآخرأ ، إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى والد وَلَدَهُ ، وما خيار بنى أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم ، إلا بنو أمهات أولاد ، وما وَلَد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفضل من علي بن حسين ، وهو لأمّ ولد ، وهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده ، مثلُ ابنه محمد بن علي ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جعفر ، وجدته أمّ ولد ، وهو خير منك .

« وأما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنها لقربة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تورث بها . . . ١٩ ولقد طلبها أبوك بكل وجه ، فأخرجها نهاراً ومرّضها سرّاً ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، أن الجد أباً الأم ، والخال والحالة ، لا يرثون .

« وأما ما فخرت به من عليّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجالاً بعد رجل ، فلم يأخذوه ، وكان في السنة ، فتركوه كلهم ، دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ، أما عبد الرحمن ، فقدّم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له منهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته ،

وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين ، رضى بهما وأعطاهما عهداً وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه .

« ثم كان حسنٌ ، فباعها من معاوية بخزق ودرهم ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير ولاته ولا حله ، فإن كان لكم فيها شيء ، فقد بعموه وأخذتم منه .

« ثم خرج علك حسين بن علي ، على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه .

« ثم خرجتم على بنى أمية ، فقتلوك وصلبوك على جذوع النخل ، وأحرقوك بالنيران ونفوكم من البلدان ، حتى قُتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحلوم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسدّينا سلفكم وفضلناهم ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناهم ، لا تقدمه منّا على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل ، وأبطل أبوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتجبنا له وذكرناهم فضله ، وعذفناهم وظلمناهم بما نالوا منه .

« ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية ، سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين إخوانه ، فنازعنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نلها في الجاهلية والإسلام .

« ولقد قحط أهل المدينة ، فلم يتوسل عمر إلى ربه ، ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم الله وسقام الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

« ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم

غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم ، فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ، في دنيا ولا آخرة ، إلا والعباس وارثه ومورثه .

« وأما ما ذكرت من بدر ، فإن الإسلام جاء ، والعباس يemon أبا طالب وعياله وينفق عليهم للازمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً ، لمات طالب وعقيل جوعاً ، ولاحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطمعين ، فأذهب عنكم العار والشبة ، وكفاكم النفقة والمثونة ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر .

« فكيف تفخر علينا ؟ وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بئاركم ، فأدركننا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدرکوا لأنفسكم ، والسلام عليكم ورحمة الله » ^(١) .

ولقد كان المنصور يود — دون شك — لو تمكن من القضاء على صاحبنا « النفس الزكية » بالحيلة والخديعة ، وبأساليبه « المكيافيلية » الكثيرة التي انتهجها مع غيره من قبل ، إذ لو حاول أن يبطش به جهراً بادی الأمر ، لمبت على مملكه الناشئ ، هوج الأعاصير ؛ وذلك لمكانة محمد الممتازة في نفسية الجماهير ، ولتلك البيعة له في أعناقهم ^(٢) ، بيد أن أبا جعفر أخفق تماماً فيما كان يعتزمه وينتويه ، ولم تجد هذه المكاتبات بينهما في حسم النزاع ، بل كانت — فيما يبدو —

(١) الطبري ج ٩ ص ٢١٠ ط الحفصية ، وانظر أيضاً ابن الأثير ج ٥ ص ١٩٩ ط الحلبي ، والكامل للبرد ج ٨ ص ٢٧٨ نشر الرضوي .

(٢) وكان الإمام الكبير أبو حنيفة النعمان ممن بايعه . وفي سبيل ذلك لاقى مصرعه ؛ قال الشهرستاني : « وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته ، حتى رفع الأمر إلى المنصور حبسه حبس الأبدي حتى مات في الحبس ، وقيل إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام في أيام المنصور ، ولما قتل محمد بالمدينة ، بقى الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة ، يعتقد موالاته أهل البيت ، فرفع حاله إلى المنصور ، فم عليه ماتم » .
انظر الملل والنحل ج ١ ص ٢١٢ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

عاملاً هاماً في ازدياده عنفاً وشدة ، وأكبر الظن أن الخليفة قد اتخذها وسيلة لإظهار خصمه بمظهر العصيان والمروق والخروج على الدولة ، حتى يتيح له ذلك أن يلجأ إلى السيف والقوة .

وهكذا لم يجد المنصور بداً من أن يرفع القناع ، ويسفر عن سياسته ، فيلجأ إلى السلاح في وضح النهار ، محافظة على كيان دولته ، ويبعث إلى « النفس الزكية » بالجنود يقودهم عيسى بن موسى ، وحيد بن قحطبة ، اللذان دهماه في « المدينة » ودارت بينهم رحى الحرب ، عنيفة كأشد ما يكون العنف ، ومحمد يقاقل كأشد ما يكون القتال ، بيد أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه وعلى رجاله ، ولقد حاول أن يحرك عواطف خصومه ويستدر عطف قلوبهم ؛ روى أبو الفرج فقال :

« برك محمد على ركبتيه ، وجعل يذبّ عن نفسه يقول : ويحكم ، أنا ابن نبيكم مجروح مظلوم ^(١) » ا

بيد أن القائد القاسي القلب « حميد بن قحطبة » لم يأبه له ولم يلبث لقوله ، فجاء واحتزّ رأسه ، وكان ذلك — كما يحدثنا أبو الفرج — قبل عصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عام ١٤٥ هـ .
وقد رثاه عبد الله بن مصعب بقوله ^(٢) :

يا صاحبيّ دعا الملامة واعلم	أن لستُ في هذا بالومٍ منكما
وقفا بقبر ابن النبي وساماً	لا بأس أن تقفا به فتسلماً
قبرٌ تضمن خير أهل زمانه	حسباً وطيب سجية وتكرماً
لم يحنّب قصد السبيل ولم يحذ	عنه ولم يفتح بفاحشة فماً
بطلٌ يخوض بنفسه غمراتها	لا طائشاً رعشاً ولا مستسماً
حتى مضت فيه السيوف وربما	كانت حتوفهم السيوف وربما

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٧١ ، وانظر الطبري ص ٩ ص ٢٢٦ ط الحسينية .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٠٧ ، والطبري ص ٩ ص ٢٣١ ، وابن الأثير ص ٥ ص ٢٠٥ ط الحابي .

أضحى بنو حسنٍ أبيض حريمهم فينا وأصبح نهبهم متفسيماً
ونسأوهم في دورهن نوائح سجع الحمام إذا الحمام ترنما
يتوسلون بقتلهم ويرونه شرقاً لم عند الإمام ومغنا
والله لو شهد النبي محمدٌ صلى الإله على النبي وسلمنا
إشراع أمته الأسنة لابنه حتى تقطر من ظباتهم دما
حقاً لأيقن أنهم قد ضيعوا تلك القرابة واستحلوا المحرماً

ولكن « الجارودية » من « الزيدية » — أتباع أبي الجارود — لم تؤمن بموت محمد بن عبد الله ؛ قال العلامة ابن حزم : فهو عندهم « حتى لم يُقتل ولا مات ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١) » .

ويقول البغدادي : « هو (عند الجارودية) المهدي المنتظر^(٢) » .

ويشارك « الجارودية » في هذا المعتقد « الحمدية^(٣) » إحدى فرق « الإمامية » . فهم ينتظرون محمداً هذا ، ويزعمون أنه مقيم بجبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج .

ومن « الجارودية » من ينتظر محمد بن القاسم ، من نسل الحسين ، القائم بالطالقان أيام المعتصم ، وقد أُسر وحُمل إلى الخليفة ، فحبس في داره حتى مات ؛ وقد جاء في « الفصل » :

قالت طائفة إنه « حتى لم يمت ولا قُتل ولا يموت ، حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٤) » . ومن « الجارودية » أيضاً من ينتظر يحيى بن عمر — من نسل

(١) أنظر « الفصل » ح ٤ ص ١٧٩ ط مطبعة التمدن .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣ نهر العطار بالقاهرة .

(٣) المصدر السابق ص ٣٦ ، ومختصر الرسمى ص ٥٣ ، وانظر أيضاً التبصير في الدين .

الأسفرايين ص ٢١

(٤) ابن حزم ح ٤ ص ١٧٩ ، وانظر أيضاً الشهرستاني ح ١ ص ٢١٣ على هامش

ابن حزم ط المطبعة الأدبية ، وانظر كذلك البغدادي في « الفرق » ص ٢٣ ، والأسفرايين

في « التبصير » ص ١٧

زيد بن علي — الذي قام بالكوفة عام ٢٥٠ هـ ، في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله ، فقتل وحُل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد قال فيه بعض العلويين ^(١) :

قتلتَ أعزَّ من ركب المطايا وجئتكَ أستاذينك في الكلام
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلّا وفيما بيننا حدُّ الحسام

والأشعري يحدثنا في « مقالات الإسلاميين » أن فرقة أخرى من الزيدية ، لا تنكر « الرجعة » فيقول :

« والفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر ، ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة » .

فليس مايقوله إذاً الأستاذ أحمد أمين ^(٢) . من أن الزيدية تنكر المهديّة ، وذلك راجع إلى تعاليم المعتزلة صحيحاً على إطلاقه ، ومن الزيدية « الجارودية » ، وتلك الفرقة التي حدثنا عنها الأشعري ، وكذلك ليس مايقوله الباحث الكبير « جولدزيهر » Goldziher من أن نظرية الزيدية المثلّي « هي الإمامة النشيطة العاملة ، وليست الإمامة السلبية التي تنتهي بهم إلى الإمام الخلفي ^(٣) » ، بمنطبق تماماً على كافة فروع « الزيدية » ومنها « الجارودية » ، ولا ينصرف هذا القول إلا إلى « الصالحية » أو أختها « السليمانية » ، أو إليهما معاً ، ومن العجيب أن « جولدزيهر » يقول — ويبدو متضارباً — « والاعتقاد بالإمام الخلفي يسود كافة فروع الشيعة ^(٤) » ، وفي هذا القول — دون شك — سرف ظاهر .

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني ١ ص ٢١٣ ، والفصل لابن حزم ٤ ص ١٧٩ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٣ — وقد ورد هذا المهدى فيه خطأ باسم محمد بن عمر — وانظر أيضاً التبصير في الدين للأسفرايينى ص ١٧ .

(٢) ضحى الإسلام ٣ ص ٢٤٣

(٣) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢١١

(٤) المصدر السابق ص ١٩١

وأكبر الظن أن تفكير الزيدية الأحرار ، كان قد انحط في القرن السادس الهجري ، عصر الشهرستاني ، حتى لنراه يقول :

« وأكثرم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأى واجتهاد ، أما في الأصول فيرون رأى المعتزلة حذو القُذَّة بالقُذَّة ، ويعظمون أئمة الاعتزال ، أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت . وأما في الفروع فهم على مذهب أبى حنيفة ، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله ^(١) » .

ويرجع هذا الانحطاط إلى جنابة « الجارودية » — إحدى فرقهم — عليهم ، ومنعهم إياهم من طلب العلم ، بإفهامهم أن الله يلهمهم إياه إلهاماً ... ! ، كما ينقل لنا ذلك عن الجاحظ ، الخياط المعتزلى ، صاحب « الانتصار » .

ويمثل الزيدية في العصر الحديث ، حكومة اليمن الحالية التى يرأسها الإمام سيف الإسلام أحمد ابن الإمام يحيى حميد الدين ، وهو من بنى القاسم الرسى ، ابن إبراهيم طباطبا ، بن اسماعيل بن عبد الله ، بن الحسن بن الحسن ، بن على بن أبى طالب : قال القلقشندى :

« وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا ، خرج بالسكوفة في خلافة المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث عن آبائه ، عن جده إبراهيم الإمام وغلب على كثير من بلاد العراق ، ثم خمدت سورته ، فطلب المأمون أخاه القاسم الرسى ، فهرب إلى الهند ، ولم يزل بها حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرسى ، بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة ^(٢) » .

(١) اللال والنحل ج ١ ص ٢١٨ على هامش ابن حزم ط المطبعة الأدبية .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧

وليس هناك قرابة أو صلة بين أئمة اليمن ، وبين الدولة الزيدية التي قامت بطبرستان في القرن الثالث الهجري ؛ قال القلقشندي :

« وقد وهم في (التعريف) فجعل هذه الأئمة (أئمة اليمن) من بقايا الحسينيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بآمل الشط بطبرستان ، هو الداعي المعروف بالعلوي من الزيدية ، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل ، ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين ، أو ما يقاربها ، فلك طبرستان وجرجان ، وسائر أعمالها ثم مات ، وقام أخوه محمد بن زيد مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولة هناك ، ثم انقرضت وورثها الناصر الأطروشي ، وهو الحسن بن علي ، بن الحسين بن علي ، بن عمر ابن علي زين العابدين ، بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك .

« ثم خرج علي الأطروشي من الزيدية الداعي الأصغر ، وهو الحسن بن القاسم ابن علي بن عبد الرحمن ، بن القاسم بن محمد البطحائي ، بن القاسم بن الحسن ، ابن زيد بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأطروشي حروب ، إلى أن قتل سنة سبع عشرة وثلثمائة ، ويجتمع الداعي الأصغر مع الداعي الأكبر في الحسن بن زيد ، وليس بنو الرّسّى الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه^(١) » .

ومهما يكن من شيء فتاريخ الزيدية في اليمن — قديمه وحديثه — مجهول ، ولا نكاد نعرف عنها شيئاً رغم معاصرتنا لها ، وذلك يرجع إلى القائمين بالأمر في تلك البلاد فقد أحاطوا نحلهم بسياج من السرية والسكران .

الإمامية

كثير تعداد فرق الإمامية حتى أربى على خمس عشرة فرقة ، ولكل فرقة مهدي خاص . ونحن لا تعيننا هذه الكثرة ، بقدر ماتعينا فرقتان فحسب من فرق الإمامية ، لما لها من خطر وانتشار ، وهما « الاثنا عشرية » و « الإسماعيلية » ، فسنتصر في حديثنا عن الإمامية على هاتين الفرقتين .

الاثنا عشرية :

لقبوا بذلك ؛ لادعائهم أن الإمام المنتظر ، هو الثاني عشر من أولاد علي بن أبي طالب ، وقد قالوا بوجود سلسلة من اثني عشر إماماً ، أوحى الله تعالى بهم لنبيه محمد ، بل وعينهم له بأسمائهم ، وقد انتقلت الإمامة من أمير المؤمنين علي المرتضى ، إلى الحسن المجتبي ، ثم الحسين الشهيد ، فالسجاد علي زين العابدين ، فولده محمد الباقر ، فابنه جعفر الصادق ، فموسى الكاظم ، فعلي الرضا ، فمحمد التقي ، فعلي النقي ، فالزكي حسن العسكري^(١) ، ثم الحجة محمد المهدي ، ويكنى بأبي القاسم ، ويلقب بالقائم والمهدي وصاحب الزمان .

وقد اختلف في محمد هذا وفي أبيه الحسن اختلافاً كبيراً ؛ ف قيل إن الحسن لم يمت ولكنه غائب فقط ، وقيل مات ولا ولد له ولكنه سيعود بعد الموت ، وقيل مات ولن يعود ، وقد أوصى إلى أخيه جعفر ، وقيل مات ولم يوص ولم يترك وارثاً في الإمامة ، وقيل إنه ترك ولداً غير معروف .

وقالت الاثنا عشرية : إن للحسن ولداً هو محمد المهدي ، خاتم الأئمة الاثني عشر ، وقد وُلد ببغداد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٢٥٥ هـ ، من أم ولد

(١) العسكري : نسبة إلى « العسكر » وهي « سر من رأى » ، انتقل إليها المعتصم بعسكره ، فن ثم قيل لها العسكر ، ونسب إليها الحسن العسكري ؛ لأن المتوكل أشخص أباه علياً وإليها فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده الحسن إليها .

يقال لها نرجس وقيل خط ، وشهدت بذلك قابله حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى ، التي تلقتة وزعمت أنها سمعته يتكلم ، ويقرأ القرآن حين نزل من بطن أمه ...! وقد مات أبوه وهو ابن سنتين ، وقيل خمس^(١) سنين ، أتاه الله فيها الحكمة كما أتاه يحيى صبيهاً ... وقد اختفى محمد هذا ولما يبلغ الثامنة من عمره ، وقيل في التاسعة ، وذلك عام ٢٦٥ هـ ؛ إذ يزعمون أنه دخل مع أمه سرداباً « بالحلة » بالقرب من بغداد ، ففقد ولم يعد ، فهم ينظرونه إلى الآن^(٢) ، ويقال إنهم يقفون كل ليلة عند باب السرداب ، ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ، ينادون : « أيها الإمام ، قد كثرت الظلم وظهر الجور فأخرج إلينا » ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وروى ياقوت أنهم كانوا في « قاشان » — من بلاد العجم — يركبون كل صباح إلى لقائه ، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري .

ويقول الرحالة ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري) في وصف مدينة « الحلة »^(٣) :
« وبمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد ، على بابه ستر حر يرمدل ، وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ، ومن عاداتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة ، عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة ، فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر ، فيأخذون منه فرساً ملجأً أو بغلة كذلك ، ويضربون الطبول والأنقار والبوقات أمام تلك الدابة ، ويتقدمها خمسون منهم وبقية مثلهم ، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ، ويأتون مشهد (صاحب الزمان) ، فيقفون بالباب

(١) وقيل أيضاً إنه ولد بعد موت أبيه بثمانية أشهر .

(٢) أظنر فيما يتعلق بهذه الفرقة « الفصل » لابن حزم ج ٤ ص ١٨١ ، و « الملل » للشهرستاني ج ٢ ص ٥ على هامش ابن حزم ، و « الفرق » لبغدادى ص ٤٠ ، ومختصره للرسعنى ص ٦٠ ، و « التبصير » للأسفراينى ص ٢٣ ، وأظنر أيضاً مادة « الاثنى عشرية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٤٢٩ من الترجمة العربية ، و « عقيدة الشيعة » لدونلدسن ص ٢٢٢ ، الترجمة العربية .

(٣) قرية بالمرق بالقرب من بغداد ، غربي الفرات ، قال ابن بطوطة : « وأهل هذه المدينة إمامية اثنا عشرية ، وهم طائفتان : إحداها تعرف بالأكراد ، والأخرى تعرف بأهل الجامعين ، والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً » . أظنر رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٨

ويقولون : (باسم الله يا صاحب الزمان ، باسم الله اخرج ؛ فقد ظهر الفساد وكثر الظلم ، وهذا أوان خروجك ، فيفرق الله بك بين الحق والباطل) ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنقار ، إلى صلاة المغرب ^(١) .

ولزيارة هذا الإمام طريق مرسوم يجب أن يسلك ، فعلى الزائر للسرداب أن يسلم على الغائب ويناديه بخليفة الله ، ووصى الأوصياء الماضين ، وحافظ أسرار رب العالمين ، وبقية الله من الصفوة المنتخبين ، وباب الله الذى لا يؤتى إلا منه ، ونور الله الذى لا يطفأ ، وحجة الله على من فى الأرض والسماء ، ثم يخاطبه بما يلي :

« أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقى ، وأن حزبك هم الغالبون ، وأولياك هم الفائزون ، وأعداءك هم الخاسرون ، وأنت خازن كل علم ، وفاتق كل رتق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل ، رضيتك يا مولاي إماماً وهادياً وولياً ومرشداً ، لا أبتغى بك بدلاً ، ولا ألتخذ من دونك ولياً .

« أشهد أنك الحق الثابت الذى لا ريب فيه ، وأن وعد الله فيك حق ، لا أرتاب لطول الغيبة وبُعد الأمد ، ولا أتخير مع من جهلك وجهل بك ، منتظر متوقع لأيديك ، وأنت الشافع الذى لا تُنزع ، والولى الذى لا تدافع ، ادخرك الله لنصره ، وإعزاز المؤمنين ، والانتقام من الجاحدين المارقين .

« أشهد أن بولايتك تُقبل الأعمال ، وتزكى الأفعال ، وتضاعف الحسنات ، وتُمحى السيئات ، فمن جاء بولايتك ، واعترف بإمامتك قبلت أعماله ، وصدقت أقواله ؛ وتضاعفت حسناته ، وحميت سيئاته ، ومن عدل عن ولايتك ، وجهل معرفتك ، واستبدل بك غيرك ، كبه الله على منخره فى النار ، ولم يقبل الله له عملاً ؛ ولم يُقم له يوم القيامة وزناً .

« أشهد الله وأشهد ملائكته وأشهدك يا مولاي بهذا ، ظاهره كباطنه وسره كعلانيته ، وأنت الشاهد على ذلك ، وهو عهدى إليك وميثاقى لديك .

«وبذلك أمرنى رب العالمين ؛ فلو تطاولت الدهور ، وتمادت الأعمار ، لم أزد
فيك إلا يقيناً ، ولك إلا حباً ، عليك إلا مُتَّكِلاً واعتماداً ، ولظهورك إلا توقعاً
وانتظاراً ، ولجهادى بين يديك إلا مترقباً ؛ فأبذل نفسى ومالى وأهلى وجميع
ما خولنى ربه بين يديك ، والتصرف بين أمرك ونهيك .

«مولاي : فإن أدركت أيامك الزاهرة ، وأعلامك الباهرة ، فما أنا ذا عبدك
المتصرف بين أمرك ونهيك ، أرجو به الشهادة بين يديك ، والفوز لديك .
«مولاي : فإن أدركنى الموت قبل ظهورك ، فأتوسل بك ، وبآبائك الطاهرين
إلى الله سبحانه وتعالى ، واسأله أن يجعل لى كربة فى ظهورك ، ورجعة فى أيامك ،
لأبلغ من طاعتك مرادى ، وأشفى من أعدائك فؤادى .

«مولاي : وقفتُ فى زيارتى إياك ، موقف الخاطئين النادمين الخائفين من
عقاب رب العالمين ، وقد اتكلتُ على شفاعتك ، ورجوتُ بمواليتك وشفاعتك
محو ذنوبى ، وستر عيوبى ، ومغفرة زلّى . فكن لوائيك يامولاي عند تحقيق أملى ،
واسأل الله غفران زلله ؛ فقد تعلق بحبلك وتمسك بولايك^(١) » ١١
ثم يصلى الزائر ركعتين يقول بعدما :

«الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر والله الذى
هدانا لهذا ، وعرفنا أوليائه ، وأعداءه ، ووقفنا لزيارة أئمتنا ، ولم يجعلنا من المعاندين
الناصبين ، ولا من الغلاة المقوضين ، ولا من المرتابين المقصرين .
«السلام على ولّى الله ، وابن أوليائه ، والسلام على المذخر لكرامة أوليائه الله
وبوار أعدائه .

« اللهم كما جعلت قلبى بذكره معموراً ، فأجعل سلاحى بنصرته مشهوراً ،
وإن حال بينى وبين لقائه الموت ، الذى جعلته على عبادك حتماً ، وقدرت به على

(١) أنظر عقيدة الشيعة للعلامة دونالدسن « الترجمة العربية » ص ٩٤ نشر الخانجي بالقاهرة .

خليقتك رغما ، فابعثني عند خروجه ظاهراً من حفرتي ، مؤنزراً كفى حتى أجاهد بين يديه ، في الصف الذي أثنيت على أهله في كتابك ، كأنهم بنيان مرصوص .

« اللهم طال الانتظار ، وشمّت بنا القجار ، وصعّب علينا الانتصار .

« اللهم أرنا وجه وليّك الميمون في حياتنا ، وبعد المنون .

« اللهم إني أدين لك بالرجعة ، بين يدي صاحب هذه البقعة . النوث .

النوث . النوث

« يا صاحب الزمان . قطعت في وصلتك الخلان ، وهجرت لزيارتك الأوطان ،

وأخفيت أسرى عن أهل البلدان ؛ لتسكون لي شفيماً عند ربك وربّي ، وإلى آباءك موالياً في حسن التوفيق لي ، وإسباغ النعمة عليّ ، وسوق الإحسان إليّ » ^(١)

وقد أورد المجلسي في كتابه « تحفة الزائرین » عهداً ، يقطعه الزائر للسرداب

على نفسه ، ويبايع به الإمام الغائب ، وقد رفع المجلسي هذا النص للبيعة — بسند

طويل — إلى الإمام جعفر الصادق ، وقال : « إن من قرأ هذا العهد أربعين صباحاً ،

كان من أصحاب الأئمة الأبرار ، وإذا مات قبل ظهور الإمام الثاني عشر ، أقامه الله

من قبره ليكون مع الإمام عند مجيئه ، وبكل كلمة يقرأها من هذا العهد ، يرفع الله

له ألف درجة ، ويغفر له ألف ذنب . . . » ^(٢) .

وهاك نص هذه البيعة :

« اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ، ومنزل

التوراة والإنجيل والزبور ، ورب الظل والحرور ، ومنزل القرآن العظيم ، ورب

الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين .

« اللهم إني أسألك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير ، وملئك القديم ،

يا حيّ ، يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون ، وباسمك

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٥

الذى يصلح به الأولون والآخرون ، يا حىّ قبل كل حىّ ، ويا حىّ بعد كل حىّ ،
ويا حىّ حين لا حىّ ، يا حيّ الموتى ، وميت الأحياء ، يا حىّ لا إله إلا أنت .

« اللهم بلغ مولانا الإمام الهادى المهدى القائم بأمرك صلوات الله عليه ، وعلى
آبائه الطاهرين من جميع المؤمنين والمؤمنات ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، سهلها
وجبلها ، وبرها وبحرها ، غنى وعن ولدى من الصلوات زنة عرش الله ، ومداد
كلماته ، وما أحصاه علمه ، وأحاط به كتابه .

« اللهم إنى أجدد له فى صبيحة يومى هذا ، وما عشت من أيامى ، عهداً وعقدأ
وبيعة له فى عنقى ، لا أحول عنها ، ولا أزول .

« اللهم اجعلنى من أنصاره وأعوانه ، والذابين عنه ، والمسارعين إليه فى قضاء
حوائجه ، والمتثلين لأوامره ، والحامين عنه ، والسابقين إلى إرادته ، والمستشهادين
بين يديه

« اللهم إن حال بينى وبينه الموت ، الذى جعلت على عبادك حتماً ، فأخرجنى
من قبرى مؤزراً كففى ، شاهراً سيفى ، مجرداً قناتى ، مليباً دعوة الداعى ، فى
الحاضر والبادى ^(١)

« اللهم أرنى الطلعة الرشيدة ، والغرة الحميدة ، وأكمل ناظرى بنظرة منى إليه ،
وتجّل فرجه ، وسهّل مخرجه ، وأوسع منهجه ، واسلك بى محجته ، وأنفذ أمره ،
واشدد أزره ، واعمر اللهم به بلادك ، وأحى به عبادك ؛ فإنك قلت ، وقولك الحق ،
(ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس) .

« فأظهر اللهم لنا وليك ، وابن بنت نبيك ، المسمى باسم رسولك حتى لا يظفر
بشئ من الباطل إلا مزقه ، ويحق الحق ويحققه ، واجعله اللهم مفرعاً لمظلوم عبادك ،

(١) يتضح لك من هذه الدعوات الحارة صدق ما حدثناك به من أن الاثنى عشرية يدينون
بالرجمة ، ويسألون الله أن يخرجهم من قبورهم قبل يوم القيامة ، ليكونوا فى جيش مهديهم
محمد بن الحسن العسكري ، ويسهموا معه فى انتصاره على الكفرة والمارقين .

وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك ، ومجدداً لما عُطلَّ من أحكام كتابك ، ومشيئاً لما ورد عن أعلام دينك ، وسنن نبيك صلى الله عليه وآله ، واجعله اللهم في حصن من بأس المعتدين .

« اللهم ومُسرَّ نبيك محمداً صلى الله عليه وآله برويته ، ومن تبعه على دعوته ، وارحم استكثاننا بعده .

« اللهم اكشف هذه الغمة ، عن هذه الأمة بمحضوره ، وعجِّل لنا ظهوره ، وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً برحمتك يا أرحم الراحمين ^(١) .. ١١ » .

وقد استمر تيار الشك في وجود محمد بن الحسن قوياً جارفاً حتى العصور الحديثة ؛ قال العلامة الفارسي « ميرزا عبد الحسين آواره » :

« وفي الحقيقة ونفس الأمر ، لم يكن القول بوجود شخص كهذا ، إلا فرية واختلاقاً ؛ وذلك أنه لما توفي الإمام الحسن العسكري ، لم يكن له خلف ولا ذرية ، فاستولى المتوكل العباسي ، بعد وفاته على أمواله جميعها ووزعها ، وبعث بالقوابل إلى حرمه ، للكشف على نسائه ، وتبين حملهن من عدمه ، فتحقق بعد الكشف أنه لا يوجد بينهن حامل ، وشاعت الأخبار وذاعت أن الحسن مات عقيماً ، ولكن هذا الخبر ، لما لم يرق في أعين زمرة من شيعته ، أشاعوا نقيضه ، وهو أن الإمام الحسن له ولد صغير السن ، كان يخفيه والده عن أعين الناس خوفاً عليه من الأعداء ، وهو الآن في الغيبة الصغرى . وعلى أثر تلك الإشاعة قام أربعة رجال ، الواحد بعد الآخر ، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب ، وعُرفوا باسم (النواب الأربعة) ^(٢) » .

ويجدثنا أيضاً البهائية « ميرزا آواره » ^(٣) ، أنه في سنة ستين بعد المائتين من الهجرة ، مات النائب الرابع وهو محمد بن عثمان السري ، وقد قرر وهو يحتضر سداً باب النيابة ، وابتداء غيبة الإمام الكبرى ، وقد أخذ علماء الشيعة يعملون جهدهم

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٤٥

(٢) السكواك الدرية في تاريخ ظهور البائية والبهائية - ١ ص ٣١

(٣) المصدر السابق - ١ ص ٣٣ وما بعدها .

في تأييدها بالحجج والبراهين ، واشتد ذلك في القرون الوسطى للإسلام ، غير أن هذه البراهين كانت — كما يقول آواره — من الضعف بمكان .

ويشغل محمد بن الحسن العسكري صحائف عديدة من أدب الشيعة الاثني عشرية ، وقد امتدحه بهاء الدين العاملي — المتشيع الاثنا عشرى صاحب الكشكول — بقصائد تُعد من أروع الشعر العربي ، سلاسة ورقة وصدقاً ، وسنعرض لذلك في حينه . وقد سخر أهل السنة من عقيدة الاثني عشرية الخاصة بالمهدى وقتدوها بقولهم : إن المهدي — تبعاً لما جاء في الروايات — يجب أن يكون اسمه محمداً (كاسم النبي) ، واسم أبيه عبد الله (كاسم أبيه عليه السلام) ، ووالد المهدي ، وهو الإمام الحادي عشر اسمه الحسن ، لا عبد الله ، كما يجب أن يكون .

وقد سخر أهل السنة أيضاً سخرية لازعة من غيبة محمد بن الحسن ، واختفائه في السرداب ، وفي ذلك يقول ابن حجر ^(١) :

ماحان للسرداب أن يلد الذي سميتموه بزعمكم إنساناً ١٩
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العفاء والغيب — لانا

وقد أجاب الاثنا عشرية — كما لاحظ ذلك « جولدزيهر » Goldziher ^(٢) — بقولهم : إن متن الحديث الدال على اسم المهدي قد صُحِّف ، فبدلاً من عبارة (يواطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي) الواردة في الحديث ، يزعمون أن الصواب (واسم أبيه اسم ابني) ، وأبو المهدي اسمه (الحسن) وهو اسم حفيد النبي (الحسن بن علي) ، ولا يشكون في أن كلمة (ابن) تفيد أيضاً معنى الحفيد !

أما اختفاء الإمام وغيبته ، فقد اشتغلوا بها في العصور الوسطى الإسلامية ، وأقاموا عليها أدلة وبراهين ، غير أنها كانت من الضعف بحيث لم تقنع الشيعة أنفسهم ، بله أهل السنة ، وقد كانت في الحق مجرد جدال ولجاج .

(١) الكواكب الدرية ١ ص ٣٢

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٤

والاثنا عشرية من أعظم فرق الشيعة انتشاراً في العصر الحديث ، وقد أقرّت مذهبهم في إيران ، الأسرة الصفوية — التي تزعم أنها من سلالة موسى الكاظم — فأصبح بذلك المذهب الرسمي للدولة ، وقد أسر الشاه اسماعيل الصفوي — بعد اعتلائه العرش عام ١٢٠٦ هـ / ١٨٠٠ م — خطباء أذربيجان ، أن تكون الخطبة باسم الأئمة الاثني عشر .

ومن الاثني عشرية في إيران انشعبت « البائية » و « البهائية » ، وانفردت كل منهما بعقائد جديدة ، لاقت رواجاً في العصر الحديث كما سنحدثك فيما بعد .
وللمذهب الاثني عشرى — كما يقول ^(١) العلامة « هيار » Huart — أهمية كبرى عند الفرس ، الذين نظروا إلى الأئمة كما نظر النصارى إلى أقانيمهم ، وقالوا إن بأيديهم مقادير العالم ، وعليهم حفظه وهدايته ، وطاعتهم والتوسل إليهم أمراً ضرورياً ، وهناك صلوات خاصة بهم ، وأيام وساعات مقدسة من أجلهم ، وللذين يزورون قبورهم أجر معلوم ...

الاسماعيلية ^(٢) :

تنسب هذه الفرقة إلى الإمام السابع « إسماعيل » وهو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق ، وكان جعفر قد عين إسماعيل خلفاً له ، غير أنه لقيه مرة ثملاً مخوراً ، فعاد وعين ابنه الثانى موسى ، ولكن الإسماعيلية لا تسلم بنزع الإمامة من إسماعيل ؛ لأنهم يرون أن الإمام معصوم ، وشرب الخمر لا يقدر في عصمته ، ويلومون جعفرأ على فعلته ، التي تمس عصمة الأئمة وترتيبهم الإلهى المقدس . وقد توفى

(١) أنظر مادة الاثني عشرية بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٤٢٩ من الترجمة العربية .

(٢) ويسمون أيضاً بالباطنية ؛ وذلك لقولهم بالإمام الباطن أى المستور أو لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره . وقد عفى أبو حامد الغزالي بالرد على هذه الطائفة ذات التعاليم الخطرة في كتابه « فضاء الباطنية » الذى نشره العلامة « جولزير » Goldziher بليدن عام ١٩١٦

إسماعيل هذا بالمدينة عام ١٤٣ هـ = ٧٦٠ - ٧٦١ م ، أى قبل وفاة أبيه بخمس سنين ودفن ببيقاع الفرقد ^(١) .

وقد أراد جعفر الصادق أن يؤكد وفاة ابنه — الذى يظهر تماماً أنه لم يكن راضياً عنه — فتمّ له ذلك بشهادة عدول كثيرين ، بيد أن الإسماعيلية أيضاً لم يسلموا بموت صاحبهم ، على الرغم من تأكيدات جعفر القاطعة ، وزعموا أنه كان حياً بعد وفاة أبيه بخمس سنين ، وأنه رؤى فى سوق البصرة ، حيث وضع يده على مقعد فأراه

وقد انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ولده محمد الـكـتـوم ، الذى أصبح الإمام السابع الحقيقى ، وحلّ بذلك محلّ أبيه ، وهؤلاء الأئمة المستورين ، الذين تفرقوا فى البلاد مختلفين ، لما لحقهم من الاضطهادات السياسية التى حاقت بالعلويين جميعاً . وكان هؤلاء الأئمة المستورون ، يبعثون إلى العالم الإسلامى بالدعاة ، محتجّين الجاهرة بالدعوة ، إلى أن مات الإمام محمد الحبيب بن جعفر الصادق ، بن محمد الـكـتـوم بن إسماعيل ، بن جعفر الصادق ، آخر هؤلاء الأئمة المحتجّين ، وحانت عقيب موته تلك اللحظة الحاسمة ، التى أثمرت فيها تعاليم الحركة السريّة الإسماعيلية بظهور ولده عبيد الله ، على اعتبار أنه المهدي المنتظر ، وقد دعا له فى صحارى المغرب ، أبو عبد الله الشيعى ، الحسن بن أحمد ، الذى يظهر أنه نجح فى مهمته أيما نجاح . وقد حاول الخليفة العباسى المكتفى بالله ، القبض على أحد دعاة الدعوة الخطرين سعيد بن الحسين ، ولكنه فرّ إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب ، حيث وجد فيها أرضاً خصيبة صالحة لبذور دعوته ؛ وذلك لما كان يسودها وقت ذاك من انحطاط فكري عام وبداوة شاملة .

(١) أنظر فيما يتعلق بالإسماعيلية ، الشهرستانى - ٢ ص ٢٧ على هامش ابن حزم ، طبع المطبعة الأدبية ، والبغدادى فى « الفرق » ص ٣٩ ، نشر الطائر بالقاهرة ، ومختصر الرسمى ص ٥٨ ، والأسفرائينى فى « التبصير فى الدين » ص ٢٣ ، وانظر أيضاً هذه المادة بدائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية .

ويحدثنا الرواة أن هذا الداعية الخطر «سعيد بن الحسين» هو الذي زعم أنه المهدي المنتظر، أبو محمد عبيد الله من ولد جعفر الصادق، ولم ينكر عليه الداعية أبو عبد الله الشيعي هذا الزعم، بل عمل على تأكيده وأخذ البيعة له، فبايعه على دعوته بربر قبيلة كتامة، ثم تنابح المغاربة على المبايعة، فاستطاع أبو عبيد الله المهدي — بعد خطوط وحروب — أن ينتزع ملك الأغالبة، وأن يحقق أحلام العلويين بقيام دولة بنى عُبيد الفاطمية في شمال أفريقيا، في أواخر القرن الثالث الهجري ٢٩٦ هـ — ٩٠٩ م .

ولاشيعة الإسماعيلية دعوة سرّية فلسفية إلحادية، لها درجات ومراتب؛ قال عضد الدين الإيجي :

« ولهم في الدعوة مراتب :

« الذوق — وهو تفرّس حال المدعو؛ هل هو قابل للدعوة أم لا ؟ ولذلك منعوا إلقاء البذر في السبخة، والتكلم في بيت فيه سراج .

« ثم التأنيس باستماله كل أحد بما يميل إليه، من زهد وخلاعة .

« ثم التشكيك في أركان الشريعة بمقطعات السور، وقضاء صوم الخائض دون قضاء صلاتها، والفسل من المنى دون البول، وعدد الركعات .

« ثم الربط : أخذ الميثاق منه بحسب اعتقاده، ألا يفشى لهم سرّاً، وحوالته على الإمام في حل ما أشكل عليه .

« ثم التدليس : وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم، حتى يزداد ميله

« ثم التأسيس : وهو تمهيد بمقدمات يقبلها المدعو .

« ثم الخلع : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية .

« ثم السلخ عن الاعتقادات، وحينئذ يأخذون في استعجال الذات، وتأويل الشرائع» ^(١) .

وقد حدثنا العلامة تقي الدين المقرئ ^(٢) عن دعوة الإسماعيلية هذه، وصوّرها

(١) المواقف ص ٤٢٢، والفرق بين الفرق ص ١٧٩

(٢) انظر المقرئ ص ١ و ٣٩١ وما بعدها ط بولاق عام ١٢٧٠ هـ .

لنا تصويراً رائعاً ، يدلنا على مقدار ما وصل إليه دعاة الإسماعيلية من براءة فائقة في جذب الناس إلى حظيرة الدعوة بأساليب سيكلوجية دقيقة ؛ فالداعى يبدأ مهمته بسؤال من يدعوه إلى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ، ومعاني الأمور الشرعية ، وشيء من الطبيعيات ومن الأمور الغامضة ، فإن كان المدعو عالماً بمثل ذلك سلم له الداعى ، وإلا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة ، فائثاله : يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأئمة من العلم لم تختلف ، وحينئذ يشاق الطالب إلى معرفة ما عند الداعى من هذا العلم المستور ، وحينما يجد صاحبنا إقبالاً من تلميذه ، يأخذ في ذكر معاني شرائع الدين ، وتقرر أن الآفة التي نزلت بالأئمة وقرت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ، هي ذهاب الناس وانصرافهم عن الأئمة الذين نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم ، يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها ، غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا في الأمور بمقولههم ، واتبعوا ما حسُن في رأيهم ، وقلدوا سلفتهم وأطاعوا سادتهم وكبراءهم ، اتباعاً للولوك وطلباً للدنيا ، التي هي أيدى متبعي الإثم وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرياسة على الضعفاء ، ومكابدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومخالفة دعوته وإفساد شريعته وسلوك غير طريقته ، ومعاندة الخلفاء والأئمة من بعده ، صار الناس إلى أنواع الضلالات ، فإن دين محمد ما جاء بشهوات الناس ولا بما خف على الألسنة وعرفته دماء العامة ، ولكنه صعب مستصعب وعلم خفي غامض ، ستره الله في حجبهِ وعظَّم شأنه عن ابتذال أسرارهِ ، فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل أو عبد مؤمن ، امتحن الله قلبه للنقوى . . . !

فإذا أنس الداعى من تلميذه إنصافاً له وإقبالاً عليه نقله إلى المرتبة الثانية ، بعد أن يعمل على تشكيكه في الشريعة الإسلامية .

ومن المسائل التي كانوا يبعثون بها الشك والقلق في نفوس الناس ، قولهم :
ما معنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم كانت الحائض تقضى الصوم
ولا تقضى الصلاة ؟ وما بالجنب يغتسل من ماء دافق يسير ، ولا يغتسل
من البول النجس الكثير ؟ وما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أمجز عن
خلقها في ساعة واحدة ؟ وما معنى الصراط الوارد في القرآن ؟ وما معنى الكاتنين
الحافظين ؟ وما لنا لا نراها ؟ أخاف الله أن نكابر ونجأده ، فأقام علينا
الشهود وقيد ذلك بالكتابة في القراطيس ؟ وما تبديل الأرض غير الأرض ؟
وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب ؟
وما معنى « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ؟ وما إبليس ؟ وما الشياطين
وما وُصفوا به ؟ وأين مستقرهم ؟ وما يأجوج وماأجوج وهاروت وماروت ؟
وأين مستقرهم ؟ وما سبعة أبواب للنار ؟ وما ثمانية أبواب للجنة ؟ وما شجرة
الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الأرض ورءوس الشياطين ؟ وما الشجرة
الملعونة في القرآن ؟ وما التين والزيتون ؟ وما الخنّس والكنّس ؟ وما معنى ألم والمص ؟
وما معنى كهيعص وحمسق ؟ ولم جمعت السموات سبعاً ، والأرضون سبعاً ، والمثنى
من القرآن سبع آيات ؟ ولم تُجرت العيون اثنتى عشرة عيناً ؟ ولم جمعت الشهور
اثني عشر شهراً ؟ وماذا ينفعكم العمل بالكتاب والسنة من غير أن تفكروا
أولاً في أنفسكم : أين أرواحكم ؟ وكيف صورها وأين مستقرها وما أول أمرها ؟
والإنسان : ما هي حقيقته ، وما الفرق بين حياته وحياته البهائم ؟ وما معنى قول
الرسول : خلقت حواء من ضلع آدم ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الإنسان عالم صغير
والعالم إنسان كبير ؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبه دون غيره من الحيوانات ؟
ولم كان في يديه من الأصابع عشر وكذلك في رجله ؟ ولم كان في ظهره اثنتا عشرة
عقدة وفي عنقه سبع عقد ؟ ولم جُعلت أعداد عظام الإنسان كذا ... وأعداد أسنانه
كذا ... والأعضاء الرئيسية كذا ... إلى غير ذلك من التشریح والقول في العروق
والأعضاء ومنافع الحيوان . . . !

هذه هي مسائلهم التي كانوا يشيرون بها الشك في نفوس الجماهير ، فإذا نجحوا في ذلك ، وأكبر الظن أنهم كانوا ينجحون ، يقول الداعي لتلاميذه :

ألا تفكرون في حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم ؟ وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية ، حتى جمع ما جمع وفرّق ما فرّق ؟ فكيف يسمعكم الإعراض عن هذه الأمور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، « ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون » ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ؟ . وأي حق عرفه من جحد الديانة ؟ ألا يدلّكم هذا على أن الله جلّ اسمه أراد أن يرشدكم إلى بواطن الأمور الخفية وأسرارها المكتومة ؟ . ولو تنبهتم لها وعرفتموها ، لزالت عنكم كل حيرة ، ودُحضت كل شبهة ، وظهرت لكم المعارف السنية ، ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها كان حريّاً ألاّ يعلم غيرها ؟ أليس الله تعالى يقول : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً » ؟ .

وهكذا يستمر الداعي في تأويل القرآن ، وتفسير السنن والأحكام ، وإيراد أبواب من التجويز والتعليل ، فإذا علم أن نفس الطالب قد تعلقت بما سأله عنه ، وطلب منه الجواب عنها ، قال له حينئذ :

« لا تعجل فإن دين الله أعلى وأجل من أن يُبذل لغير أهله ، ويجعل غرضاً للعب » . وجرت عادة الله وسنته في عباده عند شرع من نصبه ، أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » ، وقال عز وجل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » ، وقال جل جلاله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، وقال : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » ، وقال : « لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل » .

فأعطينا صنفقة يمينك ، وعاهدنا بالمؤكّد من أيمانك وعقودك ، ألاّ نفشي لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ، ولا توالى لنا عدوا . فإذا أعطى الطالب العهد ، قال له الداعى : أعطنا جُعلاً من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعرفك إياها ... يقول المقرّيزى : « والرسم فى هذا الجعل بحسب ما يراه الداعى ، فإن امتنع المدعوّ أمسك عنه الداعى ، وإن أجاب نقله إلى الدعوة الثانية » .

وهذه صورة العهد الذى يؤخذ على من يريد الدخول فى حظيرة الإسماعيلية^(١) : يقول الداعى لتلميذه : « جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائسكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق ، أنك تستر جميع ما سمعته وسمعتة ، وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من أسرى وأمرى المقيم بهذا البلد ، لصاحب الحق الإمام ، الذى عرفت إقرارى له ونصحى لمن عقد ذمته ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالفته له ، من الذكور والإناث والصغار والكبار ، فلا تظهر من ذلك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، ولا شيئاً يدل عليه ، إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به ، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد ، فتعمل فى ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك ، أن تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتى الزكاة لحقها ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به ورسوله ، وتوالى أولياء الله وتعدى أعداء الله ، وتقوم بفرائض الله وسننه ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، ظاهراً وباطناً ، وعلانية سراً وجهراً ، فإن ذلك يؤكّد هذا

(١) خطط المقرّيزى ص ١٠٦ وما بعدها ط بولاق .

العهد ولا يهدمه ، ويثبتته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعده ، ويشده ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعتميه ، كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، على الشرائط المبينة في هذا العهد ، جعلت على نفسك الوفاء بذلك ، قل : نعم — فيقول المدعو : نعم ، ثم يقول الداعي له — والصيانة له بذلك ، وأداء الأمانة ، على ألا تظهر شيئاً أخذ عليك في هذا العهد ، في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، لا في غضب ولا على حال رضى ، ولا على رغبة ولا في حال رهبة ، ولا عند شدة ولا في حال رخاء ، ولا على طمع ولا على حرمان ، تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد ، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن تمنعني وجميع من أسميه لك وأثبتته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولولايتك ولّى الله ، نصحاً ظاهراً وباطناً ، فلا تخن الله ووليّه ولا أحداً من إخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه متنا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله ، فإن فعلت شيئاً من ذلك ، وأنت تعلم أنك قد خالفته وأنت على ذكر منه ، فأنت برىء من الله خالق السموات والأرض الذى سوى خلقك وألف تركيبك ، وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك ، وتبرأ من رسله الأولين والآخرين ، وملائكته المقر بين الكروبيين والروحانيين ، والكلمات التامات ، والسمع المثانى والقرآن العظيم ، وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضى الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بيناً ، يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم ، التى ليس لله فيها رحمة ، وأنت برىء من حول الله وقوته ، ملجأ إلى حول نفسك وقوتك ، وعليك لعنة الله ، التى لعن الله بها إبليس ، وحرّم عليه بها الجنة وخلده في النار ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، ولقيت الله يرم تلقاه وهو عليك غضبان والله عليك أن تحجج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجّاً واجباً ماشياً حافياً ، لا يقبل الله

منك إلا الوفاء بذلك ، وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في مملكتك أو تستفيده إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئاً من ذلك ، فمن طوالق ثلاثاً بقة ، طلاق الحرج لامثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرها ، فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك ، وأنا المستحلف لك ، لإمامك وحجتك ، وأنت الحالف لهما ، وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها ، والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل : نعم ، فيقول : نعم . »

فإذا أعطى الطالب على نفسه هذا العهد الوثيق ، قال له الداعي : إن الله تعالى لم يرض في إقامة حقه وما شرعه لعباده ، إلا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس ، وأقامهم لحفظ شريعته على ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى ، فإذا تقرر ذلك في نفس الطالب نقله إلى المرتبة الثالثة ، ويعرفه أن الأئمة سبعة ، قد رتبهم الله تعالى كما رتب الأمور الجليلة ، فإنه جعل الكواكب السيارة سبعة ، وجعل السموات سبعاً ، وجعل الأرضين سبعاً ، وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي والحسين بن علي ، وعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ومحمد بن علي ، وجعفر ابن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان .

والإسماعيلية كما يقول المقرئ : « يختلفون في هذا القائم ، فمنهم من يجعله محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويُسقط إسماعيل بن جعفر ، ومنهم من يعدّ إسماعيل بن جعفر إماماً ثم يعدّ ابنه محمد بن إسماعيل . »

فإذا تقرر عند الطالب أن الأئمة سبعة ، شرع الداعي في ثلث بقية الأئمة

الذين تعتقد الإمامية فيهم الإمامة ، وأخذ يؤكد لتلميذه أن محمد بن إسماعيل عنده علم المستورات و بواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره ، وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة ، ثم بشرع الداعي في تقرير المرتبة الرابعة ، بعد أن يتيقن من صحة انقياد تلميذه لجميع ماتقدم ، وفي هذه المرتبة يحدّثه عن الأنبياء الناسخين للشرائع المبدلين لأحكامها أحباب الأدوار وتقليب الأحوال ، وأنهم سبعة فقط كعدد الأئمة سواء ، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء لابدّ له من صاحب ، يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ؛ ويكون معه ظهيراً له في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، وأن آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان صاحبه عليّ بن أبي طالب ، ثم من بعد عليّ ستة صمّتوا على الشريعة المحمدية ، وقاموا بميراث أسرارها ، وهم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق ، أما ابنه محمد فهو صاحب الزمان ، الذي انتهى إليه علم الأولين ، وعلى جميع الناس اتباعه والخضوع له والانقياد إليه ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة الخامسة ، وفيها يقرّر أنه لابد لكل إمام قائم من أعوان ، هم حجب الله على خلقه ، متفوقون في أنحاء الأرض وعليهم تقوم ، وعدنهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان ، ثم ينتقل الداعي إلى المرتبة السادسة ، وفيها يفسر شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر ، وأن هذه الأشياء جاءت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم ، حتى يشتغلوا بها عن بني بعضهم على بعض ، ولتصدّهم عن الفساد في الأرض ... !

فإذا طال الزمان وصار الطالب يمتدّد أن أحكام الشريعة كلها وُضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة ، وأن لها معاني آخر غير مايدل عليه الظاهر ، نقله الداعي إلى الكلام في الفلسفة ، وحضّه على النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس ، ونهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات ، وزيّّن له الاقتداء بالأدلة العقلية

والتعويل عليها ، فإذا استقر ذلك عنده ، نقله إلى المرتبة السابعة ، وفيها يتحدث الداعى عن الناصب للشريعة وأنه لا يستغنى بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكون أحدهما الأصل والآخر عنه كان وصدر ، ثم ينتقل إلى المرتبة الثامنة وفيها يشرح الداعى ويقرر أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب ، معناها سوى ما يفهمه العامة ، وغير ما يتبادر الذهن إليه ، وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء دور من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد ، جاء على ترتيب الطبائع ، ثم ينتقل الداعى إلى المرتبة التاسعة ، وهى النتيجة التى يحاول بتقرير جميع ماتقدم رسوخها فى نفس من يدعوه ، فإذا تيقن أن المدعوى تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز ، أحاله على ماتقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهى . وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية . حتى إذا تمكن الطالب من معرفة ذلك ، كشف الداعى قناعه ، وأخذ يشرح لتلميذه أن الوحي ما هو إلا صفاء النفس ، فيجد النبى فى فهمه ما يُلقى إليه ويتنزل عليه ، فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله ، الذى ينظم به النبى شريعته بحسب ما يراه من المصلحة فى سياسة العامة ، ولا يجب حينئذ العمل بها ، إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء ... ١ ، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته فإنها اليقين الذى يجب المصير إليه ... ١ وما عدا المعرفة من سائر أمور الشرع فإنما هى أقال وأوضار ، حملها الكفار أهل الجهالة ... ١.

فالأنبياء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة ، أما الفلاسفة فهم أنبياء
حكمة الخاصة ... ١١

ونحن لانشك أن هذه الدعوة الإسماعيلية هى بعينها ومراتبها دعوة ابن ميمون السريّة الإلحادية التى كانت سبباً فى ثورة القرامطة الإباحية ، والقرامطة باطنية إسماعيلية ؛ فقد كان ابن ميمون من تلامذة جعفر الصادق ؛ قال ابن شهر آشوب :

« عبد الله بن ميمون القذّاح المكي ، من أصحاب الصادق عليه السلام ^(١) » .
ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن من الإسماعيلية ، « الدرّوز » أتباع حمزة بن عليّ
وأبي محمد الدرزي ، الذين يقولون بألوهية الخليفة الفاطمي الإسماعيلي الحاكم
بأمر الله ، ويعتقدون رجعته إلى الدنيا .

والإسماعيلية اليوم من فرق الشيعة الواسعة الانتشار ، وإمامهم المعاصر هو الزعيم
الهندي المعروف « أغا خان » أحد أثرياء العالم .

ومن « الإسماعيلية » و « البهرا » يتكون في الهند الجانب الأكبر من المسلمين
كما يحدثنا العلامة « هيار ^(٢) » Huart ، وهم منتشرون أيضاً في الشام وإيران
وأواسط آسيا بالقرب من « بلخ » ، وفي أفغانستان ، حيث يعرفون هناك باسم
« مفتدي » ، كذلك يوجد منهم عدد كبير في البلاد الواقعة في حوض نهر جيحون
الأعلى ، كما يوجدون أيضاً في زنجبار وتنجانيقا ، ويعدون هناك بعشرات الألوف ^(٣) .

(١) معالم العلماء ص ٦٥ ط طهران .

(٢) أنظر مادة « الإسماعيلية » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢ ص ١٨٧ من الترجمة العربية

(٣) المصدر السابق .

الفصل الخامس

أدب المهديّة عند الشيعة

أدب الشيعة بوجه عام ، أدب حزين مكثوم ؛ تشيع الدموع بين طواياه ، فطالعك بها سطور ، وتدعوك إليها ألفاظه حتى ليكاد يبكيك . وهو أدب صادق ، فاض به نبع خالص فياض ؛ تطالع له فلا تحس دجلاً مستوراً في زخرف القول ، أو نفاقاً مبرقماً بصنعة اللفظ وتهريج الكلم ، بل إنك لتكاد تحس بالنفوس مذابة في كلمات ، وبالأرواح سيالة في سطور . وهو مع هذا سلس لا تعقيد فيه ولا صنعة ، لا تكاد تبدأ في قراءة القصيدة من شعره ، حتى تسلك البداية إلى النهاية ، في جو حزين مليء بالعواطف ، دون تمتر بمحوشى اللفظ ، أو إسفاف وتدلّ إلى بهرج الصنعة الزائف ؛ تأخذك دموعه ، كما يأخذك جرسه في الأذن ووقعه في القلب . وإنك لتلمس ذلك واضحاً أيما وضوح في أشعار « دعبل » و « هاشميات » السكيت .

ولقد كان لتاريخ الشيعة السياسي ، ولما ذاقه العلويون من صنوف المحن والمظالم ، أثر كبير في طبع هذا الأدب بطابع الحزن والصدق والقوة الفنية . وهو في جلته يكاد يدور حول مناقب عليّ بن أبي طالب ، وإمامته ووصايته واغتصاب حقه في الخلافة ، ثم في مقاتل الطالبيين ، والنياحة على قبورهم والإشادة بفضائلهم . وصبّ اللعنات على ظالمهم ، والتقرب من أحيائهم ، والتوسل بأمواتهم ، كل ذلك حسبة لله تعالى وزلفى إليه .

بيد أن الشاعر المتشيع كثيراً ما تدفعه حماسه لآل البيت ، إلى الإغراق في شعره والغلوّ فيه إلى حد بعيد ، تدفعه إلى ذلك عقيدته المقدسة في « الإمام » الذي يكاد الشاعر يرتفع به إلى مصاف الآلهة ؛ كما في قول ابن هانيّ الأندلسي في المعزّ لدين الله الفاطمي :

ماشئتَ لاما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار !
وكما في أشعار « العاملي » التي سنأتى عليها بعد حين .

ولقد كان لعقيدة « المهدي » عند الشيعة نصيب كبير من أدبهم ، فشغلت منه صحائف رائعة حقاً ، والذي يعنينا في هذا المقام ، هو هذا الأدب الذي يدور حول « المهدي » أو يتصل به بسبب أو نسب . وسنقتصر حديثنا في هذا الصدد على شعراء ثلاثة ، يعتبرون بحق من فحول شعراء الشيعة في القديم والحديث ، وهم : كثير عزة ، والسيد الحميري ، وبهاء الدين العاملي .

كثير عزة :

هو الشاعر الغزلي المشهور ، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن ، كان كما يقول صاحب الأغاني :

« من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي ، وكان غالباً في التشيع ، يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَقِّقاً مشهوراً بذلك ، وكان آل مروان يعلمون بمذهبه ، فلا يغيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ، ولطف محله في أنفسهم وعندهم ، وكان من أتبيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد » ^(١) .

فكثير شاعر كيساني كربى ^(٢) ، يدين بمهدية محمد بن الحنفية وبقائه حياً بجبال رضوى ، وخروجه يوماً ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ...

ولقد كان يدين بالتناسخ ، دخل يوماً على عمة له يزورها — وكانت تكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها — فقال لها : والله ما تعرفيننى ولا تكرميننى حق كرامتى ، قالت : بلى ، والله إنى لأعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان بن فلان

(١) أنظر الأغاني ج ٩ ص ٤ ط الدار .

(٢) الكربية أتباع أبى كرب الضرير ، وهم إحدى فرق الكيسانية التي قالت بمهدية ابن الحنفية وحياته بجبال رضوى كما أوضحنا ذلك من قبل .

وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت :
فن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ^(١) . . .

وكان طبعياً أن يدين بالرجعة ، دخل عليه عبد الله بن حسن ، بن حسن بن عليّ
ابن أبي طالب ، يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثيرٌ : أبشرْ فكأنك
بي بعد أربعين ليلة ، قد طلعتُ عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن :
مالك ؟ ! عليك لعنة الله ، فوالله لئن متَّ لا أشهدك ، ووالله لا أعودك
ولا أكلك أبداً ^(٢) . . .

ولقد بكاه بعض أهله في مرض موته فقال له : لاتيك فكاكُني بك بعد أربعين
يوماً نسمع خشقة ^(٣) نغلي من تلحم الشربة راجعاً إليكم ^(٤) . . . !
ولقد تبرأ كثيرٌ من الخلفاء الثلاثة الأول ، إذ رآهم مغتصبين لحق عليّ
في الخلافة ، فقال ^(٥) :

برئتُ إلى الإله من ابن أروى ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمرٍ برئتُ ومن عتيق غداة دُعي أمير المؤمنين
وقد أجابه البغدادي بقوله ^(٦) :

برئتُ إلى الإله ببغض قوم بهم أحياء الإله المؤمنين
وما ضرَّ ابنَ أروى منك بغضٌ وبغض البرِّ دين الكافرين
أبو بكر لنا حقاً إمام على رغم الروافض أجمعينا
وفاروق الوري عمر بحق يقال له أمير المؤمنين

(١) الأغاني ٩ ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٧

(٣) خشقة النعل : صوتها .

(٤) الأغاني ٩ ص ٣٦

(٥) أنظر شرح ديوان كثير ١ ص ٢٦٩ ط الجزائر ، وانظر أيضاً المقد الفريد

لابن عبد ربه ٢ ص ٤٠٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٨

والحق أن كثيرًا كان صادقًا كل الصدق في تشيعه ، وإن كان كاذبًا كل الكذب في عشقه ، منافقًا كل النفاق في سياسته ، ولقد مات بالمدينة عام ١٠٥ هـ قال ابن سلام :

« مات كثيرٌ وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاختلفت قریش في جنازة كثيرٍ ، ولم يوجد لعكرمة من يحملها ^(١) » .
وفي ابن خلكان :

« عن الواقدي قال مات عكرمة مولى ابن عباس وكثيرٌ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتهما جميعاً ، صُلِّيَ عليهما في موضع واحد ، فقال الناس : مات أفعه الناس وأشعر الناس ، وكان موتهما بالمدينة ^(٢) » .
ولقد عاصر كثيرٌ ، محمد بن الحنفية ، الذي كان يحبه ويعطف عليه ويتلطف به ، لنضاله عن آل البيت ، وقد افتخر كثيرٌ بذلك فقال ^(٣) :

أقرّ الله عيني إذ دعاني أمين الله يلطف في السؤال
وأنتي في هواي على خيراً وسأل عن بنيّ وكيف حالي
وكيف ذكرتُ حال أبي خبيب ^(٤) وزلّة فعله عند السؤال
هو المهديّ خبرناه كعب أخو الأحرار في الحقب الخوالي
وعندما حبس عبد الله بن الزبير ، محمد بن الحنفية في سجن عارم بمكة — انتقاماً منه ومن بني هاشم جميعاً ، لرفضهم مبايعته والتعاون معه كما أوضحنا ذلك من قبل — أنشد كثيرٌ ^(٥) :

(١) طبقات الشعراء ص ١٨٤ ط السعادة .
(٢) انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٥ ط الحلبي ، وانظر أيضاً « شذرات الذهب » لابن العماد ج ١ ص ١٣٠ وما بعدها .
(٣) الأغاني ج ٩ ص ١٦ ، والديوان ج ١ ص ٢٧٥ .
(٤) كنية عبد الله بن الزبير ، وكان ميخلاً .
(٥) الأغاني ج ٩ ص ٩٥ ، وانظر الديوان ج ١ ص ٢٧٨ ، وانظر أيضاً الكامل للمبرد ج ٧ ص ١٣١ نثر المرصفي .

من يرى هذا الشيخ بالخيف من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى النبي المصطفى وابن عمه وفكّاك أغلال ونفّاع غارم
أبى فهو لا يشرى هدى بضلالة ولا يتقى في الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بباقي لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم
تُخبّر من لا قيت أنك عائد^(١) بل العائد المظلوم في سجن عارم

السيد الحميري :

أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، شاعر الشيعة الكيسانية غير مدافع ، وقد كان جده يزيد شاعراً فحلاً مشهوراً ، هجّاز ياد بن سمية وبنيه ، ونفّاهم عن آل حرب ، خبسه عبيد الله بن زياد وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . وقد كان السيد كجده ، شاعراً متقدماً مطبوعاً مكثراً ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره ، لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله وأزواجه كما يقول صاحب الأغاني^(٢) ، ولكن بالرغم من ذلك ، فإننا نجد سدياً كبيراً ومحدثاً مشهوراً كالدارقطني يحفظ ديوانه ، ويقول في حقه بشار : « لولا أن هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لأتبعنا^(٣) » .

ولد شاعرنا لأبوين خارجيين إباضيين ، كان منزلها بالبصرة في غرفة بني ضبة ، التي طالما سب فيها علي بن أبي طالب ، كما نخبرنا السيد عن أبيه ، فإذا سئل الشاعر عن هذا التشيع من أين وقع له ؟ قال : « غاصت على الرحمة غوصاً^(٤) » ، ولما علم

(١) لقب ابن الزبير .

(٢) الأغاني - ٧ ص ٢٢٩ ط الدار .

(٣) ابن شهر آشوب « معالم العلماء » ص ١٣٤ ط طهران .

(٤) الأغاني - ٧ ص ٢٣٠

أبواه بتشيعه ، هَمَّا بقتله ، فأتى عقبة بن مسلم المنائى مستجيراً ، فأجاره وبوأه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى مات أبواه فورثهما .

والحميرى كصاحبه كثير ، صادق في تشيعه منافق في سياسته مع بنى العباس ، ولقد كان الحميرى مُلهمًا في شعره ، بالغاً به حدّ الروعة والإعجاب ؛ وإنه ليحدثنا عن شاعريته الفذة هذه فيدعى أنها نعمة من نعمات الرسول عليه السلام في حلم رآه ، ولم يفته أن يقصه علينا فيقول :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، وكأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال ، وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ، ليس فيها شيء فقال : أتدرى لمن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله . قال : لأمريّ القيس بن حُجْر ، فاقطعها واغرسها في هذه الأرض ففعلت » . وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه ، فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا . قال : أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس ، إلا أنك تقوله في قوم بررة . قال : فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر ^(١) !

والحق أن صاحبنا لم يكن قط بحاجة إلى هذا الحلم العجيب ، ليناضل عن شعره أو تشيعه ، فكلاهما كان من القوة بحيث لا يحتاج إلى مثل هذه الدعامة الأسطورية التي نقرأها مبتسمين .

ولقد كان الحميرى كصاحبه كثير يدين بمهدية ابن الحنفية ، وبقائه حياً بجبل رضوى عنده غسل وماء ، عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، يحفظانه إلى أن يؤمر بالخروج ، فيملأ الدنيا عدلاً . . .

ومن شعره في ذلك ، تلك الأبيات الرائعة الذائعة ، التي تنسب أيضاً لكثير لنشابه الشاعرين في المنزِع والعقيدة ، يقول الحميرى ^(٢) :

(١) الأغاني ٧ ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨ ، وقد نسب هذه الأبيات إلى كثير ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٩ ص ٣٨ ، ومراجع الأدب تخلط في نسبتها إلى الشاعرين ، أنظر الأغاني ٩ ص ١٤ حيث نسبها لكثير ، مع أنه قد عزاها قبل ذلك مع شيء من الاختلاف في الرواية للسيد الحميرى أنظر ٧ ص ٢٤٥ ، وقد جعلها شارح ديوان كثير المطبوع بالجزائر من الشعر المنحول له .

ألا إن الأئمة من قریش ولأه الحق أربعة سواء
 على والثلاثة من بنیه هم الأسباط ليس بهم خفاء
 فسيط^(١) سبط إيمان وبرّ وسبط^(٢) غيبتته كربلاء
 وسبط^(٣) لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
 تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء
 وقد أجابه عبد القاهر البغدادي بقوله^(٤) :

ولأه الحق أربعة ولكن لثاني اثنين قد سبق العلاء
 وفاروق الذي أضحي إماماً وذو النورين بعد له الولاء
 على بعدم أضحي إماماً بترتيب لهم نزل القضاء
 ومبغض من ذكرناهم لعين وفي نار الجحيم له الجزاء
 وأهل الرض قوم كالنصارى حيارى وما لخيرتهم دواء

ولخطر شعر الحميري ومكانته ، حاولت الإمامية^(٥) الجعفرية جذبه بعد موته
 إلى صفوفها ، لتتال بذلك حظاً كبيراً من القوة وقسطاً وافراً من الأيد ، وقد عدّه
 ابن شهر آشوب من أصحاب الصادق^(٦) ، وزعمت الجعفرية أنه تاب من كيسانيته ،
 وأتاب إلى جعفر الصادق بقوله^(٧) :

تجفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
 أو بقوله :

تجفرت باسم الله في من تجعفرا

(١) الحسن بن علي .

(٢) الحسين بن علي .

(٣) محمد بن الحنفية .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٨

(٥) أتباع جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٦) معالم العلماء ص ١٣٤

(٧) أنظر الأغاني ج ٧ ص ٢٣٥

وتكاد فسولة هذا الشعر الساقط ، وهلهلة نسجه وركاكة لفظه ، تعلن بنفسها أنه ليس من الحميري الفحل في نسب أو سبب ، قريب أو بعيد ؛ ويقول الأغاني بحق : « وما وجدنا ذلك في رواية محصّل ، ولا شعره (الحميري) أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ؛ لأن هذا شعر ضعيف يتبين التوليد فيه ، وشعره في قصائده الكيسانية ، مبين لهذا جزالة ومتانة ، وله رونق ومعنى ليس لما يُذكر عنه في غيره ^(١) » .

ويحدثنا الأغاني أيضاً ، أصدق حديث عن راوية الحميري ، أبي داود سليمان ابن سفيان الذي قال : « ما مضى والله إلا على مذهب الكيسانية ^(٢) » ، ونسب الراوية هذه الأشعار الجعفرية الوضيعة ، لعلام للسيد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلها سيده السيد ، فجازت على كثير من الناس ممن لا يعرف خبرها ؛ وذلك لحل قاسم هذا من مولاه وخدمته إياه ^(٣) .

ويحدثنا الأصفهاني : أن جماعة ذكروا رجوع الحميري عن مذهبه في ابن الحنفية بحضرة راويته الثاني المعروف بابن الساحر ، فنفي ذلك بقوله ^(٤) : « والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات إلا منحولة له ، قيلت بعده ، وآخر عهدى به قبل موته بثلاث ، وقد سمع رجلاً يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لعليّ عليه السلام : « إنه سيولد لك بعدى ولد وقد نخلته اسمي وكنتي » ، فقال في ذلك ، وهي آخر قصيدة قالها :

أشأقتك المنازل بعد هند وترينها وذات الدلّ دعد
منازل أقفرت منهن محت معالمهن من سبيل ^(٥) ورعد

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٣٦ ط الدار .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣١

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٣

(٥) السبل : المطر

وريج حَرْجَفٍ^(١) تَسْتَنُ^(٢) فيها
 ألم يبلغك والأنباء تَنَمِي
 إلى ذى علمه الهادى على
 ألم تر أن خولة سوف تَأْتِي
 يفوز بكنتيتى واسمى لَأْتِي
 يُغَيَّبُ عنهمُ حتى يقولوا
 سنين وأشهرأ ويرى برضوى
 مقيمٌ بين آرايم وعينِ
 تراعيها السباع وليس منها
 أَمِنْ به الردى فرتمن طوراً^(٨)
 حلفتُ برب مكة والمصلى
 يطوف به الحبيج وكلَّ عام
 لقد كان ابنُ خولة غير شك
 فما أحدٌ أحبُّ إلىَّ فيما
 سوى ذى الوحي أحمد أو على
 ومن ذا يا ابن خولة إذ رمتنى
 يُذَبِّبُ عنكمُ ويسدُّ مما
 بسافى الترب تُلْجِمُ ما تُسَدِّى
 مقالُ محمد فيما يؤدى
 وخولة^(٣) خادمٌ فى البيت تردى^(٤)
 بوارى الزَّند صافى الخليم^(٥) نجد
 نخلتهما والمهدى بعدى
 تضمَّنه بطيبة بطنُ لحد
 بشعب بين أعمار وأُسد
 وحفان^(٦) تروح خلال رُبْد^(٧)
 ملاقيهن مفترساً بحد
 بلاخوف لدى مَرَعَى وورْد
 وبيت طاهر الأركان فرد
 يحل لديه وفدٌ بعد وفد
 صفاء ولايتى وخلوص ودِّى
 أَمِيرٌ وما أبوح به وأبدى
 ولا أزكى وأطيب منه عندى
 بأسمهما المنية حين وعدى
 تثلَّم من حصونكم كسدى

(١) حرجف : باردة .

(٢) تستن : تقبل وتدبر .

(٣) اسم امرأة من بنى حنيفة ، هى أم محمد بن على بن أبى طالب .

(٤) تردى : تلبس .

(٥) الخليم : الطبيعة والسجية .

(٦) حفان : صفار النعام .

(٧) الربرة : لون يختلط سواده بكدره ، والمراد هنا بالربد : الراتب .

(٨) كذا فى الأغاني ، وجاء فى الحاشية « لعله (صوراً) جمع صورا ، وهى المائلة العنق ، على أن يكون المراد أنها لاترفع رأسها خوف مايزعجها » .

ومالى أن أمرَ به ولكن أوْمَلُ أن يؤخَّرَ يومُ فقدى
فأدركُ دولة لك لستَ فيها يجبار فتوصف بالتمدُّى
لِتَمَلُّ بنا عليهم حيث كانوا بغورٍ من تهامة أو بنجد
إذا ما سرتَ من بلد حرام إلى مَن بالمدينة من معدٍّ^(١)
وهذه القصيدة من أمتع ما قيل في ابن الحنفية ، وهى من روائع الشعر العربى وبدائعهِ .
ومن شعر الحميرى فى ابن الحنفية أيضاً قوله ^(١) :

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلتَ بذلك الجبل المقاما
أضرَّ بمعشر والوك منّا وسمّوك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك عندهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرضٌ عظاما
لقد أوفى بمورق شعب رضوى تراجعهُ الملائكة الكلاما
وإنَّ له به لمقيل صدقٍ وأندية تحدّثهُ كراما
هدانا الله إذ جرّتم لأمرٍ به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة « المهديّ » حتى تروا راياننا تترى نظاما
وقد أجابه البغدادى بقوله ^(٢) :

لقد أفنيتَ عمركَ بانتظارٍ لمن وارى الترابُ له عظاما
فليس بشعب رضواكم إمامٌ تراجعهُ الملائكة الكلاما
وقد ذاق ابنُ خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلاوةٍ مجدٍ لماش المصطفى أبدا دواما
ولكن كلٌّ من فى الأرض فإن كذا حكم الذى خلق الأناما

(١) الأغاني ٢ ص ١٤ ط الدار ، والتبصير فى الدين للأسفرايينى ص ١٩ ، ومختصر الفرق
لرسمى ص ٣٩ والبداية والنهاية لابن كثير ٢ ص ٩
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٩ حيث أسند الأبيات إلى كثير ، مع أن الرسمى فى المختصر
أسندها إلى الحميرى .

ويقول الحميري في إيمان عميق ، وتحسر ظاهر ولهفة بالغة :

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى حتى متى تخفى وأنت قريب ؟
يا ابن الوصيِّ ويا سميَّ محمد وكنيَّه نفسى عليك تذوب
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت منّا النفوس بأنه سيؤوب
ومن شعره الباكي قوله ^(١) :

أُمرُزُّ على جدث الحـ ين ققل لأعظمه الزكيه
آعظماً لا زلتِ من وطفاء ^(٢) ساكبة روية
وإذا مررت بقبـ فأطلُّ به وقف المطيِّه
وابك المطهر للمطـ ر والمطهرة النقيـه
كبكاء معولة أنت يوماً لواحد لها المنيه
ومن قوله متبرئاً من الشيخين أبي بكر وعمر ^(٣) :

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهدـه يوم الغدير المؤكدا
فإني كن يشرى الضلالة بالهدى تنصّر من بعد التقى وتهودا
ومالى وتيم أوعديَّ وإنما أولو نعمتي في الله من آل أحدا
تم صلاتي بالصلاة عليهم وأدعو لهم ربّاً كريماً ممجّدا
بذلت لهم وُدّي ونصحي ونصرتي مدى الدهر ما سميتُ يا صاح سيـدا

ولقد كان الحميري ساخطاً كلّ السخط على أبي بكر وعمر ، لاغتصابهما

— فيما يزعم — حق على في الخلافة ؛ روى الأغاني أن الأمير العباسي « المهدي »
جلس يوماً يُعطى قريشاً صلاتٍ لهم — وهو وليُّ عهد — فبدأ بيني هاشم ثم بسائر
قريش ، فجاء الحميري ورفع إلى الربيع بن يونس بن محمد الحاجب رقعة مختومة وقال :
إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها فإذا فيها :

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٤٠

(٢) سحابة وطفاء : كثيرة الماء

(٣) الأغاني ج ٧ ص ٢٦٣ ط الدار .

قل لابن عباسٍ سميَّ محمدٍ لا تُعطينَّ بني عديَّ درهما
أحرِمُ بني تيم بن مرّةٍ إنهم شرُّ البريةِ آخرًا ومُقَدِّمًا
إن أعطهم لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُذمَّ وتُسْتَمَا
وإن ائتمتهم أو استعملتهم خافوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعهم أقصد بدهوكُم بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلمًا
منعوا تراث محمدٍ أعمامه وابنيه وابنته عديلة مريمَا
وتأمروا من غير أن يُستخلفوا وكفى بما فعلوا هنالك مأثمًا
لم يشكروا لمحمدٍ إنعامه أفيشكرون لسيره إن أنعمَا ؟
واللهُ منَّ عليهمُ بمحمدٍ وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصيه ووليّه بالمنكرات فجرّوه العلقما

قال أبو الفرج فرمى بها المهدى إلى كاتبه أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري وقال له : « أقطع العطاء فقطعه ؛ وانصرف الناس ، ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك وقال : قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ، ولم يعطهم شيئاً » ^(١) .

وقد مات السيد الحميري ببغداد عام ١٧٩ هـ ، بعد أن خلف ثروة شعرية طائلة ؛ ذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء أنه رأى في بغداد حملاً يحمل حملاً ثقيلاً ، فسأله عن حملة ؟ فقال : ميات السيد ^(٢) . . . ١

بهاء الدين العاملي

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد ، الملقب بهاء الدين الحارثي العاملي الهمداني ^(٣) ولد بعلبك عند غروب شمس يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة عام ٥٣٩ هـ ،

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٤٣ وما بعدها ط الدار .

(٢) أنظر ابن شهر آشوب السروي : معالم العلماء ص ١٣٥ ط طهران .

(٣) نسبة إلى قبيلة « حرث همدان » ، وجد الشاعر هو الذي خاطبه الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بقوله : يا حار ، يا حارث ، تارة بالترخيم وأخرى بالتثمين .

وقد كان والده الشيخ حسين ، علماً من أعلام الشيعة وأحد كبار علمائها بمجبل « عامل » ، وقد تلمذ للشهيد الثاني الشيخ زين الدين ، الذي قضى عليه الأتراك وقتلوه لتشييعه ، فلم يطق الشيخ حسين صبراً على البقاء بعد كارثة أستاذه ، فارتحل بابنه الصبي بهاء الدين إلى إيران ، موطن الدعوة الشيعية ومسرح دعائها تحت سلطان الدولة الصفوية المتشيعة .

وفي إيران جدَّ بهاء الدين في تحصيل العلوم لاسيما الدينية منها ، وتلمذ لوالده ، كما أخذ عن غيره من كبار علماء الشيعة ، وسرعان ما تنفق ذكاؤه ، فعلا نجمه وذاع صيته وارتفعت مكانته ، حتى تولى مشيخة الإسلام في أصفهان ، ثم اعتزم زيارة الأقطار الحجازية ؛ لأداء فريضة الحج فتوجه إليها ، وكان مولعاً بالتنقل مشغولاً بالرحلة والأسفار ، فطوف في مصر والشام والعراق — وهو بزى الدراويش — سنين طويلة ، قيل إنها بلغت الثلاثين عدداً ، وقد كان في سياحته هذه يخفى شخصيته ويكتم أمره ، ولا يرغب في أن يعرفه أحد ، وبعد هذا التجوال وذلك التطواف في تلك الأعوام السكثيرة المتطاولة ، رجع إلى أصفهان ، قال الميني :

« ففطن بأرض العجم ، وهناك همى غيث فضله وانسجم ، فألف وصنف ، وقرط المسامع وشنَّف ، وقصدته علماء تلك الأمصار ، واتفقت على فضله أسماهم والأبصار ، وغالت تلك الدولة في قيمته ، واستمطرت غيث الفضل من ديمته ، فوضعت على مفرقها تاجاً ، وأطلعت في مشرقها سراجاً وهاجاً ، وتبسمت به دولة سلطانها شاه عباس ، واستفارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس الباس ، فكان لا يفارقه سفرأ ولا حضرا ، ولا يعدل عنه سماعاً ونظرا ، وكانت له دار مشيدة البناء ، رحبة الفناء ، يلجأ إليها الأيتام والأرامل ، ويفد عليها الراجي والآمل ، فسكهم مهد بها وضع ، وكم طفل بها رضع ، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً ، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً ^(١) » .

(١) أنظر الكشكول ص ٣٩٥ ط بولاق ، وانظر كذلك خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للحجى ج ٣ ص ٤٤٠ .

ويقول شهاب الدين الخفاجي :

« بهاء الدين بن الحسين العاملي الحارثي الشامي أصلاً ومحتداً ، الفارسي منشئاً ومولداً .

« فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه ، وسقاه من مورده النخير عذبه ورائقه ، لا يدرك بحر وصفه الإغراق ، ولا تلحقه حركات الأفكار ، لو كان في مضمار الدهر لها السباق ، زين بمآثره العلوم النقلية والعقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية ، لاسيا الرياضات فإنه راضها ، وغرس في حدائق الأبواب رياضها ، وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس ، وإن كان غصنه أبنع وربا بربرة فارس ، فإن شجرتة نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس ، والعرق نزاع ، وإن أثر الجوار في الطابع .

« ولما تدفق ماء كرمه خرج منها سائحا ، بعد ما ألقى دلوه في الدلاء ماتحا ، لا بسا خلع الوقار ، قاطفاً من رياض السكون ثمرات الاعتبار ، فجاب البلاد ، وأتى إرم مصر ذات العباد ... » . إلى أن قال :

« وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم ، لا يصدر إلا عن رأيه إذا عقد ألوية الهمم ، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته وإلحاده ، لا انتشار صيته في سداد دينه ورشاده ، إلا أنه علويٌ بلامين ، وهو عند العقلاء أهون الشررين ، فإنه أظهر غلوّه في حب آل البيت ، وجارى حلبة ولاء السكيت ، وأنشد لسان حاله لكل حين وميت .

إن كان رفضاً حبّ آل محمدٍ فليشهد النفلان أني رافضي

« وشعره باللسانين مذهب محرّر ، وبالفارسية أحسن وأكثر ، ولما ساح في البلدان واجتمع بمن فيها من الأعيان ، عاد بدر ذاته لفلak أقطاره ، فعانق في أوطانه عقائل أوطاره ، وهو الآن (القرن الحادي عشر الهجري) قرّة عين مجدها ، وغرّة جبين سمدها ، تطوف بجرمه وفود الأفاضل ، وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاض

بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الأسفار ، وتكتحل بإتمد مداده عيون الطروس والأسفار^(١) .

وقد كان العاملي مؤلفاً مكثراً ؛ إذ كان بحق دائرة معارف ؛ فصنّف موسوعتيه « الكشكول » و « الخلاة » وكتب في فقه الشيعة وأصول الفقه والتفسير والحديث ، والنحو والبلاغة ، والهيئة والفلك والحساب والهندسة ، حتى الجفر والرمل والطلاسم ، مما يدل دلالة لا تقبل الشك على أنه كان يتمتع بسعة في العقل ، وبعد أفق في التفكير . وشاعرنا هذه المرة اثنا عشرى ، يقول بمهدية محمد بن الحسن العسكري ، وله فيه شعر رائع أودعه كتابه « الكشكول » ، وقد توفي بهاء الدين في ١٢ شوال عام ١٠٣١ هـ = ١٦٦٢ م بأصفهان ، ثم نقل جثمانه إلى طوس ودفن بداره ، على مقربة من مسجد عليّ الرضا .

ومن شعره في محمد بن الحسن ، هذه القصيدة الضافية التي أسماها « وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان » وقد شرحها في نهاية « الكشكول » ، شارحهُ أحمد بن عليّ المنيني ، قال فيها بهاء الدين^(٢) :

سرى البرق من نجد فجّد تذكّارى	عهداً مجزّوياً والعذيب وذى قار
وهيّج من أشواقنا كل كامنٍ	وأجّج في أحشائنا لاعج النار
ألا يا ليليات الغوير وحاجرٍ	سقيت بهطال من المزن مدرار
ويا جيرةً بالمأزمين خيامهم	عليكم سلامُ الله من نازح الدار
خليلىّ ما لى والزمان كأنما	بطالبنى فى كل وقت بأوتار
فأبعد أحبّابى وأخلى مرابعى	وأبدلنى من كل صفوٍ بكدار
وعادل بى من كان أقصى مرامه	من المجدان يسمو إلى عشر معشارى
ألم يدر أنى لا أزال لخطبه	وإن سامنى خسفاً وأرخص أسعارى
مقامى بفرق الفرقدين فما الذى	يؤثره مسعاه فى خفض مقدارى

(١) ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص ١٠٣ ط بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٢) الكشكول ص ٣٩٨ ط بولاق .

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايته ولا تصل الأبدى إلى سرِّ أغوارى

ويصمى فؤادى ناهدُ الثدى كاعبُ بأسمِ خطَّارٍ وأحور سحرَّارِ
وإني سخيٌّ بالدموع لوقفةٍ على طللٍ بالٍ ودارس أحجارِ
وما علموا أنى امرؤ لا يروعى توالى الرزايا فى عشىِّ وإبكارِ

ومعضلة دماء لا يُهتدى لها طريق ولا يهدى إلى ضوئها السارى
تشيب النواصى دون حلِّ رموزها ويحجم عن أغوارها كلُّ مغوارِ
أجلتُ جِياد الفكر فى حلباتها ووجهتُ تلقاها صوائِبَ أنظارى

أضرع للبلوى وأغضى على القذى وأرضى بما يرضى به كلُّ مخوارِ
وأفرح من دهرى بلذة ساعةٍ وأقنع من عيشى بقُرصٍ وأطمار ؟
إذا لا وَرى زَندى ولا عزَّ جانبى ولا بزغت فى قمة المجد أقمارى
ولا انتشرت فى الخافقين فضائلى ولا كان فى « المهدى » رائقُ أشعارى
خليفة رب العالمين فظله على ساكن الغبراء من كل ديارِ
هو العروة الوثقى الذى من بذيله تمسَّك لا يخشى عظام أوزارِ
إمام هدى لا ذ الزمان بظله وألقى إليه الدهر مقود خوَّارِ

علوم الورى فى جنب أبحر علمه كغرفة كفت أو كغمسة منقارِ
فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ولم يُمشه عنها سواطعُ أنوارِ
رأى حكمةً قدسية لا يشوبها شوائبُ أنظارِ وأدناس أفكارِ
بإشرافها كلُّ العوالم أشرقت لِمَ لاح فى الكونين من نورها السارى
إمامُ الورى طود النهى منبع الهدى وصاحب سرِّ الله فى هذه الدار !!

به العالم السفلى يسمو ويعتلى على العالم العلوى من دون إنكار
ومنه العقول العشر تبغى كمالها وليس عليها فى العلم من عار
هامم لو السبع الطباق تطابقت على نقض ما يقضيه من حكمه الجارى
لنكس من أبراجها كل شامخ وسكن من أفلاكها كل دوار ١١

أيا حجة الله الذى ليس جارياً بغير الذى يرضاه سابق أقدار !
ويا من مقاليد الزمان بكفه وناهيك من مجد به خصه البارى
أغث حوزة الإيمان واعر ربوعه فلم يبق منها غير دارس آثار
وأنقذ كتاب الله من يد عصابة عصوا وتمادوا فى عتو وإصرار
وفى الدين قد قاسوا وعاثوا وخبطوا بأرائهم تخبيط عشواء معثار
وأنعش قلوباً فى انتظارك قرّحت وأضجرتها الأعداء أية إضجار
وخلص عباد الله من كل غاشم وطهر بلاد الله من كل كفار
وعجل فداك العالمون بأسرهم وبادر على اسم الله من غير إنظار
تجد من جنود الله خير كتائب وأكرم أعوان وأشرف أنصار

أيا صفوة الرحمن دونك مدحة كدر عقود فى ترائب أفكار
يهنا ابن هانى إن أتى بنظيرها ويعنو لها الطائى من بعد بشار
إليك البهائى الحقير يزفها كغانية مياسة القد معطار
تغار إذا قيست لطافة نظمها بنفحة أزهار ونسمة أسجار
إذا رددت زادت قبولاً كأنها أحاديث نجد لا تمل ب تكرار

وهاك قصيدة أخرى للعالمى فى مهديّه ، مهدى الاثنى عشرية ، محمد بن الحسن

العسكري ، لا تقل عن سابقتهما قوة وروعة وغلوًا وإغراقًا . قال ^(١) :

يا كراماً صبرُنا عنهم محالٌ

إنَّ حالي من جفـا كم شرُّ حالٍ

إنَّ أنى من حيِّكم ريحُ الشمالِ

صرتُ لا أدري يميني من شمالٍ

حبِّذا ريحٌ سرَّى من ذى سلمٍ

عن رُبِّى نجدٍ وسلعٍ والعلمِ

أذهبَ الأحزانَ عَنَّا والألمِ

والأمانى أدركتُ والهَمُّ زال

يا أخلائي بُحزوى والعقيقُ

ما يطيقُ الهجرَ قلبي ما يطيقُ

هل لمشتاقٍ إليكم من طريقٍ ؟

أمُ سدّتم عنه أبواب الوصالِ ؟

لا تلومونى على فرط الضجرِ

ليس قلبي من حديدٍ أو حجرٍ

فات مطلوبى ومحبوبى هجرُ

والخشا فى كلِّ آنٍ فى اشتعالِ

من رأى وجدى لسكّانِ الحجونِ

قال ما هذا ؟ هوى هذا جنون !

أيها اللوَّام ماذا تبتغون ؟

قلبي المضى وعقلي ذو اعتقالِ

(١) الكشكول ص ٩٣ ط بولاق .

يا نزولاً بين جمع والصفاء
يا كرام الحى يا أهل الوفاء
كان لى قلب حولٍ للجفا

ضاع منى بين هاتيك القلال

يا رعاك الله يا ربح الصبا
إن تجز يوماً على وادى قبا
سل أهيل الحى فى تلك الربا

هَجَرُهم هذا دلال أم ملال ؟

جيرة فى هجرنا قد أسرفوا
حائنا من بعدم لا يوصف
إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا

حبهم فى القلب باقى لا يزال

هم كرام ما عليهم من مزيد
من يمت فى حبهم يعض شهيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد

أحمدى الخلق محمود الفعال

صاحب العصر الإمام المنتظر
من بما ياباه لا يجرى القدر !!
حيجة الله على كل البشر

خير أهل الأرض فى كل الخصال !

من إليه الكون قد أتى القياد
مُجَرِّياً أحكامه فيما أراد

إِنْ تَزُلْ عَنْ طَوْعِهِ السَّبْعُ الشَّدَاذُ

خَرَّ مِنْهَا كُلُّ سَامِي السَّمَكِ عَالٍ !

شَمْسُ أَوْجِ الْمَجْدِ مَصْبَاحُ الظَّلَامِ

صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ

الإِمَامُ ابْنُ الإِمَامِ ابْنُ الإِمَامِ

قُطِبُ أَفْلَاكِ الْمَعَالَى وَالْكَوَالِ

فَاقَ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي عِزٍّ وَجَاهٍ

وَارْتَقَى فِي الْمَجْدِ أَعْلَى مَرْتَقَاهُ

لَوْ مَلُوكُ الْأَرْضِ حَلُّوا فِي ذِرَاهُ

كَانَ أَعْلَى صَفِّهِمْ صَفًّا نَعَالٍ !

ذُو اقْتِدَارٍ إِنْ يَشَأْ قَلْبَ الطَّبَاعِ

صَيَّرَ الْإِظْلَامَ طَبَعًا لِلشَّعَاعِ

وَارْتَدَى الْإِمْكَانُ بُرْدَ الْاِمْتِنَاعِ

قُدْرَةُ مُوَهَّوْبَةٍ مِنْ ذِي الْجَلَالِ !

يَا أَمِينَ اللَّهِ يَا شَمْسَ الْهَدَى

يَا إِمَامَ الْخَلْقِ يَا بَحْرَ الْوَدَى

عَجَّلْنَا عَجَلًا فَقَدْ طَالَ الْمَدَى

وَاضْمَحَلَّ الدِّينُ وَاسْتَوَلَى الضَّلَالُ

هَاكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَعْمَ الْحَبِيرُ

مِنْ مَوَالِيكَ الْبَهَائِيِّ الْفَقِيرُ

مِدْحَةً يَعْنُو لِمَعْنَاهَا جَرِيرُ

نَظْمُهَا يُزْرَى عَلَى عَقْدِ الْكَالِ

يا وليّ الأمر يا كهف الرجا

مسنّى ضرّ وأنت المرتجى

والكريم المستجاب الملتجأ

غير محتاج إلى بسط السؤال

وبعد ، فهذه هي آثار عقيدة « المهدي » في الأدب الشيعي ، وهي آثار كما تراها
روائع ، تسميل عذوبة وتفيض رقة وسلاسة ، طبعها صدق العقيدة بطابعه ، ووسمها
الإيمان العميق بميسمه ، وأكبر الظن أنك قد طربت لما فيها من قوة فنية ،
وقد أسفت لما فيها من غلوّ وإغراق ، يرتفع بالمهدي إلى مصاف الآلهة ،
بدأه ابن هانيّ وختمه العامل ، وقد جرّه على أسنة الشعراء عقيدتهم في « الإمام »
كما أوضحنا من قبل .

ومهما يكن من شيء فأنت لا ترى في هذا الأدب فسولة وضعفا ، أو عوجاً
وأمتاً ، ولا عجب فأعذب الشعر أصدق .

الفصل السادس

المهدية عند بقية الفرق الإسلامية

تحدثنا في الفصول السابقة عن « المهدية » عند الشيعة ، وسنتحدث في هذا الفصل عن موقف بقية الطوائف الإسلامية إزاء هذا المعتقد ، كما سنتحدث عن أثر عقيدة المهدي في إيجاد معتقدات مشابهة في المجتمع الإسلامي ، ونختتمه بدراسة « المهديين » من غير آل البيت .

المهريّة والقرامطة^(١) :

القرامطة باطنية سرّية مجوسية ، انتشرت بثوب الإسلام ؛ لتعمل في أمان على تقويضه بتعاليمها الهدامة الإباحية الخطرة ، وقد أسس هذه الفرقة جماعة ، منهم عبد الله بن ميمون القدّاح مولى جعفر بن محمد الصادق ، وميمون بن ديصان ، الذي كان من نسله ابن الأشعث ، حمدان قرمط ، أبرز رجال هذه الطائفة وإليه تنسب . وتشغل القرامطة في التاريخ الإسلامي صحائف عدة ؛ لما جاءت به من مذاهب ولما جرّت على العالم الإسلامي من ويلات وخطوب ، فلطالما عاثت في ربوعه فساداً وجاست خلاله خراباً ، وقد كانت كالوباء ، إذا أتت على شيء جعلته كالريم بلقماً يباباً كأن لم يكن بالأمس ، حتى السكبة المقدسة ، لم تسلم من سطواتها الخربة ولم تنج من حملاتها المدمرة . ولسنا الآن بصدد التحدث عن تاريخ القرامطة ، وإنما الذي يعيننا هنا هو مذهبهم في عقيدة المهدي .

تؤمن القرامطة أيضاً بهذا المعتقد كفرقة باطنية ، تمتّ بصلة القرّبي إلى الشيعة ؛ فترى في محمد بن إسماعيل بن جعفر مهديّها المنتظر ، وتترقب رجوعه ، وتزعم أنه حيّ

(١) القرامطة من الإسماعيلية ، وتعرف أيضاً بالباطنية ، وقد سبق أن تحدثنا عن الإسماعيلية ، بيد أننا هنا نقرر الحديث عن الإسماعيلية القرامطة ؛ لما لها من أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي .

يُرزق ببلاد الروم...! ، ولا نكاد نعرف سبباً لاختيار محمد هذا لبلاد الروم ليختفي فيها ، والحق أن هذا المهديّ من نوع جديد ، فهو ليس بهدياً فحسب ولكنه رسول أيضاً وسينسخ شرعه شريعة محمد ... !

وتؤكد القرامطة رواية « غدير خم » ، ولا ترى — كبقية الشيعة — أن الرسول نصّ فيها على إمامة عليّ بعده فحسب ، ولكنها تدّعي في جرأة عجبية أن الرسالة نفسها قد انتقلت إليه حينما قال عليه السلام : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فهذه القولة انتقلت الرسالة من محمد إلى عليّ بأذن الله فالرسل عند القرامطة أربعة : محمد بن عبد الله ، وعلي بن أبي طالب ، وأحمد بن محمد بن الحنفية ، ومهديهم هذا الختفي ببلاد الروم محمد بن إسماعيل بن جعفر ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وناسخ الشرائع السابقة جمعاء ... !

وأئمة القرامطة سبعة : محمد الرسول ، وعلي الرسول ، والحسن ، والحسين ، والباقر محمد بن علي ، والصادق جعفر بن محمد ، ثم المهدي الرسول محمد بن إسماعيل ابن جعفر . وهو من أولى العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة أيضاً : نوح وإبراهيم ، وموسى وعيسى ، ومحمد وعلي بن أبي طالب ، ومحمد بن إسماعيل . ولا أدع الحديث عن القرامطة ، حتى أسوق إليك بعضاً من معتقداتهم ، التي يدينون بها والتي لا تسكاد تلتقي بالإسلام أبداً :

فالصلاة عندهم أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، أما أذانهم فهو :

« الله أكبر (أربع مرات) ، أشهد ألا إله إلا الله (مرتين) ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ^(١) ... !

وعلى المصلي أن يقرأ في كل ركعة سورة « الاستفتاح » وهي من قرآنهم

(١) انظر الطبري ١١ ص ٩٣٣ ط الحسينية .

الخاص ، الموحى به إلى أحد أنبيائهم وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ... ! وها هي كما يرويه لنا الطبري :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه قل إن الأهلّة موافقت للناس ، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولى الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ، ألقيتني في جنتي وأخذتني في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلِي ، أخذتني مهاناً في عذابي وأتمت أجلي وأظهرت أمري على السنة رسلِي ، وأنا الذي لم يعلُ على جبار إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذلته ، وليس الذي أصرّ على أمره وداوم على جهالته وقالوا لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون ^(١) » ١١

وقبله هؤلاء الناس هي القبلة الأولى بيت المقدس ، كما أن حجهم إليها أيضاً ، ويوم الاثنين هو يوم الجمعة عندهم ، لا يعملون فيه شيئاً ، والنبيذ حرام ، ولكن الخمر حلال ... ! وهم لا يرون الفسل من الجنابة ، ولكن وضوءاً كوضوء الصلاة ، وصيامهم يومان في العام : النيروز والمهرجان إلى آخر مزاعمهم التي لا تمت إلى الإسلام بسبب أو نسب قريب أو بعيد ^(٢)

المهرية والخوارج :

لا تدين الخوارج بالإمامة ، وإن قالت بها بعض طوائفها ، فهي تجردها من قدسيتها التي أفرغتها عليها الشيعة ، كما لا تدين الخوارج بالرجعة ، فهي واقعية

(١) الطبري ١١ ص ٣٣٩ .

(٢) أنظر فيما يتعلق بهذه الطائفة ، الطبري ١١ ص ٣٣٧ ، وابن العبري ص ٢٦٠ ، والمقرئزي « اتعاظ الخفأ » ص ٢٠٤ وما بعدها ، وانظر أيضاً الشهرستاني ٢ ص ٢٩ على هامش ابن حزم ، والمواقف للإيجي ص ٤٢١ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٧٣ ، ومختصره للرسعنى ص ١٧٠ ، والتبصير في الدين للأسفراينى ص ٨٥ ، وانظر أيضاً ما كتبه الأشعرى في « مقالات الإسلاميين » ، والغزالي في « فضاء الباطنية » .

عملية ؛ لذلك لا تؤمن بالمهدية ولا تقول بها ، بيد أن فرقة من فرقها تدعى « اليزيدية » نسبة إلى مؤسسها « يزيد بن أنيسة » وهى إحدى طوائف « الإباضية » قد دانت بهذا المعتقد ، غير أنها لا تصرح بشخص بعينه ، وقد حدثنا الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » أنها شاركت القرامطة فى القول بأن المهدي المنتظر سيكون نبياً مرسلًا وسيبعث من العجم لا من العرب ، بناء على نظام الخوارج الديقراطى : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وسينزل على نبيهم المنتظر هذا الذى لا تُعرف شخصيته ، كتاب من السماء جملة واحدة لا تنجيًا ؛ قال الأشعرى : « وزعموا أن ملّة ذلك النبي الصابئة ، وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد » .

وفى عدا طائفة « اليزيدية » هذه لا نكاد نعثّر على فرقة أخرى من الخوارج تقول بالمهدية .

المهرية والصوفية :

كان الصوفية على اتصال تام بالشيعة ، فأخذوا عنهم الكثير من تعاليمهم ، كالتفرقة بين الشريعة والحقيقة ، أو علم الظاهر وعلم الباطن ، والشيعة تزعم — كما قدمنا — أن عليًا قد انفرد — دون سائر صحابة النبي — بعلم الحقيقة أو علم الباطن ، فتلقت الصوفية هذا الزعم عن الشيعة ، وصار من معتقداتهم حتى ليقول ابن الفارض :

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً على بعلم ناله بالصوفية
والإسلام لا يعرف تصوفاً ، وإن كان يعرف زهداً ، لا سيما فى الفترة المكية ، وفرق شاسع بين الزهد والتصوف ، فالأول بسيط ساذج لا تعقيد فيه ؛ انقطاع إلى الله وتحميل النفس ضرورياً من العبادة قد تكون شاقة ، والثانى مركب معقد مفلسف ، لا يكتفى فيه المنقطع إلى الله بعبادته ، بل يفرض عليه وعلى الكون آراءه وفلسفته .
والحق أن عناصر التصوف ليست إسلامية ، ففيها الهندى الیوجى ، واليونانى ،

والمهتني الغنوصي ، والمسيحي والإسكندري ، وكما اقتحمت هذه العناصر المختلطة البيئة الإسلامية ، متخذة من الزهد المسكي سبيلاً فأخرجت لنا تصوفاً إسلامياً ، كذلك اقتحمت مبادئ الشيعة وتعاليمهم — الغربية هي الأخرى عن الإسلام — ميدان التصوف ؛ فأخذ المتصوفون عن الشيعة — فيما أخذوا — فكرة « المهدي » ، وأسبغوا عليها ثوباً جديداً ، وإذ بالمهدي ينقلب « قطباً » هو الذي يدبر الأمر في كل عصر من أعصار هذا الكون ، وهو عماد السماء ، ولولاه لخرّرت على الأرض وهلك الحرث والنسل . ويليه في المرتبة « النجباء » ، وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان ، لا يزيدون ولا ينقصون ، على عدد بروج الفلك الاثني عشر . إلخ ما قالوا .

وهكذا استطاع المتصوفة تلامذة الشيعة ، أن ينتفعوا بعقيدة « المهدي » في إقامة نظامهم الروحي للكون ، مما لا نجد له من الإسلام الحق سنداً أو دعامة ، وإنما هي فلسفات غنوصية هندية ، وورهبانية مسيحية ، وتخليطات هندية .

المهربية وأهل السنة :

قال العلامة الطيب الذكر « جولد زيهر » Goldziher .

« أما في الإسلام السنّي ، فإن ترقب ظهور المهدي على الرغم من استناده إلى الوثائق الحديثية والمناقشات الكلامية ، لم يصل ألبتة إلى أن يتقرر كعقيدة دينية ، ولم يبد قط عند أهل السنة إلحاحية أسطورية لغاية مثلى ، أو كأمّر ثانوي بالنسبة لجوهر النظرية السنّية للكون ، ويرفض الإسلام السنّي رفضاً قاطعاً العقيدة المهديّة على صورتها الشيعية ، كما يهزأ بفكرة الإمام الغائب وحياته الطويلة » ^(١) .

وقال أيضاً إن أهل السنّة « يعتقدون بمجيء مصلح إلى العالم في آخر الزمان ، يبعث الله به ، ويسمونه أيضاً بالإمام المهديّ ، أي الذي هداه الله إلى الطريق السويّ ، وهذه العقيدة وما تنطوى عليه من آمال وأمنيات ، تظهر في بيئات التقى والورع عند

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ١٩٦

المسلمين كزفرة من زفرات الأسف والانتظار ، يصعدونها وهم في غمرات حالة سياسية واجتماعية ، لا تنقطع ثورة ضمايرهم حيالها » ^(١) .

بيد أن اعتقاد عامة أهل السنة ، يخالف تماماً ما تدين به الشيعة ، فهم لا يؤمنون بأن المهدي وُلد من ألف سنة ، وغاب في سرداب أو نحوه من جبال رضوى أو حاجر ، ثم يخرج منه في آخر الزمان ، كما هو جوهر العقيدة الشيعية ، بل يقولون إنه سيبعث في آخر دورة للإسلام ، وبالتالي للحياة على هذه الأرض شخص من سلالة النبي — وهم هنا متأثرون بأحاديث الشيعة المختلفة — يلقَّب بالمهدي ، يظهر المسيح من بعده وتملاً الأرض عدلاً .

ونحن لا نشك في أن عقيدة العامة من أهل السنة ، بل وكثير من الخاصة ، إنما هي أثر شيعي تسرَّب إليهم ، فعملت فيه العقلية السنية بالصقل والتهديب . أما القول بعودة المسيح فهو دون ريب ، من آثار المسيحية في الإسلام . وقد سخر شاعر العربية الكبير أبو الطيب المتنبي من عقيدة المهدي هذه في قوله ^(٢) :

فإن يكن المهديُّ من بان هديهِ فهذا وإلا فالهديُّ ذا فما المهديُّ ؟
يُعَلِّقُنا هذا الزمانُ بذا الوعدِ ويَحْدَعُ عَمَّا في يديه من النقدِ ^(٣)
هل الخيرُ شيءٌ ليس بالخيرِ غائبٌ أم الرشدُ شيءٌ غائبٌ ليس بالرشدِ ؟

(١) لعقيدة اوالمصريعة في الإسلام ص ١٩٤ .

(٢) ديوان المتنبي ص ٤٠٠ ط هندية بالقاهرة .

(٣) يقول المتنبي : أيمسح أن يترك الخير والرشد الحاضران ، ويدعي أن خيراً ورشداً غائبان ، وما في الحقيقة الخير والرشد ؟ هذا اعتقاد فاسد .

آثار عقيدة المهدي في المجتمع الإسلامي

القحطاني والكطبي والتجسبي :

كانت « المهديّة » عند الشيعة عاملاً فعالاً ، في خلق عقائد أسطورية مشابهة في الأوساط الإسلامية ، كالسفيانية في البيت الأموي ، والقحطانية والكلبية في اليمنية ، والتيممية في المضرية ، وكلها عدا السفيانية أوجدتها العصبية القبلية ، المتغلغلة في الدم العربي ؛ إذ كيف يكون للشيعة مهديّ منتظر ، ولا يكون لليمنيين هم الآخرون قحطاني منتظر ١٩...

وقد سلك اليمنيون نفس الطريق الذي سلكه الشيعة من قبل ، فأنطقوا الرسول عليه السلام بما شاؤوا من أحاديث مؤيدة لما ذهبوا إليه ؛ ففي « أسد الغابة » يروي ابن الأثير عن النبي صلوات الله عليه أنه قال : « سيكون بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر القحطاني ، فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه » ، ويروي ابن الأثير أيضاً في كتاب آخر له هو : « النهاية في غريب الحديث والأثر » أن النبي قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ^(١) » .

ومن الغريب حقاً أن نجد الإمام البخاري — وهو شخصية علمية جليلة لها خطرهما ومكانتها — مع أنه لم يرو لنا شيئاً قط يتعلق بالمهديّ ، يحدثنا بحديث القحطاني هذا ؛ ففي صحيحه :

« حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان عن ثور عن أبي الغيث

(١) النهاية في غريب الحديث ٢ ص ١٩٣ ط المطبعة العثمانية .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه . . . »^(١) .

وبحدثنا العلامة « فان فلوتن » Van Vloten^(٢) أن أهل اليمن كانوا ينظرون إلى قحطانيّهم هذا نظرة كلها الجد ، حتى لقد عقدوا على خروجه آمالهم ، وأدّعوا أنه أحد الأمراء من سلالة قحطان ، ويقول المسعودي^(٣) إن عبد الرحمن بن الأشعث قد ادّعى أنه ذلك القحطاني المنتظر

وهناك أيضاً — كما يحدثنا الرواة — بعض النبوءات الخاصة بكلبي منتظر^(٤) ، وهو مهديّ سيخرج من بني كلب إحدى القبائل اليمنية

و بينما كان اليمنيون ينتظرون القحطاني أو الكلبي ، كان المضرّيون هم الآخرون ينتظرون التيمي ، وهو مهديّ سيخرج من بني تميم إحدى القبائل المضربية^(٥) ... ونحن لا نشك أن للعصبية القبلية ضلعاً في نشوء هذه العقائد الأسطورية التي لم تعمر طويلاً ؛ إذ طغت عليها « مهديّة » الشيعة طغياناً كبيراً .

السفياّني المنتظر :

عندما وضعت الشيعة أسطورة المهدي ، ودعمتها بمختلقات الأحاديث ، فلاقت عند الأغرار والعامة رواجاً ، سارع الأمويون فاختلفوا هم أيضاً مهديّاً لهم هو السفياّني المنتظر . . ١ . وقصته لا تخلو من طرافة ؛ فالأمير خالد بن يزيد بن معاوية ، الذي انقطعت آماله من الخلافة وأخذ يستنجد الكيمياء ، علّها تسعفه بالذهب فلم تلبّ له نداء ، رأى أن ينافزع البيت المرواني الحاكم ويفزو السوق ببضاعة نافقة جديدة هي « السفياّني المنتظر » ، وإن فيها لعزاء لآل أبي سفياّن ؛ قال أبو الحسن :

(١) أنظر صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ ط بولاق .

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٠ .

(٣) التنبيه والإشراف ص ٣١٤ ط أوروبا .

(٤) السيادة العربية والشيعة ص ١٢١ .

(٥) المصدر السابق .

« وكان خالد المذكور موصوفاً بالعلم والعقل والشجاعة وكان مولعاً بالكيمياء ، وقيل إنه هو الذى وضع حديث السفينانى لما سمع بحديث المهدي »^(١) .
وقال صاحب الأغاني :

« كان خالد بن يزيد بن معاوية يوصف بالعلم ويقول الشعر ، وزعموا أنه هو الذى وضع خبر السفينانى وكبره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم » . وقد عقب الأصفهاني على ذلك بقوله : « وهذا وهم من مصعب ؛ فإن السفينانى قد رواه غير واحد وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة »^(٢) .

ويؤسفنا كثيراً ألا نأخذ بقول صاحب الأغاني ، إذ أن التاريخ السياسى المتواتر للأمير خالد بن يزيد وحالاته السيكلوجية ، يؤيدان وضعه لحديث السفينانى ، أما انتشار هذا الحديث ورواية الخاصة والعامة له ، فليس قاطعاً فى صحته ؛ فالأكاذيب أيضاً تُروى ولعلها أكثر انتشاراً ، ولا يغرب عن بالنا أن الأصفهاني متشيع — وإن كان معتدلاً فى تشيعه — والشيعية تسلم بحديث السفينانى ، بل يههما انتشاره لأن فيه ذبوعاً لحديث المهدي كما سنحدثك بعد قليل .

يقول العلامة « فان فلوثن » Van Vloten « وليس بعيداً أن يكون خالد بن يزيد قد ابتدع نبوءة السفينانى هذه ، على ما جاء فى كتاب الأغاني ليحفظ التوازن بين بطون البيت الأموى ، وليلين من شكيمة الأميرة الحاكمة أسرة بنى مروان »^(٣) .
أما الأحاديث فى هذا الصدد ، فكسابقتها اختلافاً وكثرة ؛ فقد رواها عن حذيفة ابن اليمان أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب ، قال : فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفينانى من الوادي

(١) النجوم الزاهرة - ١ ص ٢٢١ ط الدار .

(٢) الأغاني - ١٦ ص ٨٨

(٣) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات فى عهد بنى أمية « الترجمة العربية » ص ١٢٩

اليابس، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين : جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل . . . الخ »

وفي « النهاية » لابن الأثير « وفي حديث ابن الحنفية (ذكر رجلاً يلى الأمر بعد السفيناني فقال : يكون بين شتٍ وطَبَّاق) » قال ابن الأثير : « الشت : شجر طيب الريح مر الطعم ، ينبت في جبال النور ونجد ، والطَّبَّاق . شجر ينبت بالحجاز إلى الطائف ، أراد أن مخرجه (السفيناني) ومقامه المواضع التي ينبت بها الشت والطَّبَّاق »^(١) .

وقد ادعى أحد سلاطة الأمير خالد بن يزيد ، أنه السفيناني المنتظر ، وانضم إليه كثير من الأنصار والأشباع ، في آخر خلافة بنى أمية ؛ فالطبرى يخبرنا — ضمن أحداث عام ١٣٢ هـ والدولة الأموية تسلم الروح ، وقد أخذ الناس في تشييع جنازتها — أن جماعة من أهل قنسرين وحمص وغيرها قد احتشدوا « وقدمهم ألوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد ، بن معاوية بن أبي سفينان فرأسوا عليهم أبا محمد ودعوا إليه وقالوا هو السفيناني الذي كان يُذكر »^(٢) .

ولعل من الطريف حقاً أن الشيعة لما سمعت نبأ هذا السفيناني ، بادرت بالاعتراف به ، بيد أن مهديهم سيلتقى به حتماً في يوم ما ، وتكون بينهما معركة شديدة تدور دائرتها على السفيناني ، وسرعان ما روت الشيعة عن النبي هذا اللقاء في قالب حديثي : « وسيبايع الناس المهدي يومئذ بمكة بين الركن والمقام ثم يقول المهدي : أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمراً ، فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام ، لمحاربة عروة بن محمد السفيناني ومن معه من كلب »^(٣) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر > ٢ ص ٤ ط المطبعة الثمانية

(٢) أنظر الطبرى > ٩ ص ١٣٨ ط الحسينية

(٣) مختصر تذكرة القرطبي ص ١٥٩ ط بولاق ، وانظر الأنس الجليل بقاريغ القدس والخليل

لجبر الدين الحنبلي > ١ ص ٢٣٧ ط الوهبة بالقاهرة

ويظهر أن فكرة السفيناني هذه ما زالت — ولو بشكل ضعيف — مختمرة في أذهان بعض أهل الشام إلى وقتنا الحاضر ، فالعلامة « لامانس » Lammens يخبرنا أن زلزالاً قد حدث بفلسطين في صيف عام ١٩٢٧ ، فتنبأ أحد المسلمين في شوارع بيروت بقرب ظهور السفيناني المنتظر .

ولما قامت الدولة العباسية ، ورأى بنو العباس هذه الحركة الواسعة النطاق ، أدلوا بدلوهم وأولوا أحاديث المهدي -- بدافع سياسي — لصالحهم ، وزادوا في كميتهما وضماً واختلاقاً ، فقالوا : قال عليه السلام : « منّا أهل البيت أربعة منّا السفاح ومنّا المنذر ومنّا المنصور ، ومنّا المهدي الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » . رواه الحاكم عن ابن عباس . وقد حمل ذلك أبا جعفر المنصور ثانياً خلفاء بني العباس ، والسياسي المحنك ؛ على تسمية ابنه بالمهدي ، وسرعان ما حدثته المتزلفون — وهم كثيرون — بحديث قد اختلقه الوضعاعون ورفعوه إلى النبي عن طريق ابن مسعود ، يقول فيه : « لا تذهب الدنيا حتى يلى أمتي رجلٌ من أهل بيتي ، يواطى اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » . قال المطهر بن طاهر المقدسي في كتابه « البدء والتاريخ » المنسوب خطأ للبلخي : « وقد تأول قوم أنه المهدي محمد ابن أبي جعفر عبد الله المنصور ، لقبه المهدي واسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، وهو من أهل البيت ، ولم يأل جهداً في إظهار العدل ونقي الجور » .

ومن الطريف حقاً أن المنصور نفسه لم يكن يعتقد أبداً أن ابنه هو المهدي ^(١) . وهكذا قال بهذه الأسطورة المنيوية والمضريون والعلويون والأمويون والعباسيون ، وأخذت عند كلِّ لوناً خاصاً ؛ فالعلويون هم البادثون لما سقط في أيديهم وضاع نصيبهم من الخلافة ، حتى لا يتسرب اليأس إلى الجماهير المحبة لآل البيت ، وساعدهم على اصطفاها ما بثّه فيهم معلمهم الأول ، ابن السوداء عبد الله

(١) انظر كتابنا هذا ص ١١٧ .

ابن سبأ تحت ضوء عقيدة « المخلص » كما أسلفنا ، وحرّكت العصبية القبلية أهل اليمن فابتدعوا لنا القحطاني والكلبي ، واختلق المضرّيون التميمي ، وجاء خالد ابن يزيد يجرّ أذيال الخيمة من الحكم والكيمياء ، فوضع السفيناني ، وكان العباسيون أبعد الجميع نظراً وأحكمهم سياسة وأسدّم تدبيراً ، فسلموا بالفكرة واستغلّوها لتوطيد سلطانهم ، والجمهور ساذج فطري ، متحمس للدين جياش بالعقيدة ، محبّ لآل البيت ، فأمن وأعرق .

المهديون من غير آل البيت

إجمال :

يحدثنا ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته ، أن الناس كانوا يعتقدون أن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، هو المهدي المنتظر ؛ قال في الطبقات : « قدم المختار ابن أبي عبيد الكوفة فهرب منه وجوه أهل الكوفة ، فقدموا علينا ها هنا البصرة ، وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله قال : وكان الناس يرونه زمانه هو المهدي ، قال : فغشيه ناس من الناس ، وغشيته فيمن غشيه ، فإذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام ، طويل الحزن والكآبة . . . الخ ^(١) »

وحدثنا ابن سعد أيضاً أن التابعي الكبير سعيد بن المسيّب ، كان يقول بمهدية عمر بن عبد العزيز ففي « الطبقات » : « عن أبي معن قال سمعت سعيد ابن المسيّب ، وقد سأله رجل فقال له يا أبا محمد من المهدي ؟ فقال له سعيد : أدخلت دار مروان ؟ قال : لا ، قال : فادخل دار مروان ، ترّ المهدي . قال : فأذن عمر بن عبد العزيز للناس ، فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان ، فرأى الأمير والناس مجتمعين ، ثم رجع إلى سعيد بن المسيّب فقال يا أبا محمد : دخلت دار مروان فلم أرَ أحداً أقول هذا المهدي ! فقال له سعيد — وأنا أسمع — هل رأيت الأشجج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم ، قال فهو المهدي ^(٢) . »

وفي الطبقات أيضاً : « عن نافع عن ابن عمر قال : كفت أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ؟ ^(٣) » ويريى ابن سعد « قال ابن عمر إنّنا كنّا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضي حتى يلي

(١) انظر الطبقات ج ٥ ص ١٢٠ ط ليدن

(٢) انظر الطبقات ج ٥ ص ٢٤٥ ط ليدن

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٤٣

هذه الأمة رجلٌ من ولد عمر ، يسير فيها بسيرة عمر ، بوجهه شامة ، قال : فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة ، قال : حتى جاء الله بعمر ابن عبد العزيز ، وأمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال يزيد : ضربته دابة من دواب أبيه فشجّته ، فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشيخ بنى أمية^(١) »

ويروى ابن سعد : « قال سمعت محمد بن علي يقول : النبي ممّا والمهدى من بنى عبد شمس ، ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز^(٢) » ، وفي الطبقات : « أخبرنا مسلم ابن إبراهيم قال حدثني أبو بكر بن الفضل قال حدثني أبو يعقوب ، مولى لهند بنت أسماء قال : قلت لمحمد بن علي ، إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً ، فقال : إن ذاك كذلك ولسكنه من بنى عبد شمس ، قال فكأنه عنى عمر بن عبد العزيز^(٣) . » ويقال إنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، سُمع صوت لا يُدرى صاحبه يقول :

من الآن قد طابت وقرّ قرارها علي عمر المهديّ قام عمودها

والحق أن هذه الشخصية الفذة لهذا الخليفة الأموي ، كانت تحظى دائماً بالرضى والتقدير ، بل والإعجاب عند كل الطوائف الإسلامية ، حتى بين خصوم بنى أمية السياسيين ، أعنى بنى العباس ، الذين بلغ بهم حقدهم على الأمويين أن نبشوا قبور موتاهم ، وتركوا قبر عمر بن عبد العزيز قائماً تقديراً له وإجلالاً .

وقد كان زهد هذا الخليفة وتشفه وصفاته الروحية العالية التي انحدرت إليه من جده الأعلى لأمه عمر بن الخطاب ، عاملاً هاماً في فرض شخصيته على قلوب الناس فأحبوه ، حتى ليرى فيه التابعي الكبير ابن المسيّب أنه المهدي المنتظر .

والطبري^(٤) يحدّثنا أنه في عام ١٢٨ هـ قد ادّعى الحارث بن سُرّيج أنه ذلك

(١) الطبقات ج ٥ ص ٢١٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٥

(٣) المصدر السابق نفسه

(٤) الطبري ج ٩ ص ٦٧ ط الحسينية .

المهدي المنتظر صاحب الرايات السود، ولكن دعوته لم تلق نجاحاً، وغير بعيد أن يكون صاحبنا هذا قد ابتدع الحديث الذي رواه أبو داود والقائل :

« يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطئ أو يمكّن لآل محمد ، كما مكّنت قريش لرسول الله ، وجب على كلّ نصره » وقد رفعه إلى النبي ؛ ليتخذ منه سلاحاً وتسكّاة لتأييد مزاعمه ، ولكن الحكومة القوية إذ ذاك ، أخذت أنفاسه فأخفق الحارث في دعوته .

وقد ذهب بعض طوائف الخُرّميّة — أتباع بابك الخُرّمي^(١) إلى أن «أشيدراما» أحد أعقاب « زرادشت » الذي ينتظر الجوس عودته كخلص في آخر الزمان ، هو بعينه أبو مسلم الخراساني أحد مؤسسي دولة بني العباس ، والذي فتك به خدعة — بعد أن أمّنه — الخليفة الصارم أبو جعفر المنصور ، غير أن الخُرّميّة لم تؤمن بموته ، فأخذوا ينتظرون رجعه ليملاّ الأرض عدلاً . وقد فرّ رجل يدعى إسحق الترك بعد موت أبي مسلم إلى بلاد ما وراء النهر ، ونصب نفسه داعية له وزعم أن مولاه قد اختفى بمدينة « الرى » وأنه نبي أرسله « زرادشت » وسيمود حتماً إلى الوجود ؛ لينشر الزرادشتية ويرفع لواءها .

(١) الحرّمي : نسبة إلى « خرمة » كسكرة : بلدة بقرب اصطخر .

ابن تومرت مهدي الموحدين

وفي صحارى المغرب المقفرة وبين قبائله البدائية ، راجت عقيدة «المهدية» رواجاً كبيراً ، ووجدت بين أهله السذج مرتعاً خصيباً ، قال ياقوت :

« البربر أجنى خلق الله وأكثرهم طيشاً ، وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنقى الجهالة ، ولم تخل أجيالهم من العتن وسفك الدماء قط ، وكل من ادعى فيهم النبوة فقبلوا ، وكل زاعم فيهم أنه المهدي الموعود ، فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا ، وكل ادعى فيهم مذهب الخوارج ، فإلى مذهبهم بعد الإسلام انتقلوا » .

ويقول سيد الباحثين الطيب الذكر العلامة « جولدزيهر » Goldziher : « كثيراً ما ظهرت الحركات المهدوية في الإسلام المغربي (شمال أفريقيا) ، وعند المغاربة اعتقاد متواتر بأن المهدي لابد أن يظهر في الأرض المراكشية ، واستعان المغاربة بالأحاديث التي تنجو هذا المنفى . كما ظهر أيضاً في المغرب في عصور مختلفة رجال ، كان يدعى كل واحد منهم أنه عيسى ابن مريم ، وكان يتمسك بهذا الاسم لمناهضة السياسة الأجنبية » (١) .

ولعل أخطر هذه الحركات جميعاً ، تلك الحركة الكبرى التي تزعمها محمد ابن تومرت ، والتي أقامت دولة الموحدين على أنقاض الدولة المرابطية ، وهى وإن قامت باسم « المهدي » لم تسكن قط ذا طابع ديني خاص تطبع به الجماهير ، فبقي بعدها أجيالاً وقروناً ، كما استطاع ذلك بنو عبيد ؛ قال « جولدزيهر » Goldziher : « ومع أن بعض هذه الحركات المهدوية كتملك التي أدت إلى قيام دولة الموحدين بالمغرب ، لم تحتفظ بأى أثر تؤثر به في المستقبل بعد سقوط الأنظمة السياسية ، التي كانت هذه الحركات ثمرة لها ، فإن الآثار الباقية لهذه الحركات المهدوية لا تزال باقية إلى اليوم في الفرق الشيعية » (٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٣٤٢

(٢) المصدر السابق .

أما ابن توصرت الداعية المغربي الذى أقام بأسطورة «المهدية» دولة الموحدين فهو من بين دعاة المهدية جميعاً — أوفرهم براعة وذكاء وحزمًا وزهداً ، وكان نفوذه الروحي أقوى دعامة لقيام دولته وقد جاء في « روض القرطاس » أنه :

« كان جميل الطلعة أسمر اللون منفصل الحاجبين قوى النظر ، أفنى الأنف غائر العينين ، خفيف اللحية له شامة سوداء على يده ، وكان داهية قادراً ، تساوره الشكوك فلا يتردد عن إراقة الدماء ، كما كان حافظاً للحديث عالماً بالمسائل الدينية مبرزاً في المناظرة ، ويحدثنا صاحب « المغرب في أخبار أهل المغرب » فيقول^(١) :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

« له قدم في الثرى وهمة في الثريا ، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء الحياء ، أغفل المرابطون حله وربطه ، حتى دب ديب الفلق في الغسق ، وترك في الدنيا دويماً ، أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم ، لكان لعزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته من غزل أخت له ، في كل يوم رغيغاً بقليل سمن أو زيت ، ولم ينتقل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ، ورأى أصحابه يوماً ، وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه ، فأمر بضمّ ذلك جميعه وأحرقه ، وقال من كان يتبعنى للدنيا فما له عندى إلا مارأى ومن تبعنى الآخرة فجزاؤه عند الله تعالى ، وكان على خمول زيّه وبسط وجهه ، مهيباً منيع الحجاب إلا عند مظامة ، وله رجل مختص بخدمته والإذن عليه ، وكان كثيراً ما يندش :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

وكان يتمثل بقول المتنبي :

إذا غامرت في شرف مرّوم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمرٍ حقير كطعم الموت في أمرٍ عظيم

(١) أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٤٠ ط الحلبي .

وبقوله أيضاً :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام »
وابن تومرت بربرى لحماً ودماً ، ولذلك فنحن ندرجه في قائمة « المهديين من غير آل البيت » وإن اختلق هو لنفسه نسباً عربياً ينتهى به إلى علي بن أبي طالب أو إلى الرسول نفسه ، كى يعتمد عليه — شأن غيره من المهديين — في ادعائه « المهديّة » ، ولكى تؤيده « مجموعة الأحاديث » المفتعلة التى لا تنصر مهدياً من غير آل البيت ، ولا ندرى كيف خفى ذلك على بعض الباحثين الممتازين كسيد أمير على ، الذى زعم أن صاحبنا ينتمى إلى أسرة عربية ^(١) ، والحق أن ابن تومرت كان ذا نسب فى البربرية عريق ؛ فهو هرغى من « هرغة » أحد بطون « مصمودة » وهى بربرية بشهادة ابن حزم القاطعة فى كتابه الممتع « جهرة أنساب العرب » ^(٢) ، وقد أدرجها أيضاً ضمن قبائل البربر ، صاحب كتاب « مفاخر البربر » ^(٣) الذى نشره (بالرباط) العلامة « بروفنسال » Provençal ، كما حدثنا عنها أيضاً كقبيلة بربرية العلامة « يقر » Yver فى « دائرة المعارف الإسلامية » ^(٤) . ولم يخف ذلك على القاضى ابن العماد فقال فى شذراته : « وفيها (سنة ٥٢٤ هـ) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى البربرى المدعى أنه علوى حسنى وأنه المهدي » ^(٥) .

وابن خلدون الذى انتفع بأبحاث ابن حزم ، يحدثنا أن ابن تومرت الداعية المغربى ، اسمه « أمغار » وهى كلمة بربرية معناها رئيس ، أما « ابن تومرت » فى هذه اللغة ، فيقول الأستاذ « عنان » ^(٦) نقلاً عن أبى بكر الصنهاجى ، تلميذ ابن تومرت ومؤرخه ، إن سبب تلقيبه بذلك أن أمّه فرحت بمولده ، وكانت كلما سئلت عنه

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى « الترجمة العربية » ص ٤٥١

(٢) أنظر جهرة أنساب العرب ص ٦١ ، نشر « بروفنسال » Provençal بالقاهرة .

(٣) أنظر « مفاخر البربر » ص ٥٩ وص ٦٢ نشر « بروفنسال » Provençal بالرباط .

(٤) أنظر مادة « البربر » بدائرة المعارف الإسلامية « الترجمة العربية » مجلد ٣ ص ٥٠١ .

(٥) أنظر شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٠ ط القدسى بالقاهرة .

(٦) تراجم إسلامية ص ٢١٢

أجابت بلسانها البربري « يك تومرت » ومعناه « صار فرحاً » فغلب عليه ذلك اللقب . وقيل إن معناه « ابن عمر الصغير » وعمر اسم أبيه الذي كان يدعى أيضاً عبد الله ، كما دُعي ولده بمحمد ، فأشبهه النبي في اسمه واسم أبيه واتسق بذلك مع أحاديث المهدي ، أما أسماء أسلافه فبربرية .

وتاريخ مولد هذا الداعية مجهول ، ولكنه ينحصر بين ٤٧٠ هـ — ٤٨٠ هـ ويذكر « عنان » أنه كان في عام ٤٨٥ هـ — ١٠٩٢ م^(١) وقد ولد صاحبنا بإحدى قرى جبال السوس من أسرة هي فخذ من هرغة أحد بطون مصمودة ، ولهذا يعرف بالهرغي ؛ قال ابن خلدون : « كان من بيت نسك وكان قارئاً محباً للعلم ، وكان يسمى بالاسان البربري » أسافو » ومعناها الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد للازمتها » .

وأكبر الظن أن هذه النزعة الملحة في طلب العلم ، هي التي دفعته إلى النزوح والرحلة لطلبه من ينابيعه في المشرق والمغرب والعلامة «رينيه باسيه» Rene Basset يحدثنا أنه ابتداء في رحلته بالأندلس ولا يشك « باسيه » في أن لكتابات ابن حزم أنراً في أفكاره^(٢) . ويقول « أشباخ » Aschbach إنه درس في قرطبة قبل الرحيل إلى المشرق^(٣) .

وبعد أن بلغ صاحبنا غايته من معاهد قرطبة شدَّ رحاله إلى الشرق فخرج في طريقه على الإسكندرية ؛ وتلمذ لأبي بكر الطرطوشي الأشعري ، وكان يعارض تعاليم الغزالي ، ثم أخذ ابن تومرت طريقه بعد ذلك إلى العراق ، حيث درس في بغداد وتقول الأساطير إنه التقى بالغزالي هناك ، ودارت بينهما أحاديث حول كتاب الإحياء من جهة ، وحول تنبؤ الغزالي لصاحبنا المغربي بخطر شأنه وقيام دولته من جهة أخرى . وقد سلم بهذه الأسطورة بعض المؤرخين القدامى كابن خلكان الذي يقول :

(١) تراجع إسلامية ص ٢١١

(٢) أنظر مادة « ابن تومرت » بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ١٠٦

(٣) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين « الترجمة العربية » ١٠٠ ص ١٩٥ ،

وانظر صبح الأعشى للقلقشندى ص ١٣٦

« ثم رحل إلى المشرق في شبيبته طالباً للعلم فأنهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والسكيا المراسي والطرطوشي وغيرهم^(١) » .

والفلقشندي الذي يحدثنا فيقول : « كان (ابن تومرت) إماماً متضلعا بالعلوم ، قد حج ودخل العراق واجتمع بأئمة من العلماء والنظار كالفزالي ، والسكيا المراسي وغيرهما ، وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة ، ورجع إلى الغرب ، وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل ، فاجتمع إليه قبائل المصامدة من البربر ، وجعل يبت فيهم عقائد الأشعرية ، وينهى عن الجود على الظاهر ، وسمى أتباعه الموحدين ، تعريضا بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر^(٢) » .
ويقول في موضع آخر :

« وكان أهل بيته أهل دين وعبادة ، وشب محمد هذا فيهم قارئاً محباً للعلم ، وارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومرّ بالأندلس ، ودخل قرطبة وهي إذ ذك دار علم ، ثم لحق بالإسكندرية وحج ، ودخل العراق ، ولقي أكابر العلماء به يومئذ وغول النظار ، ولقي أئمة الأشعرية من أهل السنة ، وأخذ بقولهم في تأويل التشابه ، ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يريده من قيام الدولة بالمغرب^(٣) » .

والقاضي الحنبلي ابن العماد يقول : « رحل إلى المشرق ولقي الغزالي وطائفة^(٤) » .

كذلك أخذ بهذه الأسطورة — أسطورة النقاء ابن تومرت بالفزالي — بعض المحدثين من الباحثين كأشباح Aschbach^(٥) وسيد أمير على^(٦) ولم يُبد فيها الأستاذ عفان رأياً قاطعاً ، عندما ترجم لابن تومرت في كتابه « تراجم إسلامية » .

(١) أنظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧ ط الحلبي .

(٢) أنظر صبح الأعشى ج ٥ ص ١٩١

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ١٣٦

(٤) شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٠ ط القدسي بالقاهرة .

(٥) تاريخ الأندلس ج ١ ص ١٩٥

(٦) مختصر تاريخ العرب ص ٤٥١

والحق الذى لا مريية فيه أن ابن تومرت لم يلتق قط بالغزالي ؛ قال ابن الأثير :
« وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك ، فقال له الغزالي
إن هذا لا يتمشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا ، كذا قال بعض مؤرخى
المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به ^(١) » . ويقول ابن غلبون معقبا على هذا الخبر :
« هكذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به » ^(٢) .

وغير بعيد أن يكون هذا اللقاء من مختلقات ابن تومرت نفسه ، ليصبغ دعوته
بصبغة قدسية ؛ إذ تنبأ بها « الغزالي » وهو إمام فى الشريعة والحقيقة ، يتمتع بنفوذ
كبير و يعتبر حجة الإسلام .

وقد غيرت أعوام الطلب والرحلة داعيتنا المغربى تغيراً كبيراً ، فاعتزم فى نفسه
أمراً ، وهو وإن لم يكن قد رسم خطته بالتفصيل فقد تصوّرها بالإجمال ، وعندما ركب
البحر عائداً إلى بلاده ، أخذ لأول مرة يأمر ركاب السفينة وبجارتها بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ، وألزمهم إقامة الصلاة وقراءة القرآن . ولما هبط الأراضى المغربية ازداد
حماسة وحمية ، فاستمر على طريقته فى شىء غير قليل من الشدة والعنف ، عملاً بقول
النبي عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ،
فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَهَذَا أَوْفَعُ الْإِيمَانِ » .

وقد كانت دولة « المرابطين » القائمة بالمغرب إذ ذاك فى دور الاحتضار ، كما
كانت الحياة العقلية فى غاية الانحطاط ، مما ساعد ابن تومرت كثيراً فى نشر دعوته ،
التي لم يقف المرابطون فى سبيلها حجر عثرة ، بل كانوا بضعفهم وامحلالهم الخلق
والسياسى ، أكبر عامل فى نجاحها .

وبإحدى قبائل صنهاجة التقى ابن تومرت بعبد المؤمن بن على ، الذى ينتهى
بنسبه إلى بنى سليم من قيس عيلان ، والذى تمت على يديه دعوة ابن تومرت ، وكان
عبد المؤمن كأستاذة طالباً فقيراً ، يريد الارتحال لبلاد المشرق لطلب العلم ، فتحدث

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٠١ طبع الحلبي .

(٢) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص ٧٨ .

إليه ابن تومرت وتفرّس فيه واختبره بدقة ، فوجد فيه عضداً قوياً وساعداً متيناً ، فأقنعه بالعدول عن رحلته كما أقنعه باصطحابه في دعوته ، زاعماً له أنه هو المقصود بالحديث الخثلي القائل : « إن الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان رجل من قيس ، فقيل من أي قيس ؟ فقال من بني سليم . . » .

ثم أخذ ابن تومرت بعد ذلك يضرب في البلاد ، حتى وصل مراکش فسار فيها سيرته المعروفة من الأمر بالمعروف وتنفيذ برنامجه في الإصلاح الخلق بالشدة والعنف ، لا يكاد يعرف في ذلك ليناً أو هوادة ، حتى لقد أساء إلى أخت الأمير المرابطي الذي كان أكثر منه حليماً وتساحاً ، فلم يُنزل به ما يستحقه من العقاب ، واكتفى بأن عقد مجلساً ناظر فيه ابن تومرت فقهاء المرابطين فجهّم وفلجهم ، ولم يكن ذلك عليه بعسير . ولقد أشار القاضي التابه البعيد النظر ، مالك بن وهيب على الأمير المرابطي بقتل ابن تومرت ، لما استشفه وراء دعوته المقتنعة من خطر دام على الدولة ، ولكن الأمير لم يستمع لنصيحة ابن وهيب ، وأبقى على حياة الداعية الداهية ، الذي ما كاد يشعر بهذه الشباك تحاك من حوله ، حتى فرّ إلى « أغمات » حيث اشترك هناك في منازعات أخرى ، كان دائماً يخرج منها ظافراً منتصراً ، لفصاحة لسانه وقوة جفانه ، وحضور بديهته ، ولما أكسبته دراسة المنطق من قوة الحجة ووسائل الغلب والفاج .

ثم توجه ابن تومرت إلى جبال المصامدة ، وأخذ هناك ينظم دعوته ، فاكتفى بادئ الأمر بإنكار ما يخالف القرآن والسنة من أخلاق وعادات . وبعد أن أصبح له نفوذ قوى والتف حوله الأتباع ، هاجم المرابطين وشدد عليهم النكير ؛ لحيدتهم عن تعاليم الإسلام الصحيحة القويمة ، ورمى كل من عارضه في ذلك بالمرورق من الدين ، وأعلن حرباً دينية ليس على الوثنيين فحسب ، بل على المسلمين أيضاً ؛ لضلالتهم وسلوكهم مسالك الشيطان . وقد جاء في رسالة حماسية له — يحرّض فيها أتباعه على محاربة المرابطين — قوله :

« فكل من أطاعهم في معصية الله وأعانهم على ظلمهم ، في سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ، وكل من أعانهم من القبائل ، فادعواهم إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الكتاب والسنة ، فإن قبلوا منكم ورجعوا إلى السنة وأعانوك على جهاد الكفرة فخلوا سبيلهم وهم إخوانكم في دين الله وسنة رسوله ، وإن عاندوا الحق وأصرّوا على معونة الباطل والفساد ، فاقتلواهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً^(١) »

وبعد أن هبّ ابن تومرت الأذهان لصفات المهدي المنتظر ، الذي يتم على يديه إصلاح الحال ، بادر فاعتبر نفسه ذلك المهدي ، وخرج به على الناس عام ٥١٥ هـ ، واصطفى له نسباً يعلو به إلى عليّ بن أبي طالب . وقد ساعده على النجاح ، تلك الأساطير الكثيرة التي راجت هناك عن قيام دولة بربرية ؛ قال القلقشندي :

« وكان السكمان يتحدثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر ؛ وصرفوا القول في ذلك إليه ، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين سنة خمس عشرة وخمسمائة فبايعوه على ذلك^(٢) » .

وقد تأثرت تبعاً لذلك دعوته ، فلم تعد أشعرية خالصة ، بل خالطها الكثير من تعاليم الشيعة . ودارت بينه وبين المرابطين في هذا الصراع معارك حربية طاحنة ، بيد أن دعوته قد أخذت في الانتشار والذيع ، مما أكسبه الأيد والقوة ، في الوقت الذي كانت فيه دولة المرابطين تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكن لم يتح لابن تومرت أن ينعم بشجرة جهاده ، فقضى في رمضان عام ٥٢٤ هـ^(٣) = سبتمبر ١١٣٠ م .

وتقول الأساطير إنه رأى في منامه قبيل وفاته بيسير -- كأن رجلاً وقف بباب داره ينشده هذا البيت :

كأنى بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه ابن تومرت بقوله :

(١) تراجم إسلامية لعبد الله عنان ص ٢١٦

(٢) أنظر صبح الأعشى ص ٥ ص ١٩١

(٣) وقيل عام ٥٢٥ هـ .

كذلك أمور الناس يبلى جديدها وكل فتى حقاً ستبلى شمائله
فقال الرجل :

نزود من الدنيا فإنك راحل وإنك مسئول بما أنت قائله
فقال ابن تومرت :

أقول بأن الله حق شهده وذاك مقال ليس تحصى فضائله
فقال الرجل :

خذ عدة الموت إنك ميّت وقد أرف الأمر الذي أنت نائله
فقال ابن تومرت متسائلاً :

متى ذاك خبرنى هُديت فإنتى سأعمل ما قد قلتَه وأعالجه ؟
فأجابه الرجل :

تبيت ثلاثاً بعد عشرين ليلةً إلى منتهى شهرٍ فما أنت كامله
فلم يلبث بعدها غير ثمان وعشرين ليلة^(١) .

وقد رثاء شاعر مجهول بقصيدة ضافية ، اختصرها المراكشي في كتابه
« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » يقول فيها ناظماً^(٢) :

سلامٌ على قبر الإمام المجدد سلاله خير العالمين محمد
ومُشبهه في خلقه ثم في اسمه وفي اسم أبيه والقضاء المسدد
ومحي علوم الدين بعد مماتها ومظهر أسرار الكتاب المسدد
أتنا به البشرى بأن يملأ الدنيا بقسطٍ وعدلٍ في الأنام مخلد
ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً ويملك عرباً من مُغيرٍ ومنجد
فن وصفه : أفنى وأجلى وأنه علاماته خمسٌ تبين لمهتد
زمانٍ واسمٌ والمكان ونسبةٌ وفعلٌ له في عصمة وتأيد

(١) أنظر مقدمة كتاب « أعز ما يطلب » لابن تومرت نشر « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٩٠٣

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٢١ ط مطبعة السعادة .

ويلبث سبعاً أو قسماً يعيشها
فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا
وتتبعه للنصر طائفة المهدي
هي الثلثة المذكور في الذكر أمرها
ويقدمها المنصور والناصر الذي
هو المنتقى من قيس عيلان مفخراً
خليفة مهدي الإله وسيفه
بهم يجمع الله الجبارة الألى
ويقطع أيام الجبارة التي
فيغزون أعراب الجزيرة عنوة
ويقتحون الروم فتح غنيمة
ويغدون للدجال يغزونه ضحى
ويقتله في باب « لَيْلَة » وتنجلي
وينزل عيسى فيهم وأميرهم
يصلى بهم ذاك الأمير صلاتهم
فيمسح بالكفين منه وجوههم
وما إن يزال الأمر فيه وفيهم
فأبلغ أمير المؤمنين^(١) تحية
عليه سلام الله ما ذرَّ شارق
كذا جاء في نص من النقل مُسنَد
فذلك المهدي بالله يهتدى
فأكرم بهم إخوان ذى الصدق أحمد
وطائفة المهدي بالحق تهتدى
له النصر حزب إذ يروح ويغدى
ومن مرة أهل الجلال الموطن
ومن قد غدا بالعلم والحلم مُرتد
يصدون عن حكم من الحق مرشد
أبادت من الإسلام كل مشيد
ويغزون منها فارساً وكأن قَدِ
ويقتسمون المال بالترس عن يد
يذيقونه حدَّ الحسام المهند
شكوك أُمالت قلب من لم يوحد
إمام فيدعوهم لحراب مسجد
بتقديم عيسى المصطفى عن تعمّد
ويخبرهم حقاً بعزٍّ مجدّد
إلى آخر الدهر الطويل المسرمد
على النأى منى والوداد المؤكد
وما صدر الوراؤد عن وزد مورد

قال المراكشي : « وقد قيل إن منشىء هذه القصيدة لم يحضر ذلك المشهد ولم ينشدها بنفسه ، منعته عن ذلك الكبرة وبعد الشقة ، وإنما أرسل بها فأشدت على

(١) يقصد عبد المؤمن بن علي .

قبر الإمام ، وكان عمله إياها وعبد المؤمن حتى ، فآله أعلم وهي طويلة وهذا ما اخترت له منها^(١) .

وهكذا مات الداعية المغربي مهدي الموحدين ابن تومرت ، دون أن يرى ثمرة جهاده الذي واصله من بعده خليفته عبد المؤمن بن علي ، حتى قضى على المرابطين وسقطت دولتهم المثلومة صريعة دامية تحت ضرباته ، فأنشأ على رسومها ومعالمها وفوق أطلالها وأبقاضها بالبلاد المغربية ، دولته الفتية القوية دولة الموحدين إحدى الدول التي قامت على أسطورة « المهديّة » .

وقد ترك ابن تومرت تعاليمه مدونة في كتاب أملاء عبد المؤمن هو « أعز ما يطلب » نشره « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٩٠٣ ، وقدم له « جولديزير » Goldziher مقدمة طويلة ممتعة ، وهو في جملة لا يخرج عن تعاليم الأشعرية مصطبغة بصبغة شيعية . وقد ترك أيضاً رسالة قصيرة باسم « عقيدة ابن تومرت » نشرها — ضمن رسائل — الكردى بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ ، وهي أيضاً من نوع كتابه السابق من حيث صبغة البحث واتجاهاته ولم يكن فيهما قط مبتكراً أو مجتهداً ، بل كان من هذه الناحية مقلداً لا شخصية له ، وقد انتهى إلينا أخيراً بعض رسائل أخرى له نشرت مع طائفة من أخباره بقلم تلميذه أبي بكر بن علي الصنهاجى المعروف بابن البيدق بعناية العلامة « ليثى بروفسال » Provençal بعنوان « أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين » ، وقد جاء في رسالة منها يوصى أتباعه :

« والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته ، والاستعانة به والتوكل عليه ، واتباع الكتاب والسنة ، وتعليم التوحيد فإنه أصل دينكم وبه تصلح أعمالكم ، والحفاظة على الصلوات في أوقاتها فإنها عماد الإسلام ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واثتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، واقطعوا المداينة وسوء السيرة ، وعوايد الجاهلية ، والاهو والنياحة والسخط

عند المصائب ، ولا تخالطوا أهل الفساد ولا تعاملوهم ، وتواصلوا فيما بينكم ولا تقاطعوا ، وتحابوا ولا تدابروا ، وانفقوا ولا تختلفوا ، وتطاولوا ولا تنازعوا ، ولا تغتروا بالدنيا فإنها فانية وكل من عليها فان ^(١) » .

وقبر ابن تومرت لا يزال موجوداً في « تينمل » ، أما اسمه وتاريخه فقد ابتلعهما الماضي السحيق بين طواياه . ولعل نجاحه في دعوته هو الذي حفز بعض المغاربة من بعده ، إلى أن ينهجوا نهجه ؛ ففي أوائل القرن الثامن الهجري خرج بسوس ، في عصر السلطان يوسف بن يعقوب ، داعية يعرف بالتَّوَيَّزِي ، زعم أنه المهدي وتبعه كثير من الدماء ، ولكنه قتل غيلة وانقطع أمره قبل أن يعظم . وفي نهاية القرن الثامن أيضاً خرج ناعق آخر اسمه العباس زاعماً هذا الزعم ، وهاجم مراکش وأحرقها ولكنه قتل غيلة أيضاً .

(١) أنظر كتاب « تراجم إسلامية » لعبد الله عنان ص ٢١٧

الفصل السابع

المهدية في العصر الحديث

يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« وفي الأزمنة الحديثة نسبياً اشتد تعلق المسلمين بهذه العقيدة حتى من كان منهم غريباً عن التشيع ؛ فسلموا القوقاز يؤمنون برجعة بطل استقلالهم « إيليا منصور » الذي ظهر قبل زعيمهم « شامل » سنة ١٧٩١ ، والذي لا بد أن يعود إليهم بعد قرن من طرد الروس ، ويعتقد أهل سمرقند برجعة أوليائهم ، كشاه زند وقاسم بن عباس ، كما ثبت أن الأكراد منذ القرن الثامن الهجري على الأقل ، يؤمنون برجعة زعيمهم المصلوب ، تاج العارفين حسن بن عدى » (١) .

ويقول Goldziher في موضع آخر من تعليقاته الممتعة على كتابه القيم

« العقيدة والشريعة في الإسلام » : Vorlesungen Über Den Islam :

« وفي القرون الأخيرة ظهرت بعض الحركات الانشاققية الدينية ذات الصلة الوثيقة بالفكرة المهدية ، وذلك بين مسلمي الهند ، وقد أثارها رجال ادّعى كل واحد منهم أنه المهدي المنتظر ، ولا يزال أتباعهم يؤلفون جماعات وفرقاً مختلفة . وزعم هؤلاء المهديون أن انتظار المسلمين للمهدي قد انتهى بظهورهم ، وهذا هو السبب في تسمية هذه الفرق باسم « غير مهدي » أي أنهم قوم توقفوا عن الاعتقاد بظهور المهدي في المستقبل ، ومنهم فرقة المهدوية التي تحمل على مخالفتها في الرأي وتبالغ في بغضهم والتعصب عليهم . وقد أورد « سل » Sell في كتاب « ديانة الإسلام » تفصيلات دقيقة عن هذه الفرق . ولا تزال ذكرى أحد المهديين الهندود الذين عاشوا في نهاية القرن الخامس عشر عالقة بأذهان أهل مقاطعة كرمان (بلوخستان) .

ويعارض السنيّون في هذا الأقليم (ويسمون الممازى لأنهم يؤدون الصلاة واسمها نماز)
فرقة « ذكرى » التي ينتمى أغلب أتباعها إلى البدو من سكان البلاد ، وقد وصلوا
مذهبهم وشعائرهم الحائدة عن التعاليم السنّية الإسلامية بأحد المهديين ، ويدعى
الشيخ محمد الجونبوري ، الذي أخذ بعد نفيه من بلاد الهند في التجوال من مكان
إلى آخر وتوفي سنة ١٥٠٥ م في « تيل هلمند » Tale Helمند وهم يشيدون
دائرة من الأحجار في ليلة القدر التي يقدها أهل السنّة ، ويؤدون في داخلها مناسكهم
الزائفة ، ولذا يطلق على هذه الفرقة أيضاً اسم « دائرة والى » أى أهل الدائرة ^(١) .
ولعل أهم آثار لعقيدة « المهديّة » في العصر الحديث ، هو قيام الدولة المهديّة
في السودان ، ونشوء « البابية » و « البهائية » في إيران ، و « الباريلية »
و « الأحمدية » في البلاد الهندية .

محمد أحمد مهدي السودان

شخصية فذة من شخصيات التاريخ وعلم من أعلامه ، كثرته أحوال بلاده ، وما تردت فيه من انحطاط فكري وخلق واقتصادي ، نتيجة لرزوحها تحت نير الاستعمار البغيض ، فثار الرجل بمهديته لينقذ السودان من تلك الهاوية السحيقة ، واقد عمر قلبه الإيمان العميق في حق بلاده أن تحيا ، فأعلنها على المستعمرين حرباً شعواء لا هوادة فيها ، خرج منها ظافراً منقصرأ ، وفي فترة وجيزة جمع بين السودانيين وألف بين قلوبهم ، وأشاع بينهم العدالة والطمأنينة والحياة الكريمة ، وخلق منهم أمة أبيّة تأبى الضيم وتستمسك بتعاليم الإسلام ، فن هو هذا المهدي ؟

يقول الرواة : هو أبو عبد الرحمن ؛ محمد بن عبد الله ، بن فخل بن عبد الولى ، ابن عبد الله بن محمد ، بن حاج شريف بن على بن أحمد بن على ، بن حسب النبي بن صبر ، بن نصر بن عبد الكريم ، بن حسين بن عون الله ، بن نجم الدين بن عثمان ، ابن موسى بن أحمد أبي العباس ، بن يونس بن عثمان ، بن يعقوب بن عبد القادر ، بن الحسن العسكري ، بن علوان بن عبد الباقي أبي صخرة ، بن يعقوب بن الحسن بن على بن أبي طالب!

هذا من جهة أبيه ، أما من جهة أمّه زينب بنت نصر ، فتنتهى السلسلة فيما يقولون إلى العباس بن عبد المطلب!

قال الرواة : وقد هاجرت أسرة المهدي العلوية ، من الجزيرة العربية فيمن هاجر من العلويين ، فراراً من المظالم والآلام التي كان يصبها على رؤسهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وفي عهد ابنه الوليد .

وقد اتخذت الأسرة وادى النيل مهاجراً لها ، فأقامت في الفسطاط ما طابت لها الإقامة ، وبها مات أحد كبار رجالها المعروفين ، وهو نجم الدين بن عثمان ، ودفن عند باب الوزير وله هناك مقام يزار . ثم شدت الأسرة رحالها وواصلت رحلتها جنوباً

وقد طاب لبعض أفرادها المقام في « كشتمة » بين أسوان والدرّ ، ومن أشهر هؤلاء نجم الدين بن عون الله ، وظل باقي الأسرة وعلى رأسهم السيد نصر الدين بن عبد الكريم ، بين ظعن وإقامة وحل وترحال ، حتى انتهى بهم المطاف والتجوال إلى إقليم « دنقلة » بالسودان ، فألقوا عصا نسيارهم ، وقد وسّموا المسكان الذي نزّله « بالخنّاق » ، على اسم آخر قرية سكنوها بأعلى الصعيد ، وقد أنجّه بعضهم إلى جزر هناك ثلاث ، فاستوطنوها وهي ضرار ، ولبب ، وآب تركي ، ومن ثمّ عرفت هذه الجزر ، وما زالت تعرف إلى اليوم ، باسم جزائر الأشراف .

ومن هذا الإقليم العلوى « دنقلة » ، وفي أواسط القرن السابع الهجرى ، سطع نجم أحد رجال هذه الأسرة المبرزين ، وهو السيد حاج شريف ، وطار ذكره وبعُد صيته وعُرف بالعالم والتقوى ، فقصده الأتباع والمريدون زرافات ووحداناً من كل فج عميق راكبين ورُجلاً ، وقد عمر هذا الشيخ طويلاً مستمتعاً بسلطان روحى قوى ، وولد له من الذكور ستة ، أكبرهم السيد محمد جد المهدي من قبل أبيه ، ثم قضى الحاج شريف ، وما زالت له ولذراريه إلى الآن قباب بدنقلة ، تعرف بقباب الأشراف يؤمها المريدون والأتباع .

وقد وُلد للسيد محمد بن الحاج شريف ولد ، أسماء عبد الله هو والد المهدي ، وكان صنّاعاً ماهراً ، حذق هو وبعض أفراد أسرته حرفة النجارة وصناعة السفن ، وكانت المنطقة التي يعيشون فيها بدنقلة لا تسعفهم بالأخشاب الصالحة لمزاولة مهنتهم ، فارتحل عبد الله هذا ومعه أسرته إلى مدينة « كررى » ، الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً شمالى « أم درمان » ، والتي كانت أخشاب غاباتها موائمة لمهنته ، وقد صحبه في هذه الرحلة التي لا تخلو من خشونة ، ولده محمد أحمد .

وظل عبد الله يزاول مهنته بمدينة « كررى » حتى عام ١٢٦٥ هـ = ١٨٥١ م حيث توفى تاركاً ولده محمداً في سن الخامسة ، ولسبب لانهله — ربما كان نقص الأخشاب أو مجرد الانتجاع والظعن ، حيث يدلّنا تاريخ الأسرة على أنها كانت

بدوية رحالة لاتسكاد تعرف الاستقرار — هاجرت الأسرة بعد موت عاهاها عبد الله إلى الخرطوم ، وهناك راحوا يزاولون مهنتهم ببلدة « المنجرة » عند « المقرن » (اقتران النيل الأبيض بالأزرق) . وبعد سنوات ست من وفاة عبد الله ، لحقته زوجته « آمنة » والددة محمد أحمد عام ١٢٧١ هـ = ١٨٥٧ م ، ودفنت بمقبرة الخرطوم القديمة . ويقال إن قبرها معروف هناك من آثار ترشد إليه وتدل عليه .

أما ابنها محمد صاحب هذه القصة وخالق تاريخها ، فقد ولد ليلة السابع والعشرين من رجب عام ١٢٦٠ هـ = أكتوبر عام ١٨٤٥ م ، بدفنة بمقبرة « لبب »^(١) إحدى جزائر الأشراف الثلاث ، وقد أطلق عليه والده عبد الله اسم « محمد أحمد » وظل يُعرف به إلى أن جهر بدعوى « المهديّة » في الثامنة والثلاثين من عمره ، حيث نقش على خاتمه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، محمد المهدي بن عبد الله » .

لم ينعم صاحبنا بأبويه كثيراً ؛ إذ مات أبوه وهو في الخامسة ، وفقد أمّه وهو في الحادية عشرة . ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا وجه التشابه بينه وبين الرسول صلوات الله عليه ، في اسمه وفي اسم أبيه ، وفي اليتيم الذي لقيهما بردائه ، بل وفي طريق هذا اليتيم نفسه ؛ حيث مات أبواهما أولاً ، ثم في كفالة الغير لهما ؛ فقد كفل الرسول جدّه عبد المطلب ، ثم عمه أبو طالب ، وكفل محمد أحمد ، أخوه الأكبر السيد محمد . وكل هذا التشابه الذي جاء دون شك وليد المصادفة البحتة ، قد استغله المهدي فيما بعد أوسع استقلال لنشر دعوته وتمكينها . وقد حاول هو أخيراً أن يزيد من وجوه التشابه هذه بينه وبين الرسول ، فتزوج بامرأة اسمها عائشة وكفّأها بأُمّ المؤمنين ... ! وقد كان محمد أحمد ميالاً منذ طفولته لحياة التدين والزهد ، التي انحدرت إليه بذورها من جدّه الأعلى الشيخ الصالح السيد حاج شريف ، فالتحق بكتاب شرق النيل بقرية محاذية لمدينة « كررى » ، ويدعى صاحبه « الفقيه الهاشمي » ، وكان مشهوراً في تلك الجهة بتعليم القرآن بغير أجر . وقد مكث فيه صاحبنا مدة ، خرج

(١) قال إبراهيم فوزي : لأنه ولد بمقبرة « الخناق » عام ١٢٥٠ هـ ، أنظر كتابه

« السودان بين يدى غردون وكتش » ، ص ١٠٠

بعدها ليلتحق بمدرسة لرجل من أهل « شنقيط » ، يدعى الشيخ محمود ، كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية . بيد أن صاحبنا أيضاً لم يمكث طويلاً في هذه المدرسة ، بل أخذ طريقه إلى مكتب الشيخ محمد الضكير ، أحد معلمى الصبيان « بالقش » وهى قبيلة صغيرة تسكن على ضفة النيل الغربية بإزاء « الخيرق » مركز مديرية « بربر » ، ويطلق عليها اسم « القش » أى الزهاد المتقشفون . ويقال إن للشيخ محمد الضكير هذا ضلعاً كبيراً فى ادعاء تلميذه للمهدية ، وقد صار هذا الشيخ فيما بعد من أنصار المهدي المتحمسين وأعوانه الخلقين ، وقد أبدل المهدي اسمه فأسماه « محمداً الخير » .

وقد كان الشيخ محمد الضكير هذا على حظ وافر من الصلاح والتقوى ، وإن كان على جهل تام باللغة العربية ؛ يقول إبراهيم فوزى :

« ونقل لنا أحد تلاميذه أنه لما تصدّر للتدريس ، كان ذا تحقيق فى مذهب إمام دار الهجرة مالك رضى الله عنه ، ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو والصرف وعلوم البلاغة ، فاحتقره تلاميذه وأسمعوه مرّات عديدة انتقاداتهم على جهله ، حتى إن أحدهم قال له يوماً : ياسيدى الشيخ إنك لا تعرف إعراب جاء زيد ، فكيف يليق بنا أن نتكوّف حولك ! فى حين أن تكوّفنا هذا لطلب العلم وأنت مفتقر إليه أكثر منا ؟ . فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه ، وبعد صلاة العشاء دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد ، وقصدوا الخرطوم ومنها إلى ضواحي المسلمية ، حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء ، وقصّ عليه محمد الخير ما جرى له مع تلميذه ، فقال له : قد محضك والله النصيح . ثم انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين ، أدرك فيهما ما يدركه غيره فى أربعة أضعافهما ، ثم عاد إلى مزاوله دروسه فى بربر » ^(١) .

ولما أتم محمد أحمد دروسه على الشيخ الضكير ، نزلت نفسه إلى التصوّف

(١) السودان بين يدى غردون وكنتشر ١٠ ص ٣١٥

وتناقت إليه ، وقد انسابت في عروقه جراثيمه المنحدرة إليه من أسلافه ، فرغب في الانخراط في سلك الطريقة « السمانية » إحدى الطرق الصوفية المنتشرة وقتذاك في السودان ، والتي كان يمثلها الشيخ محمد شريف ، حفيد صاحب الطريقة الشيخ الطيّب ، فقصده صاحبنا وسأله الدخول في مصاف أتباعه ومريديه ، فأجابه شيخ الطريقة إلى طلبته . وأقام المريد الجديد عنده منقطعاً للصلاة والعبادة ، متشحاً برداء النقشف والزهد ، بطريقة لفتت إليه نظر شيخه ، فسال إياه بقلبه وأحبه ، فاصطفاه وقرّبه وأدناه .

ولما آنس محمد أحمد من نفسه القوة على التدريس افتتح مكتباً لتعليم الغلمان القرآن الكريم ، ولكن يظهر أنه برم بهذه الحرفة ، فأبطله ورغب إلى أستاذه أن يأذن له بالسياحة وإعطاء اليهود ، فأذن له ، فأخذ صاحبنا في التجوال وإعطاء اليهود على الطريقة السمانية ، وقد كثر تلاميذه ومريدوه كثرة منقطعة النظير ، حسده عليها شيخه محمد الشريف نفسه ، ثم انقلب الحسد إلى نفور وعداء في أوائل عام ١٢٩٥ هـ ، عند ما أخذ محمد أحمد في انتقاد أعمال أستاذه ، الذي كان يأذن للنساء في حضور مجلسه وتقبيل يده ، وكان يسمح بالغناء والرقص ، مما رآه تلميذه غير متسق وتعاليم الإسلام ، وقد أحفظ ذلك عليه أستاذه ، الذي ضاق به ذرعاً وبرم به ، واعتبره عاقاً خلعه من الطريقة . ويعتبر ذلك عند الصوفية كارثة كبرى ، فلجأ محمد إلى الملاينة والاستعطاف عليه يحظى ثانية بعطف أستاذه فيرجعه إلى الطريق ، ولكن عبثاً حاول وذهبت جهوده في هذا الصدد أدراج الرياح ، فقد كان غضب الشيخ عليه بالغاً أقصاه . ويقال إن بذور فكرة « المهديّة » كانت قد بُذرت في ذهن التلميذ في هذا التاريخ — ولعل لشيخه السابق الشيخ الضكير ضلعاً في ذلك — ويقال إن سبب النفور الذي وقع بين المريد وشيخه ، يرجع إلى أنه كان يحرض شيخه الشريف على ادعاء « المهديّة » ، فلما امتنع الشيخ ورأى من تلميذه ميلاً لادعائها لنفسه ، نهره وعزله من الطريق .

لم يجد صاحبنا بداً بعد هذا من الذهاب إلى شيخ آخر لنفس الطريقة ، اسمه

الشيخ القرشى ، وكان بينه وبين الشريف منافسة ، فخشى هذا الأخير عاقبة الأمر ، ورأى أن من الحكمة أن يرضى عن تلميذه ، فاستقدمه ليجدد له العهد ، غير أن التلميذ الداهية رفض بإباء وشم ، وقد كان لرفضه هذا ضجة كبرى فى آذان أهل السودان ، وارتفع على أثره قدره وعلت منزلته .

جدد محمد أحمد العهد على الشيخ القرشى ، الذى كان بالغاً من العمر وقتئذ تسمين عاماً ، وكان فاقداً لقواه العقلية ، ويؤكدون أنه ذو يدٍ كبرى فى تدبير دعوى « المهديّة » والتمهيد لمحمد أحمد بانتحاليها ، بما أخذ يشهد له به من الشهادات الحسنة ، التى كان يدعى أنه يتلقاها عن طريق الكشف والاطلاع على الغيب ، ولم يلبث القرشى أن مات ، فبالغ أتباعه فى إكرام محمد نكابة فى الشريف ، فازداد بذلك اشتهاً . وقد ترك الشيخ القرشى وصية جاء فيها : « إن زمن ظهور المهدي المنتظر قد حان ، وإن الذى يشيد على ضريحى قبة ويختن أولادى ، هو المهدي المنتظر ^(١) » فلما سمع محمد أحمد بذلك — وقد كان عائداً من سياحة أخرى يبت فيها بذور دعوته — طار فرحاً وشيد القبة وختن أنجال الشيخ القرشى ، بعد أن أخذ اليهود والمواثيق على الناس بتصديقه فى دعواه قبل أن يصدع بها .

وكان السودان إذ ذاك يرزح تحت نير الحكم التركى الفاشم المستبد ، الذى لم يُثبت قط صلاحيته فى أى بلد ابتلى به ، ولا غرو فالأتراك سلالة المغول ، يجمعهما العنصر الطوراني ، وهو عنصر تترى هدام ، إذا هبت موجة منه قضت على حضارات بأسرها ، وقد كان جباة الأموال فى السودان يلهبون ظهور الجماهير بالسياط ، ويستنزفون ما عندهم من صباية مال أو بقية متاع ، فى شئ كثير من القسوة والوحشية ، مما هبط بالمستوى الاقتصادى فى البلاد إلى حد خطير أنذر بالتحط والجذب والدمار والحرب ، وأشاع السخط والتذمر والاستياء فى نفوس الضحايا القاطنين . وقد استغل صاحبنا محمد أحمد هذا الحال لحسابه وصالحه ؛ فكان إذا ذكر

(١) السودان بين يدى غردون وكشنر لإبراهيم فوزى > ١ ص ٧٤

بمجلسه الضيق الذى شمل السودانين من ظلم الجبابة ، سارع بأسلوبه الجذاب وحديثه الشائق ، فنسب ذلك كله — بلباقة وبراعة — إلى فساد الزمن وضلال الناس عن سواء السبيل ، وحيدتهم عن الطريق القويم ، وأخذ يبت في نفوس الناس أن الله سبحانه سيجعل لهم من بعد شدة فرجاً ، ومن بعد عسر يسراً ، على يد رجل صالح يبعثه الله تعالى ليصلح ما فسد ، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، هو المهدي المنتظر . . . ! وهكذا استطاع محمد أحمد أن يمهّد لدعوته ويهيئ النفوس لمهديته . ولقد بلغ من اهتمام الناس بحديث « المهدي » هذا ، أن صار سمرهم في مجتمعاتهم ، وشغلهم الشاغل في حياتهم ، وأملهم المستقبل كلما ذكروا ما يقاسونه من ضيق وضنك وما يعانونه من عسف وجور .

ولقد حدث أن جاء أحد المشتغلين بالتنجيم وكتابة الأحجبة من أهل « البقارة » واسمه عبد الله التعايشي ، وكان أمياً بأنساً يأنساً من حياته ، جاء إلى المهدي وهو يشيد قبة شيخه القرشي « وحينا وقعت عينه عليه خراً على الأرض مدعياً أنه أغنى عليه ، وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب إنغمائه فقال : نظرت أنوار المهديّة على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي . . . !^(١) » وهكذا أكد التعايشي لـ محمد أحمد أنه هو « المهدي » وحثّه على الظهور والجهر بالدعوى .

والحق أن التعايشي هذا ، كان قد برّم بحرفته التي ورثها عن أمّه أمّ نعيم وضاق بها ، وكانت تجول في نفسه مطامع كبيرة ، لا تستطيع هذه الحرفة الحقيرة المحدودة الموارد أن تملأ به إلبها ، فتقرب إلى محمد بهذا الحديث ، الذي صادف هوّى في النفس ، ولم يلبث صاحبنا بعد نجاحه في دعوته أن حفظ له هذه اليد الطولى في إشعال اللهب ، وذكراها له فقرّبها وأدناها ، وجعله أكبر خلفائه من بعده ، وأعطاه مرتبة الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، فأثار هذا الصنيع سخط أتباعه ، حيث كان التعايشي من الجهل والأمية في درجة لا تسمح له بالوصول إلى هذه المرتبة ، فكثر

اللفظ واشتد القيل والقال ، فما ازداد المهدي إلّا تمسكاً بصاحبه ، بل رفع مكانته إلى مرتبة العصمة في القول والعمل ، وزعم أن الرسول نفسه قد أشار إليه ، وأن الله قد اختاره واصطفاه ...!

ولا يسعنا إلّا أن نورد هنا نص الكتاب الذي طلع به المهدي على الناس بهذه الدعاوى ، ليهدي من تأثرتهم ويُسكت من ألسنتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد فن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله ، إعلاماً منه إلى كافة عباد الله المؤمنين بالله وكتابه .

« أما بعد : اعلموا أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق ، المقلد بقلائد الصدق والتصديق ؛ فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش المهديّة ، المشار إليه في الحضرة النبوية ، فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد ، حَمَدَ الله عاقبته في الدارين ، فيحتم ذلك يا أحبابي أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه ، وقد أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فتأدبوا معه كما تدبكم معي ، واسلموا إليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي ، وصدقوه في قوله ولا تنهوه في فعله ، لجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بإذن منا ، لا بمجرد اجتهاد منه ، ولا هو عن هوّى ، بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم ، والقضاء بإشارته ، فإن فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك . واعلموا يقيناً أن قضاء فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » .

« فن كان في صدره حرج لأجل حُكمه ، فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته ، وذلك بشاهد قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً » .

« ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله ، سيما بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفى » الخ الحديث .

« مع أنه خليفة الصديق^(١) وأول المصدقين في المهديّة ، فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم ، وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ، ووازره بالباطن بالخضر عليه السلام ، فهو مسدّد مؤيد من الله ورسوله ، ويدّ من أيدى الله لنصر دينه ، بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في فضله كثير ؛ فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقّه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان .

« واعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب ، لأنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب ؛ ولو كان حكمه على قتل نفس منكم ، أو سلب أموالكم فلا تعترضوا عليه ، فقد حكمه الله فيكم بذلك ليطهركم ويزكيكم من خباثات الدنيا ، لتصفى قلوبكم وتقبلوا إلى ربكم . ومن تكلم في حقّه ولو بالكلام النفسى جزماً ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخمران المبين ، ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله ؛ لأنه خليفة الصديق الذى قال الله فى حقّه : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ، وقال عليه السلام : « ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبى بكر » .

(١) قسم المهدي أصحابه طوائف ، فجعل منهم أربع خلفاء راشدين ، تكلّفوا الرسول الراشدين الأربع ، وجعل التعايشى خليفته الأول ، وأحله محل خليفة الرسول الأول ، أبى بكر الصديق . ومن الطريف ما حدثنا به ابراهيم فوزى ، إذ يقول :

« ودخل عليه (المهدي) مرة شاعر ينظم أشعاراً باللغة العامية يدعى ابن التويم ، وكان يتغالى في مدح المهدي ، حتى أفنى كثير من العلماء بكفره ، وأسروا فتوأمه ، حيث أيقنوا أنهم إن أظهروها ، حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة ، وقال للمهدي : أطلب منك إعطائي مقاماً ، فقال له : أعطيتك مقام حسان بن ثابت رضى الله عنه ، فحقته العبرة وبكى ، وقال : ياسيدي ، إن حسان كان شاعراً مثلى ، ولكنه كان جباناً ، لا يقاتل مع مولاه ، وأنا شجاع ، أخترق صفوف القتال ، وأنا قائد عشيرتي ، فكيف أرضى بمقام حسان ؟ فقال له المهدي : قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد رضى الله عنه على مقام حسان ، فأنت إذاً حائز المقامين ، فاستبشر وقبل يد المهدي ... ومنج أحد الموالى مقام زيد بن حارثة ، وسمى نساءه بأسماء المؤمنين ... » أظن

« السودان بين يدى غردون وكششر » - ١ ص ١٤٦

« وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن ؛ لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المذكور خليفةنا في الدين ، وخلافته بأمر النبي صلى الله عليه وسلم . فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتى ، فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً ، وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر ، فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن ، واعتبروا بأولى الأبصار بقصة موسى والخضر عليهما السلام ، حكاهما الله في كتابه العزيز كحكم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ، لتسلموا من الشكوك والأوهام .

« وإنما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب ؛ لئلا تسبوه وتنسبوا إليه الظلم والجور فتهلكوا ، فاحذروا من أذية أولياء الله ، فإنها أذية الله ورسوله ، وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » كما قال : « من آذى لى ولياً آذنته بالحرب »^(١) فإن الله غيور على أوليائه ؛ فقد علمتم أنه ورد : « من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه » .

« وإن الخليفة هو قادة المسلمين ، وخليفتنا الغائب عفا في جميع أمور الدين ، وإياكم والسوسة في حقه وظن سوء وعدم الامتثال إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد ، فتوبوا إلى الله وارجعوا قبل أن تذهب حسناتكم ، وتسلموا ثواب الإيمان .

« وإنما حملنى على هذا البيان النصيحة في الله ، وحمايتكم من الوقوع في هاوية الأنفس والأمانى ؛ فمن تاب تاب الله عليه ، ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه . وهذا أمر الله ورسوله ؛ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسلام »^(٢) . وهكذا استطاع المهدي أن يجرس الألسنة ، التي كانت قد تناولت خليفة

(١) حديث قدسى .

(٢) « السودان بين يدي غردون وككتشر » لإبراهيم فوزى ، ص ١٦٩

الجاهل بشيء من النقد اللاذع غير قليل ، وإن كانت قد أحفظت عليه القلوب
وملاؤها حقداً وبغضاً .

ابتدأ محمد أحمد في أواسط عام ١٨٨١ ، يُسر بدعوته إلى تلامذته الكثيرين ،
فلاقت ذبوعاً وانتشاراً قام على أثره بسياحة في أنحاء السودان ، يبشر فيها بدعوته
ويبثها سرّاً بين رؤساء القبائل وزعماء العشائر ، وأخذ يوحى إلى الجماهير في منشوراته
أنه مكلف بأداء هذه الرسالة من قبل السماء ، وأن العناية الإلهية قد اصطفته واختارته
وهى تحوطه وترعاه حتى يبلغ الدعوة ، وأن محمداً عليه السلام هو الذى يأتیه بالأخبار
من السماء ويرسم له أمر دعوته وطريق السير فيها . . . !

ونحن نسوق هنا بعض كتبه في هذا الصدد ، يقول المهدى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد
وآله مع التسليم وبعد :

« فمن العبد المقتدر إلى الله محمد المهدى بن عبد الله ، إلى أحبائه فى الله المؤمنين
بالله وبكتابه ، أما بعد :

« فلا يخفى تغير الزمن ، وترك السنن ، ولا يرضى بذلك ذوو الإيمان والفظن ،
بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن ، لإقامة الدين والسنن ، ولا يتوانى عن
ذلك عاقل ؛ لأن غيرة الإسلام المؤمن تجبره .

« ثم أحببى — كما أراد الله فى أرزله وقضائه — تفضّل على عبده الحقير الذليل
بالخلافة الكبرى من الله ورسوله ، وأخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأننى
المهدى المنتظر . . . ! وخلفنى — عليه الصلاة والسلام — بالجلوس على كرسية مراراً ،
بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام . . . ! ، وأيدنى الله تعالى
بالملائكة المقرّبين والأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا . . . ! وكذلك
المؤمنون من الجن ، وفى ساعة الحرب يحضر معهم أمام جيشى سيد الوجود صلى الله

عليه وسلم بذاته الكريمة ، وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام ، وأعطاني سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم ، وأعلمت أنه لا يُنصر علىّ معه أحد ، ولو كان النقلين الإنس والجن . . . !

« ثم أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لي على المهدية علامة وهي الخال على خدى الأيمن ، وكذلك جعل لي علامة أخرى ، تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب ، يحملها عزرائيل عليه السلام ، فينبئت الله بها أصحابي ويُنزل الرب في قلوب أعدائي ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله . . . !

« ثم قال لي صلى الله عليه وسلم إنك مخلوق من نور عنان قلبي . . ! فمن له سعادة ، صدّق بأبي المهدي المنتظر ، ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق ، فلا يصدقون حرصاً على جاههم ؛ قال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه يُنبئان النفاق في القلب كما يُنبئ الماء البقل ، وجاء في الأثر : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم ، وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عنى علماً أسكره حب الدنيا فيصدقك عن طريق محبتي فأولئك قطاع الطريق على عبادي .

« ولما حصل لي يا أحبابي من الله ورسوله ، أمرُ الخلافة الكبرى ، أمرني سيدُ الوجود صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير . وأمرني أن أكتب بها جميع المكلفين أمراً عاماً ، فسكاتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين ، فأنسكر الأشقياء وصدّق الصديقون ، الذين لا يبالون فيما لقوه في الله من المكروه ، وما فاتهم من المحبوب المشتهى ، بل هم ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

« وحيث إن الأمر لله ، والمهدية أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله ، فيجب بذلك التصديق لإرادة الله ، وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه لا يقيّد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفنيين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب ، قال تعالى : « ولا يحيطون بشيء

من علمه إلا بما شاء ، ، « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، « لا يسأل عما يفعل » ، « يخلق ما يشاء ويختار » ، « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

« وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم ، علمُ المهدي كعلم الساعة ، والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله ، وقال الشيخ أحمد بن إدريس : كذبت في المهدي أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله (١) ، ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونه .

« وهذا لا يخفى عليكم أن التأليفات الواردة في المهدي ، منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك ، فيختلف كل منها ، كما علمت من أنه يمحو الله ما يشاء (الآية) ومنها الأحاديث ، فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع ، بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضاً ، كما أن الآيات تنسخها الآيات ، وحقيقة ذلك على ما هي عليه ، لا يعرفها إلا أهلُ المشاهدة والبصائر .

« هذا وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله — كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات — . . . وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدي الخ ، فقد أخبرني به سيدُ الوجود صلى الله عليه وسلم بقطعة في حال الصحة ، وأنا خالٍ من الموانع الشرعية ، لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصف بصفات العقل ، أقفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه ١١

« والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً رسنة ؛ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة ، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونيبه محمد عليهما الصلاة والسلام » ، وإلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

« وإجابة داعي الله واجبة ؛ قال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلى » ، فإذا فهمتم ذلك ، فقد أمرنا جميع المكلفين ، بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل الله ، أو إلى أقرب بلاد منكم ؛ لقوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » فمن تخلف عن ذلك ، دخل في وعيد قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم » الخ ، وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثناقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الخ الآيتين .

« فإذا فهمتم ذلك فهلموا للجهاد في سبيله ، ولا تخافوا من أحد غير الله ؛ لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الإيمان بالله ، والعياذ بالله من ذلك ؛ قال تعالى : « فلا تخشوا الناس واخشوني » وقال تعالى : « والله أحق أن تخشوه » ، لا سيما وقد وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه ؛ قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقال تعالى : « إنا ننصروه فقد نصره الله » ، وحيث إن لم يجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله ، تلزمكم العقوبة عند الله تعالى ، لأنكم أدلة الخلق وأزمتها ، فمن كان مهتماً بإيمانه شقيقاً بدينه حريصاً على أمر ربه ، أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه .

« وليكن معلومكم أني من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأبى حسنى من جهة أبيه وأمه ، وأبى كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسى . . . ! والعلم لله أن لى نسبة إلى الحسين . . . ! وهذا (كذا) للمعانى الحسان ، تسكنى لمن أدركه بالله الإيمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها ، هذا والسلام ^(١) . . . » .

ومهما يكن من شيء ، فقد صادفت دعوة المهدي ذبوعاً ونجاحاً ، كان دون ريب لحاله البلاد السياسية والاقتصادية اليد الكبرى فيه ؛ فقلوب الناس متفتحة ونفوسهم عطشى وآذانهم مرهقة وآمالهم معلقة ، وقد عمهم القحط والجذب والظلم والبلاء ، حتى لم يعد في النفوس الصابرة منزع لمصطبر ، وقد بلغ الحزام الطبيين ، وإننا لنرى بعض شيوخ القبائل يقول للمهدي :

(١) انظر الفصل الخامس عمهدي السودان في كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

« أبايعك على المهديّة ، وإن لم تكن مهدياً . . . ، أبايعك على قتال الحكومة وخلع طاعتها ^(١) » .

والحق أن صاحبنا محمداً كان بالنسبة للسودان مبعوثاً من قبل السماء ، أعاد للسودانيين الإنسانية والكرامة والحرية ، وجنّدهم حرباً على المستعمرين فأعطاهم دروساً قاسية لم ينسوها أبداً ، وإنه ليعدّ دون شك « باعث الحياة » في السودان أو « منقذ السودان » أو إن شئت « مهدي السودان » .

علم محمد الشريف الشيخ السابق لصاحبنا محمد أحمد بهذا الحدث الهائل ، فسارع — تدفعه دون شك أحقادُه على تلميذه العاق — بإبلاغه إلى الحكومة التي كرّثها الأمر فدارت بينها وبين محمد أحمد مكاتبات ، انتهت بإعلان محمد لمهديته وجهره بدعوته عام ١٢٩٨ هـ ، وأرسل إلى أتباعه منشوراً يحثهم فيه على الهجرة إليه يقول فيه :

« جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة (كذا) ومعه الخلفاء الراشدون

والأقطاب والخضر عليه السلام . . . ١١ ، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه وقال لي : أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر . . . ١ ، وأن الترك كفار وهم أشد الناس كفراً ؛ لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، وأخبرني صلى الله عليه وسلم بأن النصر يسير بين يديّ أربعين ميلاً ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون . . . ١ ، وأن الله تعالى أيدني بالأولياء والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام إلى زماننا هذا ، ومؤمني الجن يجاهدون معي ، ولا يهزم لي جيش ، وأن الله ناصرى ومؤيدي على كل من حاربنى من الثقلين ، وأن أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم ، وعامتهم أكبر مقاماً في دار الخلد من الشيخ عبد القادر الجيلاني . . الخ. ^(٢)

ولم يكد يمضي عام ١٨٨٢ حتى كان السودان بركاناً ثائراً وأتوناً مستعراً ، ينادى باسم المهدي محمد أحمد ، وقد جاءه الناس أفواجا يتزاحمون ، يتدافعون بالمنكب يبايعون . وهالك صورة البيعة :

(١) السودان بين يدى غردون واكتشف ١٠ ص ٨٥

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

« بسم الله الرحمن الرحيم .

« الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، أما بعد :
فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وألّا نشرك به أحداً ،
ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نأتى ببهتان ، ولا نعصيك فى معروف . بايعناك على زهد
الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله والدار الآخرة ، وعلى ألّا نفرّ من الجهاد »^(١) .
وهكذا ابتدأ ذلك الصراع الدموى الطويل بين المهدي والحكومة ، كان صاحبنا
يخرج منه دائماً أصلب عوداً وأصعب مكسراً وأكثر نفراً ، بما يحرزه فيه من نصر
مبين ، وقد أخفقت الحكومة فى مقاومته ، وخسرت فى هذا المعترك كثيراً من رجالها .
وبمقتل « هيكس » والقضاء على حملته ، أخلت الحكومة المصرية السودان بمشورة
انجلترا ، وأصدرت بذلك قراراً بتاريخ ٨ يناير عام ١٨٨٤ ، ولم يجد المهدي بعد ذلك
مقاومة تذكر ، ففتح الخرطوم وقتل غردون ودان له السودان بالطاعة ، فدبت فيه
الحياة بعد موت ، وأخصب بعد جذب ، وأورق بعد أن صوّح .

وقد طمع المهدي بعد ذلك فى فتح مصر ، فبعث بإنذارين أحدهما إلى الخديو
توفيق والآخر إلى المصريين ؛ فكتب إلى توفيق يعده ويتوعده ، ويسجل عليه
خضوعه المشين للإنجليز ويمدّ له يده للتعاون على إخراجهم من وادى النيل ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم ، وبعد :

« فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى خديو مصر :

« لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره أن الدين الذى يكون المتمسك
به ناجياً عند الله هو دين الإسلام ، الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
ونزل به القرآن من الملك العلام ؛ قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقال
تعالى : « ومن يتبغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

« وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو الشيطان إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ، ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين الخبيث والطيب ، لا ينبغي له أن يصرفه إلا فيما ينتج خلاصه عند الله ، يوم تزل الأقدام ويشيب الطفل ويشهد الزحام ، وإلا كان أسوأ من البهائم حيث أضاع حكمة تركيب العقل فيه ، ولا سبيل إلى السلامة عند الله إلا اتباع دينه ، وإحياء سنة نبيه وأمينه ، وإماتة ما حدث من البدع والضلال ، والإجابة إليه تعالى في كل الأحوال . وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذى عمّ الفساد فيه سائر البلدان ؛ فإن دسائس أهل الكفر التى أدخلوها على أهل الإسلام ، وضلالاتهم التى مكّنوها من قلوب الأنعام ، قد أفضت إلى اندراس الدين ، وعطلت أحكام الكتاب والسنة بيقين ، فصارت شعائر الإسلام غريبة بين الأنعام ، وتراكت الظلمات ، وانتشرت البدع ، وأبيحت محارم الإسلام ، واشتد الكرب على أهل الإيمان ؛ فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر اتراكم البغى والعدوان .

« فعند ذلك أظهرنى الله طبق الوعد الصادق ؛ رحمة لعباده لأنقذهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، وأدلهم إلى الله على هدى منه وتبيان ، وطوقنى بالخلافة الكبرى المهدية ، وخلع علىّ حللها البهية ، وبشرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على كل من يعادبنى ولو كان الثقلين ، وبأن من يقصدنى بعداوة يخذله الله فى الدارين ، وقلدى سيف النصر ، وأيدنى بقذف الرعب فى قلوب أعدائى ، يسعى أمامى أربعين ميلاً وأخبرنى بأنى أملك جميع الأرض ؛ وبأن من شك فى مهديتى فقد كفر بالله ورسوله . . . ! ونفسه وماله غنيمة للمسلمين ، وبأن الله قد أيدنى بالملائكة الكرام والجن والأولياء أحياء وأمواتاً ، وهكذا من البشارات والعجائب التى يطول شرحها ، وكل ذلك بحضرة الملائكة المقر بين والخلفاء الأربعة والخضر عليه السلام . . !

« وما كنت أترب هذا الأمر لنفسى ولا سألت الله إياه ، بل كنت أسأله أن يجعلنى مُعيناً لمن يقوم به ، فلما أراد الله ما كان ، وحتم الأمر علىّ من سيد

الأكران ، قت بأعباء هذه الحالة ، واعتصمت بالله وتوكلت عليه ، وأخبرت الحكمدارية بأنى المهدي المنتظر ، وقد كان بها محمد رؤوف ، وما تركت لأهلها في إيضاح هذا الأمر شيئاً ، وأنا في انتظار الاختبار ، وتسليم الأمر لله الواحد القهار .
« فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحاً ، وطووا عن قبوله كشحاً ، وبادروني بالحاربة من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني الذي جئتهم به من خير البرية ، فأيدني الله عليهم كما وعدني .

« وهكذا صارت جيوشك تأتيني ثلثة بعد ثلثة ، وأقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم ، والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ، ويقطع دابرهم ، إلى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك ، فسلمت امرأة محمد صلى الله عليه وسلم لأعداء الله الأنكليز ، وأحلت لهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، فجاء الإنكليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله ، فلما سؤل الشيطان لهم إدراك غردونهم بالخرطوم ، وأيست من هداية أهله ، وعلمت أن تكرار الإنذارات لا ينفعهم ، وحققت عليهم كلمة العذاب ، وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » الآية ، عجّل الله بفتحهم وإهلاك من فيه ، وأحرقت النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم إظهاراً للحقيقة وتسجيلاً للعقوبة ، وصدق عليهم قوله تعالى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية .

« ثم أنذرت الإنكليز فلووا رؤوسهم ، فوجهت إليهم طائفة من الأنصار ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هاربين ، بعد أن أهلك منهم من أهلك وشتت شملهم ، وهذا كله ليس بخاف عليك ، ولا زال حزب الله مقتفياً أثر باقيهم ، وعن قريب يحل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر .

« هذا . وإن المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى لجميع مافي الحياة الدنيا من الغايات قيمة ، ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي مآله إلى الزوال وعظيم النكال ، وإنما يكون مطمئح نظره إلى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والإفضال ؛ فإن الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للآخر .

« ومن هنا تعلم أن هذا الملك لم يصل إليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك ، وهو خارج من يدك بمنزل ما صار إليك ، وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك ، إن كنت ترجو من الله نعيم الأبد ، أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ، ولو كان الدنيا بخذا فيرها . فدقق النظر وأجمع عليك فكرك ، وتدارك نفسك ، واسع فيما ينجيك عند ربك إذا تمثلت بين يديه ، وسألك عما جرى منك ، وسلم الأمر إليه تسلم .

« وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله ، وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أفلم تسمع قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئ وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآية ؟ وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الآية ؟

« وما هذه الطاعة لأعداء الله ؟ والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » إلى أن قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » الآية ؟

« فإذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته ، فاعتبر بذلك وبادر إلى النجاة والسلامة المعقبة وهي سلامة الإيمان ، ونزه نفسك عن أن تكون في أسر أعداء الله دائماً ، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، واغسل ما جرى منك بدموع الندم ، ولا تكثرت بجاه الدنيا الفاني ولا بملكها الزائل فإن لله داراً خيراً منها ، وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله ؛ قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » الآية .

« وإياك والركون إلى أقوال علماء السوء الذين أسكرهم حب الجاه والمال ، حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فيهلكوك كما أهلكوا من قبلك ؛ ففي الحديث القدسي : « لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق ، أو أهلك قطاع الطريق على عبادي » ، ولا تغتر بقوة حصن بلدك ، وكثرة أسلحتك وعددك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك ، فإنها لا تغني عنك من الله شيئاً ، وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه ، من هو أشد منك قوة وأكثر جمعاً لما بغوا وعثوا في الأرض مفسدين .

« وليكن في علمك أن أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ، ونور من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤيد من عند الله بجنود ظاهرة وباطنية ، وما قصدنا فيه إلا إحياء الدين ، وإظهار آثار الأنبياء والمرسلين ، ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً ، فإن نور الله بصيرتك وخالفت النفس الأماره بالسوء ، وقبالت هدينا وأنبت إلى الله بنية خالصة ، فعليك أمان الله ورسوله وأماننا ، وما بيننا وبينك إلا الحجة الخالصة لوجه الله تعالى ، ونكون نحن الجميع يداً واحدة على إقامة الدين ، وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم إن لم ينيبوا إلى الله ويسلموا .

« وقد حررت إليك هذا الكتاب ، وأنا بالخرطوم ، شفقةً عليك ، وحرصاً على هدايتك فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين . وها أنا قادم إلى جهتك بجنود الله عن قريب إن شاء الله تعالى ، فإن أمر السودان قد انتهى ، فإن بادرني بالتسليم لأمر المهدي ، والإنابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية ، وأمنت على نفسك ومالك وعرضك ، أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة .

« وهذا إنذار منى إليك ، وفيه الكفاية ، لمن أدركته العنابة ، والسلام على من اتبع الهدى » (١) .

وبعث المهدي إلى أهل مصر يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد :
« فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى كافة سكان مصر حكاماً
وتجاراً وعمداً وغيرهم ، وفقهم الله وهداهم ، ولرشادهم ولآمن . آمين .
« أهدى لكم السلام ، وأعرفكم أن النجاة من عذاب الله إنما تكون للعتمسك
بدينه ، الذى جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيتم ما ناله من الاندراس
الذى لا يخفى ، ولما أن أراد الله إحياءه وإظهار شعائره أنجز موعد نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم فأظهرنى بالخلافة المهدية ، وأمرنى بدعاية الخلائق إلى العمل بالسنة المرضية .
« ومن عهد ظهورى بهذا المظهر الدينى ، ما زالت دولة الترك تجيش جيوشها ،
وترسل رجالها لمحاربتى من غير استناد إلى دليل شرعى ولا حكم مرعى ، بل رغبة
فى ملك الدنيا الفانى ، الذى مآله الحسرة والندامة ، وجلب عذاب الله يوم القيامة ،
وما زال الله يؤيدنى وينصرنى عليهم نصراً من عنده لا بحولى وقوتى ، وقد أهلك
الله جميع عساكرهم الذين بالسودان على يدى ، وأحرقهم بالنار عياناً ، شاهدتهم جميع
من رآهم حين قتاهم الله بسيفى وما ذلك إلا إظهار لكفرهم وتعجيل لعقوبتهم .

« ولا شك أن جميع ذلك قد بلغكم ، وتواتر إليكم من الواردين ، وما زلت عن
الحق معرضين ، وعلى حب حطام الدنيا الخسيس عاكفين ، مع علمكم بأن الله قد ذم
هذه الدنيا فى جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد أكثر من ذمها فيه ، ويكفى
من ذلك قوله تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر

في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » ، وقوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » . ولعظم شأن الآخرة عنده أعدّها لعباده المؤمنين ، وجعل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ، ودعاهم إليها بقوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » الآية .

« وحيث فهمتم خسة هذه الدار الفانية ، وعظم تلك الدار الباقية ، فيلزمكم الإعراض عن هذا الفانى الخسيس ، والمسارة إلى حوز نعيم الأبد النفيس ، ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله ، وتربص الدوائر بحزب الله بالركون إلى محبة نصره أعداء الله ، ومع ذلك فقد سألناكم في جميع ما جرى منكم إن بادرتم إلى إجابة دعوتنا والانتظام في سلك أصحابنا أول وصول كتابنا هذا إليكم ، ولا نقول لكم إلا كما قال يوسف عليه السلام لإخوته : « لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

« وليكن في علمكم أن أمر السودان قد انتهى ، ونحن قادمون على جهتكم بحزب الله قريباً إن شاء الله . وما كاتبكم بهذا الكتاب إلا شفقة عليكم ، وخوفاً من أن يحل بكم من العذاب ما حلّ بإخوانكم الذين خالفوا أمرنا ، وغرهم الأمانى ، واعتمدوا على قوتهم الظاهرية التي أنستهم قدرة الله على كل شيء . فإن شرح الله صدوركم ، وتلقيتهم أمرنا هذا بالقبول ، فأبشروا بخير الدارين ، وعليكم أمان الله ورسوله وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أتم وجميع من يجيب دعوتنا معكم . وإن ضربتم عن مقالنا هذا صفحاً ، فاعلموا أن الله تعالى قادر قاهر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد وعدنى بالنصر وأيدنى بملائكته وجنده وأوليائه ، وأخبرنى بملكى لجميع الأرض ، وبأنه لا يثبت لقتلى إنس ولا جن ، ولا بدّ

بإذن الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقاً في الأرض أو سُلماً في السماء وستعلمون غداً من الكذاب ؟ .

« فيا عباد الله : ارفقوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة أمركم ، ودعوا هذا الإعراض ، والتلاهي بشهوات الدنيا المنقصة بالعلل والأمراض ، وتشوقوا للقاء الله ، فإن الدار آخرة والحياة آخرة . وهذه الدار قد ولّت مدبره ، فاتخذوها معبره .

« ويحكم ويحكم إن لم تتداركوا نفوسكم وتنشلوها من هذا الوجل ، المفضى بكم إلى العطل ، وإياكم أن تعتروا بقوة حصن بلدكم ، فإن الله أقدر من كل قادر ، وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة مَنْ هو أشد منكم قوة وأكثراً جمعاً فاعتبروا بهم ، وبما فعله الله بهم ، لما بغوا وعثوا في الأرض مفسدين ، فالله الله عباد الله ، هلمّوا إلى النجاح والفلاح ، قبل قصّ الجفاح .

« وهذا ما حبّرتّه إليكم وأنذرتكم به ، ولاداعي إلى التّطويل ، فإن الهداية من الله الجليل ، أسأل الله أن يلمكم رشادكم ، ويأخذ بنواصيكم إلى طريق سدادكم ، هذا والسلام^(١) . »

بيد أن صاحبنا المهدي محمد أحمد لم يعمر طويلاً ليحقق ما كان يصبو إليه ، ولقد حاول خلفه التّعايشي تحقيق بعض هذه الأهداف ، فأغار بدرأوشه على حدود مصر ، واسكنه هُزم فقفل راجعاً .

وقد خرج محمد أحمد المهدي في تعاليمه الدينية على ما قاله الفقهاء ، وكان له تشريع خاص به من اجتهاده ووضعه ، يطبقه بمنتهى الشدة والصرامة ، وقد أثار خروجه على المذاهب الفقهية المعروفة في الإسلام سخط بعض العلماء ، فقابله أحدهم وقال له : « معلوم أن المذاهب هي أربعة : الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ، فما هو مذهب المهدي ؟ فقال له : هؤلاء الأئمة جزأهم الله فقد درّجوا الناس ووصلوهم

إلينا ، كمثل الراوية وصلت الماء من منهل إلى منهل ، حتى وصلت صاحبها للبحر فجزاهم الله خيراً ، فهم رجال ونحن رجال ، ولو أدركونا لاتبعونا ، وإن مذهبنا هو الكتاب والسنة والتوكل على الله ، وقد طرحننا العمل بالمذاهب ورأى المشايخ .. » . وهكذا « أعلن المهدي إبطال تقليد الأئمة الأربعة وقال إنه مجتهد ، وأخذ يكتب المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات ، وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة^(١) » .

ومن تعاليم المهدي هذه التي كان يبسطها للناس ما تضمنه هذا المنشور الذي أذاعه من الأبيض عام ١٣٠١ هـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد :
« فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إعلاماً منه ، إلى كافة المشايخ
في الدين ، والأمراء والنواب والمقاديم أتباع المذكورين :

« يا عباد الله : اسمعوا ما أقول لكم ، وكونوا على بصيرة ، واحمدوا ربكم واشكروه على النعمة التي خصكم بها ، وهى ظهورنا فهو شرف لكم على سائر الأمم .
« ولكن المطلوب منكم يا أحبائنا المهاجرة في سبيل الله ، والجاهدة في سبيل الله ، والزهد في الدنيا ، وكل ما فيها فإلى البوار ، ولو كانت لها بال لكان ربكم يحليها . وانظروا في أهلها الذين كانت في كل ما يطلبوه (كذا) ، وصارت لهم — بعد ما كانت عسلاً — حنظلًا ومُسمًا ، وصاروا في غاية العذاب والهلاك وشدة التعب والمشقة ، ولو كان فيها خير لما صاروا هكذا ، وبعد ذلك فلهم العذاب الشديد .

« فإن عجبكم هذا فافعلوا ، وإلا فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وجاهدوا في سبيل الله ؛ فلهزة سيف مسلم في سبيل الله أفضل من عبادة سبعين سنة ، ووقفه

(١) السودان بين يدى غردون وكثشت ج ١ ص ٩٢ وما بعدها .

في الجهاد على قدر فواق ناقة (يعنى حلبة ناقة) أفضل من عبادة سبعين سنة .
« وعلى النساء الجهاد في سبيل الله ، فن صارت قاعدة وانقطع منها أرب الرجال
فلتجاهد بيديها ورجليها ، والشبابة فليجاهدن نفوسهن ، ويسكنن بيوتهن ،
ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ولا يخرجن إلا لحاجة سريعة ، ولا يتكلمن
كلاماً جهراً ، ولا يُسمعن الرجال أصواتهن إلا من وراء الحجاب ، ويقمن الصلاة ،
ويطعن أزواجهن ، ويسترن بثيابهن ؛ فن قعدت كاشفة ، فاتحة رأسها ولو لحظة
عين ، فتؤدب وتضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن تكلمت بفاحشة فعليها
ثمانون سوطاً .

« ومن قال لأخيه : يا كلب ، أو يا خنزير ، أو يا يهودى ، أو يا
أو يا فيضرب ثمانين سوطاً ويُحبس سبعة أيام .
« ومن قال : يا فاجر ، أو يا سارق ، أو يا . . . ، أو يا خائن ، أو يا ملعون
فعليه ثمانون سوطاً ، أو يا كافر ، أو يا نصراني ، أو يا . . . فعليه ثمانون سوطاً ،
ويُحبس سبعة أيام .

« ومن تكلم مع أجنبية وليس بعاقده عليها ، ولا لأمر شرعى يجوز ذلك
الكلام فيضرب سبعة وعشرين سوطاً ، ومن حلف بطلاق أو حرام يؤدب
سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الدخان يؤدب ثمانين ويحرق الثنباك إن كان عنده ، وكذلك
من خزنها في فيه ، ومن علمها بأنفه ، ومن أبقاها فيه يؤدب مثل ذلك ، ومن باعها
واشترأها ولم يستعملها يؤدب سبعة وعشرين سوطاً .

« ومن شرب الخمر ولومصة إبرة فيؤدب ثمانين سوطاً ويُحبس سبعة أيام ،
وجاره إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين سوطاً
ويُحبس سبعة أيام ، ومن ساعد شارب الخمر بشربة ماء أو إناء فيؤدب كذلك
ويُحبس ، ويجاهد نفسه في طاعة الله حقيقة أشد من الجهاد بالأرماح ؛ لأن النفس

أشد من الكافر مقاتلة ؛ فالكافر تقاتله وتقتله وتكون لك الراحة منه ،
وهي عدوة في صورة حبيب فقتلها صعب ، ومسلكتها تعب .

« ومن ترك الصلاة عمداً فهو عاصي الله ورسوله ؛ قيل : كافر ، وقيل :
يُقتل . وجارهُ إن لم يقدر عليه يكلم أمير البلد ، وإن لم يكلمه فيضرب ثمانين
سوطاً ويحبس سبعة أيام ، وقيل : أموالهم غنيمة .

« و بنتُ خمس سنين إن لم يسترها أهلها فيضربون من غير حبس ، ومن علم
بأمةٍ معها زوجٌ بغير عقد وصبر يوماً ؛ قيل : يُقتل ، وقيل : يُحبس وماله غنيمة .
« واعلموا أيها الأحباب أن خلافتكم وإمارتكم ونيابتكم عنّا في الأحكام
والقضايا لأجل أن تشفقوا على الخلق وتزهدوا في الدنيا لتركوها ، وترغبوا
في الآخرة ليرغبوها ويطلبوها ، وتعلموا عداوة نفوسهم ليحذروا منها ، وتنصفوا
من أنفسكم إذا ادعوا عليكم فيها ، فما أشكل عليكم فأمرؤهم فيه بالصبر لغاية
طلب الأمراء وجمعهم عندنا ، ويصير تخييرهم بحسب الحكم فيه من الله ورسوله ،
واعلموا يقيناً أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وكونوا عباد الله مع
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

« واعلموا أيها الأحباب أن القضايا التي كانت من اثني عشر رجب الماضي
عام ١٣٠٠ ببقة « ماسة » ، قد صار رفعها مطلقاً ما عدا الأمانة والدين ومال
اليتيم ، وأما التي بعد الاثني عشر رجب الماضي وقبل الفتوح ، تسمع فيه الدعاوى .
« وأما قتل النفس ففيه تفصيل في كونه مُحَيَّر (كذا) وليّ المقتول في أخذ
الدية أو القصاص ، وأما بعد الفتوح بالنسبة إلى العهد فيتعين فيه القصاص لا غير .
« فاعلموا بذلك طبق المنشور ، وكذلك مال الخلع ؛ عموماً من الأزواج
بعد الدخول بهن والاستمتاع بهن والاستيلاء عليهن ، فلا يصح أخذه منهن ،
فاحكموا فيه بالحكم الذي فصله الله تعالى في القرآن العظيم .

« واعلموا يا أحبائي ولا تخافوا ، وامثلوا الأمر وكونوا سامعين طائعين
لأمرى ، ولا تغيروا ولا تكفروا النعمة التي من الله عليكم بها فقيدها بالشكر .

« وتزوّج الغنية بعشرة ريال مجيدى أو أنقص ، والعزبة بخمسة ريال مجيدى أو أنقص ، ومن خالف هذا فعليه الأدب بالضرب والحبس فى السجن حتى يثوب أو يموت فى سجنه ، ومقطوع من أهل زمرتنا ، ونحن بريئون منه ، وهو برىء منا ، والسلام ^(١) » .

وقد ركّز هذا الداعية مذهبه وتعاليمه فى منشور كبير ، يعتبر بين أتباعه إنجيلاً للدعوة ودستوراً لها ، ولا يسعنا إلا أن نورد به نصه لقيّمته وخطورته ، يقول المهدي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد :

« فمن عبد ربه محمد المهدي ابن السيد عبد الله ، إلى كافة الأحباب فى الله :
« أيها الأحباب ، إن الأمر كله لله وإليه المرجع والمآب ، وإن النبى صلى الله عليه وسلم لما أجلسنى على كرسى المهديّة ، قد أمرنى بجهاد الترك ، وقال لى إن الترك كافرون بل هم أشد الناس كفرًا ونفاقًا ؛ لقوله تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » ، وأنهم يسمعون فى إطفاء نور الله تعالى ؛ لقوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله » بإهانة السنّة النبوية واستضعاف الإسلام ، وقد أظهروا كتبًا يريدون بها طفى نور الله تعالى ، ويسمونها كتب القانون مع شتم الإسلام وقهره .
« أما ترونهم يسحبونكم فى الحديد والسلاسل لأجل أخذ أموالكم ، لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ، ويحملونكم المشاق القوية ؟ لا تتركونهم حتى يسلوكم الأسلحة والأموال ، فإن فعلوا ذلك فلا تسترقوا أولادهم ونساءهم ، بل أقرّوهم على حالهم ، وهم إخوانكم فى الدين ، وأحسنوا إليهم .

« وإن العمل كله للنية فى الجهاد فى سبيل الله ، كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر ؛ قال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » عوضاً عنها إذا قتلوا أو قاتلوا ؛ قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان ، ٢ ص ٢٨٥ الطبعة الثانية .

« وقال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : من أنكر مهديتك فقد كفر . ١
وإن أرواح الترك اشتكت إلى وقالوا يا إلهنا (٢) وخالفنا ، إن الإمام المهدي قتلنا من
غير إنذار ، فقلت يا إلهى أنذرتهم وخالفوني وصالوا على ، وسيد الوجود شاهد علينا ،
وقال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ذنبكم عليكم وأنكم خالفتم وصلتم فقتلتم . . . ١
« وإنى عبد مأمور بإظهار الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيم ، وقد أمرنى
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من خالفنى عدّ كافراً . . . ١ وأن الله قد غفر
ذنب من اتبعنى وقوّانى ، وقد أمرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن زواج
السيب بخمسة ، والبكر بعشرة ريات تخفيفاً لأمته ، ومن نقص الصداق عن ذلك
فهو أقرب إلى من يياض العين إلى سوادها وإياكم والزيات .

« فامنعوا نساءكم عن النوح والتسليم وذبح الأموال سرفاً ، وأما كيفية الخافرين
والحاملين للنفس ، فلا بد من ماله ، إن كان له مال ، وإلا فن بيت مال المسلمين .
فن بكت أو سودت الباب أو ناحت أو حدثت على غير زوجها ، فتؤدب حتى
تظهر توبتها ، بالضرب والسخط بما يناسب لها .

« ونهيتم عن التنبك الخبيث ، فن شربه منكم فليؤدب حتى يموت أو يتوب
« وإن الجهاد فرض ، فن تخلف عنه فهو عاص الله ورسوله ، ولا تقبل صلاته
ولا صومه ولا صدقته ، بل أمره كله هدر ، فن تركه من غير عذر باين ، فحكه
كذلك ، أطعموا طعامكم المجاهدين ، فن لم يأخذ البيعة من الأمراء أصحاب الرايات ،
الذين يخرجون من عندنا لأجل الجهاد ، فهو منافق ملعون .

« فأما العالم التابع لى فى مهديتى ، فهو كالنبي المرسل . . . ١ ، والعامى التابع لى
كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى . . . ١ ، والعالم الخالف لى كفرعون ، والعامى
الخالف لى كهامان . . . ١

« ومن علامة مهديتى أن النار تخرج من ثقب السلاح ، أى يخرج دخاناً . . . ١
وأن الله قوّانى بالملائكة الكرام ، وعزرائيل حامل لواء نصرتى ، وأن الخضر
وسيد الوجود والأولياء ، من عهدنا بينا آدم إلى هنا ، معى . . . ١ ومؤمن الجن كذلك معى .

« وقد أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا الأحراز ساعة الملاقاة ، كون الجان تنفر منه (؟) ، وأمرني بأن أتوكل على الله ، كيف يهتم العبد بالرزق حيث ضمن الله رزقه ؟ لقوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » وقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » ، كيف يرتقى العبد من الأمراض ؟ كونه هو الفاعل ، والتوكل أولى ، وكيف يصح للعبد أن يسوء في بساط الخيرات ؟ لأن الفاعل يفعل والمفعول يدفع ؛ لقوله تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

« ومن سرق منكم سرقة ، قلّ أو كثر ، فاقطعوا يده ، لأنه يوم القيامة يقوم بلا يد ويتخبط كما يتخبط العبد في الدنيا بمس الشيطان ، لا بارك الله في وليّ تركه أو أمير استعان به .

« وكذلك الزانى ، يُرجم إذا كان محصناً ، ويُجلد البكر ، وأما المرأة فإذا دخلت بالأجنبي ، الذى يخشى عليها منه ، فيؤدبان بالاجتهاد ؛ لأن الشاب والشابة إذا تلاقيا ، يكون الشيطان دليلهما ، فلا بأس بمقاضاة الحاجات بحضرة واسطة من الناس .

« ومن ترك الصلاة أو تهاون بها ، قتل حدّاً في ضرورية ، وأما من تعدّى منكم على أخيه ببسط لسانه في عرضه أو ماله ، فهو ليس منى وأنا لست منه ، وإن ادّعىتم أنكم أتباعى ولم تفعلوا فعلى ، فإنكم منافقون ؛ لقوله تعالى : « يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، فإذا لم تحابوا كالأخوين من الأيوين فليس أنتم أتباعى .

« ومن ستر على سرقة رأها ، أو شرب خمر ، أو زنى ، فكتمه رافة عليهم ، فهو كالفاعل ، ومن تخلف عن الجهاد ، بصحة جسم ، لا بارك الله فيه ، وإذا أخذتم ذنب الأبقار والأغنام والإبل والزرع وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم .

« أتركوا الترفهات وفرأوى الريف ؛ لأن موت النفوس حياتها ، والبسوا الجلب المرقعات ، ولبسوا نساءكم الثياب الخلقة ، وإن أمرى مبهم ، لا يعرفه إلا أصحاب الحضرة ، الذين يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « ويخلق ما لا تعلمون » .

« أما ترون الترك ، لهم الأسلحة النارية والقوة العديدة ، قد هلكوا وأورثكم الله أرضهم وديارهم ، هذا حصل لهم بمعية الله ، كذلك إذا عصيتم الله يحصل لكم مثلهم ؛ لقوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وأفضل الخلق من اتقاه بمأموراته ونهى نفسه عن منهياته ، وإن الشخص إذا أخذ البيعة وعاد إلى فعله الخبيث ، فهو كالمرتد .

« ويقول الإنسان إذا الليل أظلم بجناحه : الله القادر المقدر القاهر على كل جبار عنيد ، ناصر الحق حيث كان به الحول والقوة ، إن هي إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشأى هذا إليك ، لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفرلى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ومن قال هذا الدعاء صباحاً ومساءً إحدى وأربعين مرة فهو معى ومع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وإن عمله كعمل أهل السماوات والأرض . . . ١

« ولا تجاوروا من ترك الجهاد ، أو فعل منكراً من المنكرات المنهية كتاباً وسنة فاستعينوا عليه ، فخذوا نفسه وماله غنيمة للمسلمين المجاهدين إن استحل ذلك ، وإلا فيؤدب ، ولا تمنعوا الأراضى ، لأنها لا تملك بل هي محوزة لبيت مال المسلمين ، وأما المجاهد فإن استضافكم فأضيفوه ، وإن استغاث بكم فأعينوه .

« وأما أرباب الجاه الذين اتخذتمهم أولياء ، إن نهوكم عن متابعتنا ، فإنهم كافرون ، لا تسمعوا لهم قولاً ، لأنهم ضالون مضلون ، بل هم أشد أهل النار ، وعملهم كعمل الذين قال فيهم ربنا : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » .

« وقال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : إن السعيد من اتبعك والشقي من خالفك .. وإني عبد ضعيف ، ليس لى طاقة على قوام أدنى شىء ، فضلاً عن ذلك الملك الجائر ، الذى غير السنة النبوية والكتب الأزلية ، وإني على بصيرة من الله وإعانة من

رسوله ، ومعنى سيف النصر ، لا ينفع الشريف شرفه ، ولا العالم علمه ، ولا الوالى ولايته ، إلاّ باتباعى . . . ! والخير كله فى تسليمه الأمر . . .

« أيها الأحباب إني محمد بن عبد الله ، وأبى حسنى من جهة أبيه وأمه ، وأبى عباسية من جهة أبيها وأمتها ، حينئذ لا شك أنى من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . وأنى ولدت فى بحر النيل ، وهاجرت إلى ماسة ، فى أقصى الغرب ، بلبق جبل يقال له قدیر ، لأبى موعود به ، فلا تلبسوا على أنفسكم بقول : ظهرنا فى المشرق ، المعنى : أننا نظهر بالمشرق ويملاً الله لنا البلدان عدلاً ، كما ملئت جوراً ، ويدر الله لنا الأرزاق درّاً ، ويفيض الماء فيضاً ، وتتأنس الذياب (يعنى بها السباع الضارية) فى الأنعام ، ويأمن كل مؤمن من سم الحية ، وهذا كله بعد وصولنا لبيت الله الحرام والبيعة الثانية هى الكبرى ، وتسمى بيعة الفوز والرضوان .

« اللهم اجعلنا وإخواننا المؤمنين على التقوى لقوله تعالى : « إن المتقين فى جنات وعيون » وقوله تعالى : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون » وقال تعالى : « واتقونى يا أولى الألباب » وقال تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » وقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، والتقوى المذكورة لا توجد غاية إلا بالجهاد فى سبيل الله ، والعمل بالكتاب والسنة رأس المال والجهاد ثمنه ، ويجب على المجاهدين أتباعنا الذين يلهجون بالذكر فى جلّ أحوالهم بالتهليل والتسبيح والتكبير ، وإن أصحابى كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قاله لى بلفظه الشريف : إن أصحابك كأصحابى . . . ! ! ، فلما كان كذلك ينبغى لنا أن نفتقئ أثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم ربنا : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون » ، وكن كذلك واحمل نفسك ودسها تحت أقدامك لعل الله يعاوك .

« أيها الأحباب قد أمرتكم أن من ترك منكم عقيقة ابنه فليدعها ؛ لأن الروح

تشكى الى وتقول والدى لم يدعى ، فأعطى اسماً أدعى به ، فيقول الله لها سمى نفسك بنفسك ، وكذلك من لم يسمه أبوه فليسم نفسه ، ولو بعيد الشيب والهزم ، فياحسرة أب لم يسم ابنه .

« وكذلك تجب إعادة الزكاة لمرطها ، والصوم والكفارة ، فتفحصوا عن الذنوب ، وإذا ضعف المجاهدون عن الجهاد ، أعينهم أيها القاعدون أولو الضر بثلك مالكم ، واتقوا نفوسكم بمالكم ولا تحزنوها ، فيها لكم ضرر وسوء حظ .

« وحكم النساء أن المرأة الناشئة لزوجها ، احبسوها في الأوكار والبيوت المظلمة ، حتى ترجع أو يتوفاها الله تعالى كالزانية ، فمن ثبطت نفسها عن زوجها ، فالحاق غنيمة لزوجها ، وإن راضاها ، فإله غنيمة للمسلمين ، فإن فعلوا ذلك ، فلا تعودوم إن مرضوا ولا تشيعوا جفاً نرهم ولا تعينوم عند الشدائد .

« ولا يجهل في مهديتي إلا شقى محروم الحظ وعادم الخير والإحسان ، واعلموا أن الوقت قد أزف ، وربما قام كالشمس تكون في أوكار غروبها ، وتجنبوا عن النساء والملذات العديدة التي تورث صاحبها الكبر والبطر ، وجاهدوا في حق الله حق جهاده ، أيها الأحباب الناظرون لرضوان الله الواحد القهار وناصحو المؤمنين .

« وحب لأخيك المؤمن ، كما تحب لأخيك من أبويك ، وقدم حب أخيك المؤمن على نفسك ، وذلك الوقت تكون صاحبتنا ، فإن لم تكن كذلك ، بل أنت مغرور ، وقد حرّم الله عليك سيد الوجود .

« وأموال الغنيمة وإن قلت كبايرة ، فإنه لا يدخل الجنة إلا من أخذها بقسمة أو شراء أو استحق شيء (كذا) من بيت مال المسلمين ، فإن من سرق منها ، لا يقبل عمله حتى يردّها أو قيمتها ، فمن أعان مجاهداً بلقمة أو درهماً أو إناء شرب أو آلة حرب ، فكان يوم القيامة تحت ظل العرش ، ومن ناصح مجاهداً فكأنما ناصح محمداً صلى الله عليه وسلم وأمن في الجنة .

« ليتعلم بعضكم من بعض ، وليتأدب بعضهم لبعض ، وليكسر طرفه لأخيه

الجهاد ، وألا يعلو عليه ، وأن يساويه في الفراش والأكل ، إلا الضرر البين ، وإن
الأمراء والعاميين ، فكلهم على حدٍ سوى ، إلا في الأمر والنهي ، فليحبوهم ،
ولا يتفاضلون (كذا) عليهم في المركب والملبس والأكل ، فمن فعل ذلك فهو
مردود منّا ، وقال الله في الغنيمة المتقدمة : « وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل
يأت بما غلّ يوم القيامة » فهذا العتاب — عدم نهب الغنيمة — للنبي وغيره
« فمن جاهد خوفاً على ماله أو عياله وجأه ، فهو مخشور عند الله ، كالصدقة تخرج
الفاس (١) .

« أيها الأحباب كونوا ربانيين وفوضوا أمركم إلى الله ، فإن النصر لكم ،
وإن القتل الذي ترونه ، امتحاناً (كذا) لكم ، وليس يريد به تضعيف المسلمين ،
وإن الله مع المؤمنين والسلام (٢) » .

وقد كتب المهدي إلى « يوسف الشلالى (٣) » رسالة يدافع فيها عن مهادته ،
قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله المنتقم القهار ، والصلاة على سيدنا محمد وآله الأخيار مع السلام وبعد :
« فن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن السيد عبد الله ، إلى يوسف حسن
الشلالى ، ومن معه من الجموع :

« وصل إلينا كتابك ، وصار معلوماً لدينا وقوفكم على الإنذار ، ومجاهرتكم
بالإنكار ، وكان قصدنا أن نضرب عن إفادتكم صفحاً ، ونطوى دون إجابتكم
كشحا ، ولكن أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع .

(١) أنظر الفصل الخامس بالمهدي في كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

(٢) يوسف حسن الشلالى أحد القواد الذين أرسلتهم الحكومة لقتال المهدي عام ١٢٩٩ هـ ،
وكان جاهلاً بالفنون العسكرية جهلاً بالقراءة والكتابة ، وقد أرسل يوسف هذا رسالة المهدي
يدعوه فيها إلى الطاعة ويحذره من العصيان ، فرد عليه المهدي بخطابه هذا الذى أوردناه ، وكان
نصيب حملة الشلالى الهزيمة والخذلان

« أما قولك : إن إرسال الطلائع ينافي دعوى المهديّة ؛ لأن علم الغيب ضروري لها ، فنقول لك : هذا جهلٌ منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني وبلال والزبير بن العوام ، فلم يكن ذلك منافياً لرسالته صلى الله عليه وسلم فكيف يكون منافياً لمهديتنا ؟

« وقتلتم : إننا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً . فهذا كذبٌ صريح لأننا لم نقتل إلا أهل جبل الجراة بعد أن كذبونا وحاربونا . وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بأن كل من شك في مهديتي كافر ... ، ودمه مهدور ، وماله وأولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقي منهم لحكمنا ، ردنا عليهم أموالهم من أيدي أصحابنا مع أنها حلال لهم .

« وقتلتم : إننا قتلنا العساكر غدرًا في الوقتين « آبا » و « راشد بك » وهو قول باطل ؛ لأننا ما بدأناهم بالقتال ، بل هم الذين بدؤونا بالقتال ، ولما اجتمعت أرواحهم في الدار الآخرة شكوني إلى الله عز وجل ، وقالوا : يا ربنا إن المهدي قتلنا بغير إنداز ، فقلت : يا ربّي أنذرتهم فلم يسمعو لي ، واتبعوا ساداتهم وعلماءهم ، وشهد على صحة قولي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن المهدي أنذركم فلم تسمعوا له ، واتبعتم ساداتكم وعلماءكم فأضلوكم السبيل ، وأمرهم فسيقوا إلى جهنم ... !

« وقتلتم : إن هؤلاء العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا ، بل ليقفوا على ما عندنا من الأدلة ، وهو باطل أيضاً ؛ لأن الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الأغبياء وأعطتهم السلاح الفارسي ، بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن .

« وقولكم : قوموا وتوجهوا إلى مكة المكرمة محلّ المهديّة فنقول لكم : اعلموا أن توجهنا إليها يكون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره الله ، فإنني عبدٌ مأمور وقد أجالسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي : أنت المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي : إن الترك كفار وهم أشد الناس كفرًا ،

لأنهم ساعون في إطفاء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .
« وقلتم : اطلبوا من الله إظهار كرامة تدل على مهديتكم ، فاعلموا أننا لا نطلب ذلك لقوله تعالى : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، ومع ذلك فقد أظهر الله كرامة لمهديتنا ؛ حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الأشجار وبيض الدجاج ... ١ . ونحن لا نطلب من الله إظهار كرامة لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا ، فإن أظهر لنا كرامات كانت بمشيئته والحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها .

« وقلتم : ما اتبعنا غير الجهلاء وأراذل البقارة ، فاعلم أن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا كذلك ، وقد قال تعالى حاكياً عن قوم نوح : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا » الآية . ولا بد أن يجعلك الله ومن معك غنيمة للبقارة .
« وقلت : لا تغتر بإسماعيل الأمين ، ونواي ، فاعلم أنني منصور على كل من ناوأني من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحضر بذاته الكريمة أمام جيشي .. ١ وأن عزرائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء أمام جيشي .
« وقلتم : إن أفندينا وليّ النعم أمركم بعدم محاربتنا حتى تتعدى الحدود ، وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول ؛ لأننا تعدينا حدودكم ، وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم « باباً » وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطعان ، والسيف والسمان ، والسلام على من اتبع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، ولعنة الله على من كذب وتولى^(١) » .

و بعد سقوط الخرطوم انتقل المهدي إلى أمّ درمان ، وجعلها عاصمة ملكه ومقر حكومته ودانت له البلاد والعباد ، وبدأ السودان به صفحة جديدة من تاريخه .
وكان المهدي طويل القامة عريض المنكبين ، أفتى الأنف عريض الجبهة واسع العينين أسودها حاد البصر ، خفيف اللحية أسودها ، وعلى خديّه آثار الأخاديد

(١) السودان بين يدي غردون وكنتشن لإبراهيم فوزي ج ١ ص ٨٦ وما بعدها

العرضية الثلاثة من كل جانب كسائر الدناقلة أبناء قبيلته ، وكان أسمر اللون قائمه ، قوى البنية مفتول الساعدين ، وفي أول قيامه بدعوته كان رجع القامة ، فأصبح في أواخر أيامه سميناً ضخم الجثة عظيم الهامة ، أسنانه كاللؤلؤ لا ينفك مبتسماً فتظهر بين فكه الأعلى فليحة تشبه الثمانية (٨) ، وهى عند السودانيين وبعض الشرقيين من علامات السعد ويقال لصاحبها أفليج ، وكان يلبس جبة بيضاء قصيرة تراها دائماً نظيفة مطيبة برائحة خشب الصندل والمسك وعطر الورد ، وكان مشهوراً بين أتباعه بهذه الرائحة ، حتى نسبوها إليه فسموها « رائحة المهدي » ، وذكر بعضهم خالاً كان في خذه ذكر هو أنه من علامات المهدي . . .

ولم يمتد بعد هذا بصاحبنا الأجل ، ففي ليلة الأربعاء ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هـ ، أصيب بحمى التيفوس وذاع خبر مرضه بين الناس فلم يكثرثوا به ؛ لأنهم واثقون بما كان يعدم به من أن المنيّة لا تدركه قبل أن يفتح مصر والشام والكوفة والحجاز .

وفي صبيحة يوم الجمعة عندما أحسّ بديب الموت يسرى في عروقه ، استخلف من بعده صاحبه عبد الله التمايشي ، وأمره أن يخلفه في صلاة الجمعة ، فقيل له : إن الخليفة عبد الله أمي لا يعرف الكتابة والقراءة فكيف يخاطب الناس ؟ فقال لهم : ادفعوا له ورقة الخطبة ومروه فليقرأ منها كلمتين أو كلمة ، فدفعوا له الورقة وخطب الناس وصلى بهم ، وهم في غاية العجب من جهله بالقراءة وتحريفه لألفاظ القرآن . . .

وفي يوم الأحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي ، فكان يرفع صوته مستغيثاً قائلاً : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » ، وكان يتجرد من ملابسه ويأمر بالماء البارد فيهرق على بدنه وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ هـ فاضت روحه ، وهو محاط بخلفائه ونسائه وبعض ذوى قرابته ، ثم احتفروا قبراً في نفس الغرفة التي مات فيها ، وقالوا إنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفن حيث قبض ، كما دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض .

وقد رثاه جماعة من أتباعه السودانين الأدباء نظماً ونثراً ، ومنهم الأديب إبراهيم شريف الدولابى الكردفانى ، الذى رثاه بقصيدة ضافية قال فيها^(١) :

كيف التثامُ فؤادىَ المفطورِ	ورقودُ دمع محاجرىَ المفجورِ
أم كيف ينفكُ الضنا عن مهجةٍ	أحشاؤها تصلى على تنورِ
أسفٌ على المهديّ من مهد الصبا	قد كان معصوماً عن المحذورِ
لا زال فى كنف العناية يغتدى	بدقائق التبصير والتنبؤِ
حتى انتهى لمقامه الأعلى الذى	عنه النهى فى حيرة وقصورِ
وأفامه المختارُ عنه خليفةٌ	خلعتُ عليه ملابساً من نورِ
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهداً	بالسيف والإنذار والتبشيرِ
فتح الفتحَ ودنّى الكفار فى	كلّ البلاد بجيشه المنصورِ
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً	سورَ الرضى أعظمَ به من سورِ
ومن انتهى لسواه أمسى حائراً	ضلّ الطريق بليلةٍ ديجورِ
هو جمع البحرين بحرٍ شريعةٍ	طامٍ وبحرٍ حقيقة مسجورِ
سرُّ الوجود وترجمان الحضرة الـ	عليها ومظهر غيبتها المستورِ
والله أكرمهُ بطيب تحيةٍ	يخذو بها موسى كلّم الطورِ
وتفويض بالجوّد الكثير يمينه	أبدأً بلا منّ ولا تكديرِ
لا يبتغى جاهاً ولا مالاً ولا	عزّاً الملوك ولا ارتباع الدورِ
لما أبان لنا السبيل ولم يدع	إيضاحَ منهىٍ ولا مأمورِ
والدين عزّاً وأهلُه بلغوا المنى	وتقلبوا فى نعمهٍ وحبورِ
تاقت إلى الذات العلية روحه	وسعت لمقصده صدقها المذخورِ
فضى وأودع كلّ قلب حسرةٍ	وحشا الحشا ببلابلٍ وسعيرِ
تبكى المساجد والحارب فقدّه	ومواطنُ الأذكار والتذكيرِ

(١) ارجع إلى كتاب نعوم شقير « تاريخ السودان القديم والحديث »

يا طيبَ أرضٍ ضمَّ جسمَكَ ترَبُّها تَزرى بِعَرَفِ المسك والكافور
يا آلَ بيتِ المصطفى صبراً وإنَّ جِلَّ المصاب وعزَّ عن نصيبِ
صَلَّى الإله على ضريحِ ضَمَّةٍ أزكى صِلاَةٍ في المسا وبكور
وبعد وفاته سرعان ما بويع التعايشي ولُقِّبَ بخليفة المهدي ، غير أن دولته لم تدم
طويلاً ؛ فقد عصفت بها الجنود المصرية والإنجليزية بقيادة « كتنشر » الذي دخل
أمَّ درمان ظافراً في ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ ، ففرَّ منها التعايشي واستمر مخفياً إلى أن
قُتِلَ في موقعة بتاريخ ٢٤ نوفمبر عام ١٨٩٩ ، وانقرضت حكومة الدراويش
من السودان ودالت دولة المهدي ، ولم ينس « كتنشر » — وهو الرجل المتحضر —
أن ينسف قبره وينبش قبره في بربرية وهمجية فيبعثر عظامه ، ويبعث بجمجمته
إلى المتحف البريطاني بلندن انتقاماً لمقتل غردون .

هذا ولا يسعنا في ختام حديثنا عن المهدي إلا أن نشيد بالأعمال العظيمة التي
قام بها من أجل السودان ؛ في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ،
حتى ليعدَّ محمد أحمد — بحق — خير من ادَّعى المهدي ؛ فلقد كان الرجل حريصاً
كل الحرص على تحرير بلاده من نير الاستعمار ، كما كان حريصاً على رفع مستواها
الاقتصادي والخلقي وبناء مجتمع إسلامي صالح في السودان ، قائم إلى حد كبير على
التعاليم التي أقامت المجتمع الإسلامي الأول ، ولقد وفق الرجل في كل ذلك توفيقاً كبيراً .
وإننا لندرجو للسودان اليوم أن يذكر هذه الأجداد ، التي تنادي أبناءه من وراء
حجب الغيب ليدفعوا بالمستعمرين بعيداً عن البلاد ، ويعيدوا للسودان مجده وكرامته ،
ويعيشوا مع إخوانهم — في مصر — يداً واحدة متحابين متحدين على ضفاف النيل
الخالد ، الذي وحَّدهم وجمع بينهم وألف بين قلوبهم ، وجرى في عروقهم منذ القدم
حياةً ودماً .

البابية والبائية

النسب في فارس :

ظهر التشيع في فارس متأخراً عنه في العراق والشام ، وهو يكاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيام دولة بنى العباس ، وإن وُجدت هناك بذور قديمة ترجع إلى عصر الخلفاء ، وتصل بشخصية سلمان الفارسي ، الصحابي المعروف ، وتدور حول الحديث القائل : « سلمان منا أهل البيت » .

ولكن هذه البذور من القلة والضعف بحيث لا يحق لنا أن نعتبرها مبدءاً للتشيع في البلاد الفارسية .

والتشيع كذهب لم يأخذ صبغته العامة في تلك البلاد إلا في أواخر حياة الدولة الأموية ، أو أوائل المائة الثانية للهجرة ، وقد ازداد اتساعاً وانتشاراً بقيام الدولة العباسية ، التي مهدت لظهورها بالدعوة إلى « آل البيت » أو « الرضا من آل محمد » . وقد تقلص تبعاً لذلك ظلُّ مذهب أهل السنة ، وأخذ الشعور القومي في البلاد يناسبه العداء ، الذي بلغ أوجه منذ قيام الدولة الصفوية ، التي حكمت البلاد من عام ١٥٠١ إلى عام ١٧٢١ ميلادية ، والتي عملت على توطيد المذهب الشيعي في فارس ، وجعلته مذهب الدولة الرسمي ، وحملت الناس على معاداة مذهب أهل السنة ومجافاته ، ولا شك أن العوامل التي أثمرت هذا الشقاق كانت سياسية أكثر منها دينية .

والشيعة في فارس اثنا عشرية^(١) ، بيد أنهم افترقوا تحت هذا العنوان إلى طوائف ثلاث : « أخبارية » ، و « اجتهدية » ، و « شيعية » ، ولكل من هذه الطوائف آراء مبنية على مقتضيات الوسط الذي تعيش فيه ، والبيئة التي تسيطر عليها . فالأخبارية — كاسمها — تقبل جميع الأحاديث والآثار المنقولة عن الأنبياء

(١) راجع حديثنا عن هذه الفرقة ص ١٢٩ من كتابنا هذا .

والأئمة دون نقد أو تمحيص ؛ وبهذا يمكن أن تقبل هذه الفئة عقائد وتعاليم لم تكن ذات أصل قرآنى ، وإذا ورد فى الحديث — وهو البحر الخضم والميدان المنسع لكثير من المبادئ والمعتقدات الأجنبية — ما يوافق مشربها ، أصبحت هذه العقائد أسرع قبولاً ، وإذا أمكن وضع أحد هذه المعتقدات تحت اسم واحد من الأئمة ، كان ذلك مبرراً كافياً للأخذ به واعتناقه كمقيدة دينية دون نقاش ، مهما كان هذا المعتقد غريباً عن الإسلام ...

وإننا لنجد فى التعاليم التى يدينون بها ويكرهون الإسلام على قبولها ، بقايا من الديانات الفارسية القديمة ، وكثيراً من المعتقدات الساسانية .

وهم يذهبون فى حشر الأجساد مذهباً يخالف الظاهر من النصوص الإسلامية ؛ حيث لا يقولون برجعة الأجساد كما هى بعد الموت ، بل يقولون — كما قال بعض متكلمي الإسلام — إن البشر يُنشرون بأجساد أخرى غير تلك التى كانت لهم فى حياتهم الدنيا ، ويرون أن نعم الأبرار وعذاب الفجار فى الآخرة ، كلاهما عقليٌّ محض لا مادية فيه ، وإنما صُورٌ فقط فى قالب مادى ، تقريباً إلى أذهان عرب الجزيرة البدائيين .

و « الأخبارية » تعتقد أنها أخلص الشيعة وأقرب الطوائف إلى مبادئ التشيع كما رسمها الأئمة ، وينتسب إلى هذه الفئة كثير من أهل الطبقة الوسطى من الشعب الفارسى .

أما « الاجتهادية » فتتخذ الأخبارية بعنف ، وتنسك عليها سرعة تهافت رجالها على النقل وسهولة تلقيهم للأخبار دون نقد أو تمحيص ، وتقول إن الخبر — الذى يكون معمولاً بموجبه — يجب أن يستوفى شروط التمحيص المنصوص عليها فى كتب الأئمة .

والواقع أن « الاجتهاديين » لا يتساهلون فى هذا الموضوع من الوجهة النظرية ، أما من الوجهة العملية فنجدهم — بالعكس — يقبلون كثيراً من الروايات

عن معجزات الرسول المادية ، أو عما أُسند إلى الأنمة من خرق قوانين الكون
وسنن الطبيعة ، ولا يفكرون مطلقاً في نقدها أو تحييص أسانيدھا أو حتى مجرد إثارة
النزاع أو الشك فيها ، لأن قدسيّتها تعلو بها عندهم فوق العقل وفوق النقاش ...

و « الاجتهاديون » — وليس لهم من اسمهم نصيب — يرفضون الكثير من مبادئ
« الشيخية » — وهي الطائفة الثالثة من الشيعة الاثني عشرية في فارس ، وللعقل
في تعاليمهم قدرٌ وحُرمة — ويرون أن تحكيم العقل الإنساني في كل شيء منافي
للإيمان ، ومفضي إلى تقويض أركان الدين

وينتسب إلى هذه الطائفة كثيرٌ من قضاة الدولة ومأموري الإدارة والطبقات التي
تشتغل بالحياة العملية ، أكثر من اشتغالها بالمسائل النظرية والبحوث الأكاديمية .
أما الطائفة الثالثة وأغنى بها « الشيخية » فسنخصصها بدراسة أوسع لما لها
من اتصال وثيق بموضوع كتابنا ، ولما لها من الأثر الكبير الفعال في نشوء
« البابية » و « البهائية » في البلاد الفارسية .

الشيخية

حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى (١٧٤٤ م = ١١٥٧ هـ) . وُلد صاحب هذه الفرقة الشيخ أحمد الإحسانى ، المتكلم الشيعى الاثنا عشرى ، من أب يدعى الشيخ زين الدين الإحسانى ، أحد كبار مشايخ عشيرة بنى صخر ، التى يقال إنها من العشائر العربية الخالصة . وقد نزع الشيخ أحمد من موطنه الإحساء بالبحرين ، فى سنٍّ مبكرة واتجه صوب فارس ، طلباً للعالم وسعيًا وراء المعرفة ، وأخذ يتقلب بين المدن التى كان يشعّ منها إذ ذاك نور العرفان ، فتتقلّب بين « يَزْد » و « كرمانشاه » و « تبريز » و « قزوین » ، بعقل متعطش يقظ وروح وثابة ، ولم تكف نفسه الظمأى بما نالت من قسط وافر من تعاليم الإسلام الشيعى الاثنى عشرى على كبار مشايخ الشيعة فى فارس ، بل حفزته على التوجه إلى العراق العربى ، لترتوى من المنابع الصافية الأصلية للتشيع ، لاسيما « كر بلاه » محط أنظار الشيعة وملتقى جموعهم .

ولما أتم « الشيخ » دراسته — وقد اكتمل عقله ونضج فكره — تصدر للتدريس ونجح نجاحاً كبيراً فى اجتذاب الناس إليه ، لما حبته به الطبيعة من فصاحة فى اللسان وسلامة فى التعبير وسلاسة فى الأسلوب ، وفلج فى الحجة وقوة فى الجنان ، ومواهب شخصية ممتازة ، سرعان ما رفعت ذكره وأطارت صيته ، فأصبح ذا مقام ملحوظ وقد نُسب إليه مريدوه وتلامذته فعرفوا باسم « الشيخية » .

ومع أن « الشيخ » لم يخالف فى دروسه مبادئ التشيع الاثنى عشرى ، فقد أصرّ فقهاء العامة على مناصبته العداء ، واعتبروه مارقاً من الدين ، وذلك لما ارتآه فى مسألة معراج الرسول ومعاد البشر الجسمانيين ؛ فقد كان « الشيخ » عقلياً — إلى حدٍّ ما — فى تفكيره ، فأنكر جسمانية المعراج والمعاد — مقتفياً أثر الفيلسوف

الرئيس أبي على ابن سينافيا ذهب إليه في هذا الصدد — فقال : « إنه يستحيل على هذا البدن السفلى الصعودُ إلى الأفلاك . ومعراج الرسول معراج روحاني لا جسماني ^(١) » أى أنه كان رؤيا في المنام ، وهذا رأى على ضمه لم يتفرد به ابن سينافيا بل هو موجود في الإسلام قال به كثيرون ، وينسب أيضا إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما عن معاد الناس في الآخرة فيقول « الشيخ » : « إن هذا الجسم الترابي مؤلف من العناصر الأرضية ، فبعد الموت يتلاشى بالكلية لا محالة ، ولا يمكن أن تكون له رجعة أبداً ، أما القابل للدوام والحرى بالبقاء والنشر والحشر ، فهو هذا الروح الإلهي الذي هو من عالم المثال ^(٢) .

وبما أخذه عليه الفقهاء إنكاره لمعجزات الرسول المادية ، وادعاؤه أن حادثة انشقاق القمر — الواردة في القرآن في أسلوب صريح — لم تقع قط ، وإنما هي كناية لفظية عن أهوال اليوم الآخر

أما رأى « الشيخ » في « المهدي المنتظر » فقد كان خروجاً جريئاً حقاً ليس فقط على مبادئ التشيع الاثني عشرى ، بل على مبادئ التشيع عامة ، بقدر ما كان قريباً كل القرب مما يقوله العامة من فقهاء أهل السنة ، إذ ذهب إلى أن « المهدي » سيوجد بالولادة ، وليس شخصاً مخفياً عن الأنظار في بئر أو سرداب منذ ألف سنة . . .

وقد أثار عليه هذا القول الجديد الجريء ، غضب الشيعة الذين ينتظرون — وقد عيل صبرهم — خروج صاحب الزمان محمد بن الحسن العسكري من مخبئه ، بيد أن « الشيخ » لم يكتفِ لملات الشيعة ولاءاتهم ، وأخذ يبشر أتباعه بقرب ظهور المهدي وولادته ، ويحثهم على البحث عنه والترصد لبزوغ نجمه والاتفاف حول رايته ، ومن أقواله لهم في هذا الصدد : « إياكم أن يحول بينكم وبين الإيمان به أمره

(١) الكواكب الدرية في تاريخ ظهور الباية والبهائية ، لميرزا عبد الحسين آواره - ١

ص ٤٢ • الترجمة العربية •

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

من الأمور أيتاً كان عندما يبلغ مسامعكم نداؤه ^(١) . وقد أيقن تلامذته أن كلماته كانت عن طريق المكاشفة اليقينية التي لا يحوم حولها شك أوربية .

وقد خص « الشيخ » أئمة التشيع بهالة من القداسة البالغة حدّ العبادة ، ولم يشأ هنا — مع الأسف — أن يُعمل عقله ، بل لفته في كساء غليظ ، وأسدل عليه ستائر سوداء كثيفة ، وتركه يغطّ في نوم عميق ، فرأى على أسلوب « الغنوصيين » أن الصفات الإلهية قد حلّت وتجدت في أشخاص الأئمة ؛ فهم القوى الخالقة المسيطرة على الكون ، ولولاهم ما وُجدت العوالم ولا عُرفت ذات الله ، فارتفع « الشيخ » بالأسطورة الإمامية المعروفة إلى مدى بعيد .

يقول العلامة « هيار » Huart :

« ولسنا نعرف مذهبه الذي بسطه في كتبه على وجه كاف ، وإذا أخذنا بما قاله « براون » فإن الإحسائي يكون من الشيعة الحلولية الذين يعبدون عليّاً ^(٢) .

وقد زار « الشيخ » مكة المكرمة غير مرة في غضون حياته ، بقصد أداء فريضة الحج ، وفي المرة الأخيرة لمرحلتين بقيتا إلى المدينة المنورة ، صعدت روحه إلى خالقها وكان ذلك يوم الأحد ٢١ من ذى القعدة عام ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٧ م ، فحمل رفقاؤه جسده معهم ، حيث دفنوه ببقيع الغرقد .

* * *

لأظم الرستى :

من تلامذة « الشيخ » المقرّبين ، وُلد عام ١٢٠٥ هـ من أسرة مشهورة بالتجارة والثراء ، ذات أصل عريق وخلق قويّ ، فدرج « كاظم » في كنفها ، وشبّ في حبرها نجيباً ذكياً ، ولما اكتمل واستوى لحق بالشيخ الإحسائي ، وانخرط في سلك تلامذته ، ولم تمض إلا أعوام قلائل ، حتى بذّ « كاظم » جميع المريدين

(١) الكواكب الدرية ص ٤٦

(٢) أنظر مادة « الإحسائي » بدائرة المعارف الإسلامية « الترجمة العربية » مجلد ١ ص ٤٨ ،

واكتسب قلب أستاذه « الشيخ » فمال إليه وانعطف ، وأوصى له بالخلافة بعد مماته ، وما كادت المنية تحترم حياة « الإحسانى » ، حتى تربع « كاظم » على كرسي الخلافة تنفيذاً لوصية « الشيخ » ، وبذل الأتباع والمريدون له كمال الطاعة والانقياد .

وقد سار « الرشتى » على طريقة أستاذه وسننه ، واقتفى أثره بانتهاج منهجه ، وقد أربى عليه فى التبشير بقرب ظهور « المهدي » ، وأكبر الظن أنه قد وقف حياته لخدمة هذا الغرض ، واتخذ له رسالة يحيا بها ويعمل لها ويدافع عنها ، ومما قاله لتلاميذه فى هذا الصدد :

« فى أواسط القرن الثالث عشر للإسلام أى سنة ١٢٦٠ هـ ينال العالم نعمة تأويل القرآن ، وتظهر وتتلأأ أسرار التنزيل وبواطن هذا السفر الجليل ^(١) .

وعند ما أخبر « الرشتى » تلامذته بقرب وفاته جزعوا جزعاً شديداً ، فالتفت إليهم قائلاً : « إن أوقات بقائى بهذه الدنيا قد انتهت ، وساعة الرحيل قد دنت ، فلماذا تحزنون من نبأ وفاتى ؟ ألا ترضون أن أذهب ، والحق يظهر؟ ^(٢) . . . »

وفى هذا السبيل أخذ « الرشتى » يتابع جهاده ليؤدى رسالته العليا ، رسالة الإرشاد ولفت الأنظار إلى قرب ظهور « المهدي » الذى طالما انتظره الجميع قروناً عديدة فى ترقب ولهفة بالغين — حتى وافاه القضاء المحتوم عام ١٢٥٩ هـ = ١٨٤٣ م .

وهكذا يتضح لنا من تاريخ « الرشتى » وأستاذه « الشيخ الإحسانى » ، أو من دراسة « الشيخية » ، ما لها من الأثر الهام والمباشر فى قيام الدين الجديد ، أعنى الديانتين « البابية » و « البهائية » اللتين اعتمدتا فى ظهورهما على أسطورة « المهدي » .

(١) السكواك الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية - ١ ص ٥٠ وما بعدها

(٢) المصدر السابق - ١ ص ٥١

البائية

في غرة المحرم عام ١٢٣٥ هـ وُلد بشيراز — المعروفة بدار العلوم — الشاب الورع السيد علي محمد الشيرازي ، من أسرة محترفة للتجارة ، ينتهي نسب أبيه « أغا سيد محمد رضي » ونسب أمه « فاطمة بكم » — على ما يزعم الرواة — إلى علي بن أبي طالب . . . كبقية الرعيل السابق من الدعاة وقد توفى والده وهو صغير ، فكفله خاله « الحاج سيد علي » وضمه إليه ، وقام بتربيته إلى أن بلغ أشده واستوى ، فاشتغل بتجارة أبيه

وقد ولع هذا الشاب منذ نعومة أظفاره بالانجاء الديني ، الذي انتهى به إلى حياة من النسك الصوفي ، والزهد الهندي والتقشف القاسي والتحمل « الرواق » ، حتى يقال : إنه كان يقعد الساعات الطوال في الشمس الحارة ، حاسراً عن رأسه ، تظهيراً لنفسه وكبحاً لجراح شهواتها — ولعله كان يجذو في ذلك حذو « ديوجينيس » — إلى غير ما يروى عنه في هذا الصدد من ضروب التعبد الشاق .

تلقى صاحبنا الشاب دروسه الأولى بمكتب « الشيخ عابد » أحد علماء شيراز المحترفين لمهنة تأديب النشء ، ثم توجه بعد ذلك إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين ، فخرج في طريقه على مجلس « الرشتي » وتردد عليه مرتين ويقال :

« إن الأستاذ السيد الرشتي مع تبحره في العلوم والمعارف ، وبلوغه العقد الخامس من العمر ، أدى للشاب حين حضوره حلقة الدرس فائق التجلة والاحترام ، وقطع التدريس وحوّل أنظاره إلى حضرة الوارد ، ثم انبرى يشرح المسائل المتعلقة بظهور المنتظر . فبعد أن أعلن الشاب دعوته ، وسمع التلاميذ ندائه ، تذكروا تلك المقدمات التمهيدية التي كان يزودهم بها الأستاذ السيد ، وفطنوا إلى أنها كانت موجهة إلى جنبابه ، فاثبتن إن السيد كان مقصده إفهام التلاميذ ، أن هذا الوارد عليهم هو صاحب المقام ، ومنتظر وموعد الإسلام ^(١) » .

(١) السكواكب الدرية ج ١ ص ٦٨ وما بعدها .

وهكذا كان حضور صاحبنا مجلس « الرشقي » - بمحض المصادفة وهو في طريقه إلى كربلاء - من أهم العوامل التي ساعدت على نجاحه فيما بعد ، لما أوجده من أقاويل وإشارات وأساطير ، كانت له عوناً ونصيراً .

وأكبر الظن أن صاحبنا السيد علياً هذا ، لم يحظ بنصيب وافر من الدراسة والتثقيف ، فإذا استثنينا تلك المعلومات البدائية ، وتلك الدروس الضحلة البسيطة الأولية التي تلقاها بمكتب « الشيخ عابد » ، ومجلساً أو مجلسين في حلقة « الرشقي » - لا نظن أنه خرج منهما بشيء ذي بال - فإننا لا نجد بعده درس كتاباً قط ، أو قرأ على أستاذ ما ، وقد وضع جهله وظهرت أميته المطبقة في أخطائه الكثيرة التي لا تفتقر في قواعد النحو الأولية ، وإن كان هو يسدّ هذا النقص ويموّه على أتباعه البُله ، بزعمه أن كلام الله الذي يجري على لسانه لا يتقيد بقواعد اللغات البشرية !

ومهما يكن من شيء فقد عاد السيد عليّ بعد زيارته الخليفة للأستاذ « كاظم الرشقي » إلى شيراز ، معتقداً أنه قد استكمل دراسته - مع أنه كان في حاجة شديدة إلى بدئها - وأخذ يحاضر في المساجد كأحد أتباع الطريقة « الشيخية » التي انتشرت عالمياً في البلاد ، وبهذا فقط نفسرنجاحه الفذّ في اجتذاب كثير من الطلاب الذين استمعوا إليه ، وقد زادهم به تعلقاً فصاحةً في لسانه وانطلاقاً في بيانه .

وفي هذه الأثناء توفي السيد « كاظم الرشقي » بعد أن أكثر من التبشير بقرب ظهور « المهدي » فرأت « الشيخية » أنها في حاجة بعد وفاته لشخص يلي رياستهم الزمنية ، فذهب عدد من رجالهم إلى مسجد الكوفة - حيث فيه ينتظر الكثيرون ظهور الإمام الثاني عشر - وهناك حبسوا أنفسهم وأخذوا في الصلاة والصيام ، تقرباً إلى الله ليوفقهم إلى رئيس زماني جديد .

وهنا فكّر الشيخ « حسين البشروئي » - من رجالهم ذوي النفوذ ، ومن تلامذة « الإحسائي » و « الرشقي » ، الذين يحظون بقسط وافر من التعظيم والاحترام -

في اختيار صاحبنا السيد على محمد ، أحد أتباع الطريقة رئيساً لها ، وقد كان أتيح له أن رآه بمجلس « الرشتي » وأعجب بزهده وتقشفه فأحبه ومال إليه ، بيد أنه اعتزم اختباره بنفسه فارتحل إلى شیراز .

وفي اليوم الخامس من جمادى الأولى عام ١٢٦٠ هـ = ٢٣ مايو عام ١٨٤٤ م بينما كان الشيخ « البشروئي » جالساً مع هذا الشاب يراقبه ويختبره ، إذ بادر هذا فأعلن له دعواه وبغته بها بقتة ، وزعم أنه « المهدي » المنتظر ، ودعاه إلى الإيمان به ! فدهش الشيخ من جرأته وسقط في يده ، وإنه ليحدثنا فيقول :

« في تلك الليلة التي كاشفني فيها بسرّ أمره ، أخذت الحيرة مني كل مأخذ ، وطلعت أسائل نفسي قائلاً : ترى ماذا جرى لهذا السيد التقى حتى اجتراً على دعوى عربضة كهذه ؟ ! قالواجب على أن ألقى عليه بعض المسائل المعضلة الغامضة ، حتى لا يجد مجالاً للكلام ، وإذا يرجع أدراجهِ ويعود عما في خياله ، فخطابته قائلاً :

« أيها السيد : إن المقام الذي تدّعيه حضرتكم هو مقام هائل خارج عن حدّ التصور ، ورتبة في منتهى العلوّ والجلال ، وأقصى مراتب العزة والكمال ، فقبوله دون بينة وبرهان خارج عن حيز الاحتمال والإمكان ، فما هو برهانكم على صدق ادعائكم هذا المقام ، وحقيقة هذه الدعوى عظيمة الخطر والمقدار ؟ فأجابني قائلاً : إن طرق الوصول إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، فأى برهان تريدون وبأية حجة تقتنعون ؟ فأجبتني قائلاً : بما أني مطلع على الاصطلاحات العلمية ، وقد احتملت المشاق العديدة في سبيل تحصيل المعارف والعلوم ، فأراني في حاجة إلى دقائق علمية تفوق علوم الناس كافة ، وتسمو عن مدارك الأوائل والأواخر ، حتى يتسنى لي إدراك المقصد والمطلب ، وشرعتُ ألقى مسائل مشكلة علمية ودينية تباعاً على حضرته ، فكان يجيبني عليها واحدة واحدة بأجوبة شافية وافية^(١) .

(١) الكواكب الدرية ج ١ ص ٧٤ ، ولا يعزب عن بالنا أن « البشروئي » روى لنا روايته هذه بعد الإيمان بمزاعم على محمد .

وكان من المسائل التي دار النقاش فيها مسألة قرب ظهور المهدي ، فسأل السيد علي الشيخ « البشروئي » عن علاماته وصفاته التي اختص بها ، فأخذ الشيخ بسرد عليه بعضاً منها وقال في ختام حديثه : « وأيضاً إنه يكتب تفسيراً لسورة يوسف » ، فسرعان ما التفت إليه السيد وناولته شرحاً لهذه السورة كان يحببته لحينه ، أسماه « أحسن القصص » . وتقول الرواية إن « البشروئي » عند ما نظر في هذا التفسير ، خرج زمام الأمر من يده ، وأعلن فوراً أن السيد علي محمد هو حقاً « الباب » للاتصال بالإمام الغائب ، وأصبح هو أول مرديه ؛ فلَقَّب من أجل ذلك « بباب الباب » ، ثم صدرت إليه أوامر مولاه الشاب بالارتحال عن شیراز ، والضرب في الأرض مبشراً بالدعوة الجديدة ، وداعياً لها ، فأخذ الرجل^(١) في التجوال في البلاد حتى دخل مدينة طهران ؛ حيث آمن على يديه الأخوان « بهاء الدين » و « صبح أرل » ، وإن لهما في تاريخ هذا الدين لصفحات وصفحات أما سيده « الباب » فقد توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وألف أثناء رحلته إليها بعض رسائل ، يزعم أتباعه أنها من وحى الله ، ثم عاد بعدها إلى شیراز ليواصل جهاده في سبيل رسالته .

وفي الخامس من جمادى الآخرة عام ١٢٦٠ هـ = ١١ يونيو عام ١٨٤٤ م أعان صاحبنا السيد علي محمد التاجر الجاهل أنه « الباب » بمعنى أنه الوسيلة الموصلة إلى معرفة الحقيقة الإلهية ، وذلك بعد أن شهد له أصحابه — بسبب حماسته المتقدمة — بأن العناية الإلهية قد اصطفت له لفاية سامية ، وكانت هذه الشهادة من إخوانه الملتهمين غيرة وحماسة ، إيماء قويا ، أثر في عقل هذا الفريق في تأملاته وأفكاره ، وبعد أن أفرغ عليه الشيخ « حسين البشروئي » هذا اللقب .

وترجع هذه العكرة إلى أقدم أحاديث الشيعة التي تروى أن النبي قال : « أنا مدينة

(١) اشترك « البشروئي » بعد ذلك في الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في البلاد بين « البابية » والحكومة ، وكان بطل معارك قلعة « الطبرئسي » وفيها لاقى مصرعه

العلم وعلى بابها» .^(١) وقد كان هذا الحديث هو الخرج الوحيد الذى فسّر به السيد على محمد دعوته ، عندما عقد له مجتهدو الشيعة فى « تبريز » مجلساً ، لمناقشته فى دعواه التى اعتبروها زندقة وسروقاً من الدين .

أما لفظة « الباب » هذه فقد استعملها « الإسماعيلية » عنواناً على « الشيخ » أو « الأساس » ، الذى يعلم الناس أسرار الدين ، أو الدعوة السرية الإسماعيلية ، وكان سلمان الفارسي معروفاً بين « النصيرية » « بالباب » ؛ لأن أمر الدعوة كان معهوداً إليه بعد موت الرسول كما يزعمون واللفظة أيضاً كثيرة التداول عند الصوفية ، وعند بعض الفرق الباطنية تطلق على أركان الدعوة من الزعماء ، بمعنى أن هؤلاء الزعماء هم واسطة الدخول وسبب الوصول .

لم يتردد صاحبنا السيد على فاعتقد أنه يؤدى رسالة سامية فوق مستوى البشر ، وأن أداؤها هو نتيجة حتمية ملازمة للتطور التاريخى للإسلام ، والتحقق الكامل لرسالته العالمية ، وبعد أن أعلن أنه « الباب » الذى يتوصل به إلى الإمام المستور « الذى يعدّ المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية » ، سرعان ما جال فى روعه أنه أكبر من أن يكون واسطة للإمام الغائب فحسب ! وأن الله قد رفعه على هذا الإمام اقتصاداً فى مراحل التطور الروحى ، واختصاراً لمراتب الهداية ؛ فاعتقد أنه « المهدي » الذى لا بد من ظهوره لإصلاح الكون وتخليص بنى الإنسان من المظالم والظلميان ونشر العدالة بين البشر . .

وهذه الدعوى العريضة من صاحبنا هذا ، واقتناع « الشيخية » بها ، وحرصهم على الذود عنها ، والدفاع عن مبادئها بالمال والدماء ، نستطيع فهمها وتفسيرها فى سهولة ويسر ؛ فالشيخية جماعة من الشيعة الاثنى عشرية ، انقادوا دون وعي للأضاليل والأباطيل التى لفقها لهم الشيخ « الإحسانى » وتلميذه « الرشتى » حول

ظهور « المهدي » القريب ، والتبشير بعهد ، والحث على طاعته والإيمان به ، تلك الأقاويل التي شغلت أذهان « الشيخية » واستقرت فيها لا تريم ولا تبرح ؛ وكيف وقد عيل صبرهم ونفد ، من طول انتظار إمامهم المستور محمد بن الحسن العسكري ، وهو في غيبته الكبرى بعد أن مرَّ على انتهاء غيبته الصغرى ما يقرب من عشرة قرون ، و « الشيخية » في تأييدهم للسيد على يعلنون ابتداء دور آخر ، يمثل فيه الإمام المنتظر بشخص مرئي مشاهد وهو « الباب » .

ويلاحظ الدارس لتاريخ هذا الدين أن « الشيخية » لم تدن جميعها بمزاعم السيد على « الباب » ؛ فقد رفض الحاج محمد كريم خان الكرماني الملقب بالأئيم ، هذه الدعوى وتابعه أشياع كثيرون .

يقول « الأئيم » إنه بالنظر لهذا الإثم العظيم والخطأ الكبير اللذين ارتكبهما السيد الباب بادعائه المهدية ، قد وقع البداء في أمر ظهور المهدي وتأجل ميعاد قيامه ، ويجب ألاّ تتوقع بعد اليوم حدوث الظهور بسرعة ، وربما يمتد إلى ألف سنة أخرى^(١) . وأخذ « الأئيم » يصنف الكتب والرسائل في دحض مفتريات « الباب » ومزاعمه ، ومن جملتها « إرشاد العوام » و « رد الباب والبابية » .

والحاج محمد كريم خان هذا من شيوخ « الشيخية » ذوى النفوذ ، ومن أسرة كريمة ذات مكانة وفضل ، وكان الرجل عزيزاً في قومه ، بيد أنه كان ديناً متواضعاً ، فلُقّب نفسه بالأئيم ، اعترافاً بذنوبه على سبيل الزلّفى إلى الله ، وقد أكثر من إطلاق هذا اللقب على نفسه في مؤلفاته فيقول : « هكذا يقول العبد الأئيم كريم بن إبراهيم » إلى أمثال ذلك فاشتهر به ، غير أنه لسوء الحظ عندما أخذ الرجل يناهض « البابية » ويكثر من تنفيذ مزاعمها والتشنيع بمبادئها ، استغل خصومه « البهائيون » — فيما بعد — لقبه هذا الذى اختاره لنفسه تواضعاً ، وقلوبه ضدّه ووسموه به على سبيل القدح والدم ، وقرنوه بالآيات القرآنية القائلة : « إن شجرة الزقوم طعام الأئيم كل أهل

يغلى في البطون كغلى الحميم » ، « خذوه فملّوه ثم الجحيم صلّوه » ، « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

ومهما يكن من شيء فقد نجح الرجل في محاربة « البابية » ، وانقسمت « الشيخية » بذلك طائفتين : « الشيخية البابية » الذين آزرُوا « الباب » وجاروه في مزاعمه ، و « الشيخية الكرمانية » الذين أنكروا هذه المزاعم ، والتفوا حول صاحبهم الكرمانى محمد عبد الكريم خان ، وهؤلاء مع رفضهم دعوى « الباب » يقولون بوجوب وجود شخص كامل ، يتمكن من التوسط بين الإمام الغائب وشيعته ، ويجمعون على أن صاحبهم « الأئيم » محمد عبد الكريم كان يرى نفسه أنه هو ذلك الرجل الوسيط ، وأكبر الظن أن أتباعه أيضاً كانوا ينظرون إليه كذلك ...

ومهما يكن من دعوى هؤلاء وإنكارهم لما جاء به « الباب » ، فقد تمسكت « الشيخية البابية » بحقيقة أن السيد على محمد قد ظهر ، بعد أن مضى على غيبة الإمام الثانى عشر نحو ألف من السنين ، وتبعاً لأوهام الشيعة فى هذا الانتظار ، فإن الإمام الثانى عشر سيظهر باسم « المهدي » الذى سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، فتتحقق أمنيتهم التى طالما كانوا يحملون بها تحت سياط من الظلم تلهب ظهورهم ، وأسيف من العدوان تعمل فى رقابهم ، من مختلف الحاكمين فى مختلف العصور

وتزعم « البابية » أن الحقيقة الروحانية المنبعثة من الله ، قد حلت فى شخص صاحبهم « الباب » حلولاً مادياً جسمانياً ، وأن الأنبياء جميعاً من لدن آدم قد تجسّدوا فى شخصه الكريم ، واتخذوا منه سبيلاً للعودة إلى الدنيا من جديد ، وكان « الباب » يرى نفسه الممثل الحقيقى لهؤلاء الأنبياء والمعبر عن رسالاتهم ، وترجع هذه العقيدة كما يقول الطيب الذى ذكر سيد الباحثين العلامة « جولد زيهر » Goldziher ^(١) — إلى « الغنوصية » — وقد جاءت بها الفرق المسيحية التى خرجت على الكنيسة قبل ظهور الإسلام .

(١) العقيدة والشرعة فى الإسلام للعلامة « جولدزيهر » Goldziher ص ٢٤٣

وقد أعلن « الباب » غير مرة أن هذا التجلي للروح الإلهي ، الذي تجسد في شخصه لمداية البشر سوف يتجدد في المستقبل . وقد لاقى في سبيل تعاليمه هذه مقاومة عنيفة حادة من فقهاء الشيعة ، فدعا أتباعه إلى بغضهم ، واتهمهم بالنفاق والتكالب على الدنيا ، وأظهر في دروسه ضدهم عناداً جريئاً ، ففسّر القرآن تفسيراً مجازياً حسب المعنى الباطني ، ولم يعن بفرائض الإسلام ، ولم يتمسك بقواعد الطهارة الإسلامية تمسكاً شديداً ، كما أول الجنة والنار وحساب الآخرة تأويلاً مخالفاً لما جاءت به شريعة القرآن ، بل سارع فأعلن في جراءة بطلان هذه الشريعة وانهضاء عهدا ودروس أحكامها . . . ١١

وأكبر الظن أن صاحبنا هذا كان ينتوي الانسلاخ من الديانة الإسلامية منذ عهد بعيد مبكر جداً ، ولكنه تريث إذ رأى الخروج على هذه الديانة في أول بدايته بدعوته ، هدماً لهذه الدعوة من أساسها ، وتقويضاً لأركانها وموتاً لها في فطامها ، فأرجأ ذلك إلى أن يصاب عوده ويتسع نفوذه ويكثر أتباعه ، ويتضح ذلك لنا جلياً من خطاب أرسله إلى خاله — الذي كفله وآمن به ، واستشهد في سبيله بطهران — قد حبره إليه عام ١٢٥٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها السيد « الرشتي » ، والتي تلاها مباشرة عامٌ جهره بدعوته ؛ يقول « الباب » في هذا الخطاب :

« أعلموا الطلاب أن الأمر لم يصل إلى حدِّ البلوغ بعد ، ولم يأت زمانه ؛ فلذلك أكون أنا وأجدادي الطاهرون غير راضين في الدنيا والآخرة ، وعن ينسب إلى غير ما أنا فيه من اتباع الفروع والمعتقدات الإسلامية ^(١) » .

والذي نستشفه من هذه الرسالة أن « الباب » همس برغبته في التخلص من الشريعة الإسلامية لبعض تلامذته ؛ أو أن هذا البعض رأى من أستاذه هذه الرغبة فأذاعها ، ثم وجد « الباب » أن فيها خطراً كبيراً يكاد يقضي عليه وهو في نشأته ، فاصطنع الرجوع مرة أخرى إلى تعاليم الإسلام ، وكتب لخاله يتبرأ هو وأجداده

الطاهرون ، ممن ينسب إليه خروجاً على الإسلام ، وكبت رغبته في التخلص من هذا الدين إلى أن يأنس من نفسه القوة ، وهامى القوة تواتيه ، وها هو يجاهر بانقضاء عهد الشريعة الإسلامية ويعلم — في غير موارد وبرضى من أجداده الطاهرين — بطلان أحكامها . . . ! !

حاول « الباب » بعد ذلك في تعاليمه ، الإصلاح الاجتماعى فطالب — لى يتسم دينه بالعالمية — بالإخاء بين كافة أفراد الجنس البشرى ، ولكنه لم يأت في ذلك بجديد خلقه ، بديلاً من قديم نقضه وأبطله ؛ فالإسلام يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه : « لافضل لى على عجمى إلا بالتقوى » ، وفى الإسلام : صهيب وعمار وبلال وسلمان فى الميزان ، كلبى بكر وعمر وعلى وعثمان .

وكذلك نرى أن ما قدّمه « الباب » فى أوجه الإصلاح النسوى ، لتحسين حال المرأة والأخذ بيدها ، وإلغائه لحجابها لى ليس جديداً أو غريباً على الدين الإسلامى ، الذى فرغ من ذلك كله على أحسن نظام وأكمله منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

وما انتشرت تعاليم « الباب » التى تفترض انقراض الديانة الإسلامية حتى طار صواب الناس ، وفقدوا اتزانهم وثاروا ساخطين حنقين ، وكث الأمر الحكومة الفارسية الإسلامية ، إذ بدت لها تعاليم « الباب » هذه على جانب كبير من الخطورة ، سواء من الناحية الدينية أو من الناحية السياسية ، فرأت أن تعالج الأمر أولاً بالحكمة ، فأكرهت « الباب » على الاعتكاف بشيراز ، وحظرت عليه اتصاله بأحد ، وأخذت من خاله على ذلك الموائيق والعهود . وفى هذه الأثناء اجتاحت « شيراز » وباء الهیضة (السكوليرا) فهاجر منها من استطاع إلى الهجرة سبيلاً ، ورأى حاكم المدينة أن ینجو بنفسه هو الآخر من هذا الوباء الفتاك ، ولكنه قبل أن يغادر شيراز « أمر « الباب » بالخروج منها والتوجه إلى أى بلد آخر شاء ، لیریح نفسه من عناء مراقبته ،

فامتثل « الباب » الأمر وأجابه بقوله : « لا مناص من الهجرة والسفر إلى بلاد آخر ؛ حيث كانت الهجرة ولم تزل إحدى سنن الأنبياء ، وقد قال السيد المسيح : لا حُرمة لنبي في وطنه ^(١) » ، وهكذا نرى « الباب » أخيراً — بعد دعاواه السابقة — يدعى النبوة ، ويدخل نفسه في عداد الأنبياء ويهاجر كهجرتهم !

ارتحل « الباب » ذلك النبي الجديد إلى أصفهان عام ١٢٦٢ هـ ، ومكث بها سبعة شهور كان فيها موضع التبجيل والإكرام ، من حاكمها الطيب القلب معتمد الدولة « منوچهرخان » ؛ الذي كلاًه بعينه ورعايته ودفع عنه الأذى والعدوان ، وإن لم يكن يدن برسالته ، ولسوء حظ « الباب » مات معتمد الدولة — هذا الحاكم المسموع الكلمة ، الخالص السريرة ، والمحبوب من البلاط الفارسي — في أواخر ربيع الأول عام ١٢٦٣ هـ ، وكان له ابن أخ يدعى « كركين خان » ينتظر وفاته بشيء كثير من الصبر ليرث ملكه ، وكان في الوقت نفسه يعادى « البابية » ، فما إن مات عمه حتى سارع فوشى بالباب — في تقرير مطول — إلى وزير الدولة الأعظم « ميرزا أقاسى » — أكبر أعداء « الباب » — بطهران ، وقد تقرب « كركين » بوشايته هذه إلى الحكومة الفارسية ، علماً ترشحه لحكم أصفهان خلفاً لعمه « منوچهرخان » وقد تم له ما أراد ، وطلب منه الوزير القبض على « الباب » فوراً ؛ وإرساله إلى طهران فأجابه إلى ذلك ، ثم عدل بالباب — بأمر الوزير — إلى « تبريز » بأذربيجان ، حيث أبعد عنها مرة أخرى إلى « ماكو » وهناك سُجن بقلعتها ، وكانت مخصصة لسجن الخارجين على الدولة . وقد أخذ « الباب » في معتقله هذا يؤلف كتابه « البيان » ، الذي أودع فيه مجموعة تعاليمه ، وهو عند « البايين » محل تقدس وإكبار . وبعد تسعة شهور من سجنه في « ماكو » نقل عام ١٢٦٤ هـ إلى قلعة « جهريق » .

اشتد أنصار « الباب » — بعد اعتقال صاحبهم — تفانياً في الإيمان برسالته ،

وقاموا بدعاية حماسية واسعة لمذهبه في أنحاء البلاد ، فأمن بها بطهران على يد « باب الباب » - الشيخ حسين البشروئي ، أحد الأركان الهامة في هذه الحركة - الأخوان « ميرزا يحيى نوري » الملقب بعد ذلك « بصُبح أزل » وأخوه من أبيه الأوفر حظاً « ميرزا حسين على نوري » الملقب فيما بعد « بهاء الله » ، وهما فرعان من دوحة كريمة ، ولهما في تاريخ هذه الديانة تاريخ.

وفي قزوین أعلنت « قرّة العين » إيمانها بالمذهب « البابي » ، على إثر مراسلات بينها وبين « الباب » ، والاسم الأصلي لهذه الفتاة - ذات الشأن في تاريخ البابية - أمّ سلمى هانم ، ثم سُميت « زرين تاج » بمعنى التاج الذهبي ، لأن شعرها كان ذهبياً ، وهي كريمة « الملاح صالح الباركاني » من أسرة معروفة بالعلم في قزوین ، وكانت الفتاة ذات ذكاء حاد وجمال بارع مشرق فتان ، ولدت عام ١٢٣٠ أو ١٢٣١ هـ ، وطالعت كتب « الشيخية » ورغبت فيها ، وكان بينها وبين السيد « كاظم الرشتي » مكاتبات ، تسأله فيها عن بعض المسائل الغامضة ، وهو الذي لقبها « قرّة العين » ؛ قال العلامة « الأوسى » :

« القرّنية أصحاب امرأة اسمها (هند) ، وكنيتها أمّ سلمى ، ولقبها قرّة العين ، لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها ؛ إذ كانت من أصحابه ، وهي ممن قلّد (الباب) بعد موت الرشتي ، ثم خالفته في عدة أشياء : منها التكاليف ، فقلّل إنها كانت تقول برفع التكاليف كلّها ، وأنا لم أحسّ بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين ؛ وكمن بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه حجاب النقية ، فرأيت من الفضل ما لم أره في كثير من الرجال . وهي ذات عقل وأدب ، وفريدة حياء وصيانة ، وقد ذكرنا من المباحثات في غير هذا المقام ما إذا وقفت عليه تبين لك أن ليس في فضلها كلام . والذي تحقق عندي أن البابية والقرّنية طائفة واحدة ، وهم يزعمون انتهاء زمن التكاليف بالصلوات الخمس ، وأن الوحي غير منقطع ؛ فقد يوحى للكامل ، لا وحي تشريع ، بل وحي تعليم لما شرع من قبل ، ولنحو ذلك ،

وهو رأى بعض المتصوفة . وأخبرنى بعض من خالطهم أنهم يوجبون على من نظر إلى أجنبية من غير قصد ، أن يتصدق بمئقال من الذهب ، وعلى من نظر إليها بقصد التصديق بمئقالين منه ، وأن منهم من يحجى الليل بكاء وتضرعاً ، وأنهم يخالفون الاثنى عشرية ، ويكفرونهم ، ويرأون منهم . وهكذا حال هذه الفرقة مع كل من خالفها^(١) .

قال البهائية الفارسية « ميرزا عبد الحسين آواره » معقّباً على قول الألوسى :
« وما لا ريب فيه أن ما زعمه هذا الفاضل (يعنى الألوسى) عن تسمّى قرّة العين بهند غير صحيح ؛ فإنه من المستبعد استعمال هذه التسمية بين الشيعة ، لا سيما بين أكابر العلماء منهم ، أضف إلى ذلك أن هذا التسمّى لم يرد فى كتاب ما غير كتابه ، ولم يُسمع من أحد قط ، والمحتمل أن يكون الحادى به إلى هذا الزعم ، اعتباره كلمة « أم سلمى » كنية طبق القاعدة العربية المتبعة بين العرب ، فتوهم هذه التسمية ، وفاته أن كلمة « أم سلمى » كانت ولم تزل تُستعمل بمثابة الاسم فى بلاد العجم ؛ فيتضح من ذلك إذاً أن اسمها كان كما ذكرنا أى « أم سلمى » . نعم لقبها قرّة العين كما قال ، وأن السيد الرشتى لقبها بذلك . ونقول إنها لُقِّبت بعد ذلك بالطاهرة ، لقبها بذلك حضرة « الباب » ، وأهل البهاء يذكرونها فى أكثر محادثاتهم بهذا اللقب الأخير^(٢) .

أخذت الدعوة « البائية » — كما قلنا — فى الانتشار ، وكثر أتباعها وعظم شأنها ، حتى عدّ خطراً يهدد كيان الدولة الفارسية ، فأجعت الحكومة على استئصال شأفة « البائيين » ، وابتدأت سلسلة طويلة من المعارك الدموية ، والحجازر البشرية بينها وبينهم ، وجىء بالباب من سجنه إلى « تبريز » ؛ حيث أُعدم رمياً بالرصاص

(١) الكواكب الدرية ١ ص ١١٥

(٢) المصدر السابق ص ١١٦

في ٢٨ شعبان عام ١٢٦٦ هـ = ٩ يوليو عام ١٨٥٠ م ، ومع أن الرمية الأولى أخطأته ، وعدّها أصحابه معجزة ، فقد أصابت منه الثانية مقتلًا ، ثم مُثِّلَ بجثته أشنع تمثيل ، وطُرح جسمانه في حفرة قذرة ، انتشله منها أتباعه سرًّا ، حيث قاموا بدفنه في طهران ، وقيل دفنه خليفته « بهاء الله » في عكّا ؛ وبهذه الخاتمة انتهت حياة النبي « على محمد » على أشبع صورة وأشنعها .

وقد تعقبت الحكومة أتباعه في كل سهل وجبل ، وجدّوا في أثرهم ، ففثروا عقدهم شذر مذر في ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ = ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٢ م ، وأخرجوا الأخوين « صُبح أزل » و « بهاء الله » إلى بغداد ، ثم أرسلوا إلى « أدرنه » باتفاق بين الدولتين العثمانية والفارسية ، ثم وقع الخلف بين الأخوين ، فنفت الحكومة التركية « بهاء الله » إلى قلعة عكّا و « صبح أزل » إلى جزيرة قبرص . أما « قرّة العين » فقد أخرجوها قبل ذلك التاريخ إلى بغداد ، حيث نزلت في بعض منازل أعيانهم ومنهم العلامة « الألوسي » كما حدثنا هو بذلك ، بيد أن حكومة الأستانة لم ترض عن بقاء هذه المرأة في بغداد ، فأخرجتها ثانية إلى إيران .

وهكذا انقضى الدور الأول من دورى هذا الدين المحدث ، على أن الرواية لم تتم فصولا ، فقد قام بالدور الثاني في هذه المسرحية البابي « بهاء الله » باسم جديد ، بل دين جديد هو « البهائية » . . . ١

البهائية

بعد مقتل « الباب » دبّ الشقاق بين صفوف « البابية » عنيفاً صارخاً ، ويرجع ذلك إلى أن صاحبهم ترك — بعد أن لاقى حتفه — تلميذين أخوين ، كان قد اصطفاهما وخصهما لهداية البشر ، فأمن بكل واحد منهما فريق ، وادّعى أن صاحبه هو وحده المترجم الأمين لتعاليم « الباب » ، وقد انفّ الأقلون حول « صُبْح أزل » المبعّد إلى جزيرة قبرص كما أسلفنا ، وكان هذا — لجود في تفكيره — يرغب في إبقاء « البابية » على الصورة التي تركها عليها مؤسسها ، وأتباعه — تبعاً لذلك — هم « الباييون » الخافطون . أما الأكترون فقد انفّوا حول أخيه من أبيه ، ذلك الرسول الآخر المبعّد إلى عكا « بهاء الله » .

ويزعم أتباع « البهاء » أن « الباب » لم يصطف أحداً للقيادة غير صاحبهم ، وأنه أكثر من النصريح بذلك بله التلميح ، وقد وضع اسم « بهاء الله » في « البيان » وعبر عنه « بمن يظهره الله » ، وأمر الناس بطاعته والانقياد له ، بيد أن « الباب » وهو في محنته خاف أن تمتد يد السوء إلى مصطفىاه « بهاء الله » فأغفل أمره محافظة عليه ، وأعلن اصطفاه أخيه « صُبْح أزل » ، الذي كان يعلم سوء دخلته وفساد طويّته ، راجياً بذلك أن يظل أمر « البهاء » سرّاً مكتوماً ، فيسلم من الأذى وبشتهر أمر أخيه فيفضي عليه ، وبذا يفتدى « البهاء » صفّيّه الأوحد بأخيه الدعيّ « صُبْح أزل » .

وُلد « ميرزا حسين على نوري » الملقب بهاء الله ببِلدة « نور » من أعمال « مازندران » في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨١٧ م ، وعند ما أعلن « الباب » السيد على محمد رسالته ، وصدع بها عام ١٨٤٤ ، كان « بهاء الله » شاباً ممتلئاً في السابعة والعشرين من سنّ عمره ، وقد آمن بالدعوة على يد أكبر دعايتها وأعظم أساطيها ، الشيخ الداعية حسين البشروئي « باب الباب » ، ثم التحق « بهاء الله » بالباب ،

وصار من أبرز تلامذته المخلصين ، وما زال معه يفاضل ويكافح ، حتى فصلت الحكومة بينهما بفتكها بالباب ، ثم بنى « البهاء » إلى البلاد التركية ، ومنها إلى مدينة « عكا » .

ولما كان « الباب » قد أعلن غير مرة ، أن الروح الإلهية التي تجسدت في شخصه لهداية البشر سوف يتكرر تجسدها في المستقبل ، فقد رغب تلميذه الواسع المطامع — بعد عام ١٨٦٠ م إبّان إقامة « البايين » المنفيين في أدرنة — في أن يبادر فيسعى إلى تحقيق المرحلة الثانية في النظام الدورى التعاقبى ، فأعلن أنه « المظهر الأكل » الذى بشر به أستاذه ، والذى يفسر بواسطته الارتفاع بالرسالة إلى مرتبة أعلى من مراتب السكال . فعلى محمد « الباب » كان السابق الممهد لظهور « بهاء الله » ، الذى عادت الروح الإلهية للتجسد في شخصه ، لكي تنجز على الوجه الأكل ، العمل الذى ابتدأه ومهد له الداعية على محمد المبعوث من قبله ، فبهاء الله أعظم درجة من « الباب » لأن « الباب » « قائم » ، أما « البهاء » فهو « القيوم » أى الذى يظل ويبقى ، وقد اعترف « الباب » نفسه بأن من سيخلفه سيكون أعظم منه ، وذلك في قوله : « إن الذى يجب أن يظهر في يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذى سبق ظهوره ^(١) » .

وقد آثر « بهاء الله » أن يتسمى باسم « مظهر الله » أو « منظر الله » ، الذى يُحتلّ في طلعته جمال الذات الإلهية ، وهو الصورة المنبعثة عن الجوهر الإلهى ، ومعرفة هذا الجوهر لا تيسر أبداً إلّا عن طريقه هو ، وقد رأى فيه أتباعه « البهائيون » أنه كائن فوق مستوى البشر ، وأسبغوا عليه كثيراً من الصفات الإلهية . ولما احتدم النزاع بين « بهاء الله » وأخيه لأبيه « صبح أزل » أو بعبارة أخرى بين « البايين » المحافظين « والبهائيين » ، حول مبادئ « الباب » وتطورها ، أو الوقوف عندها ، فرقت الحكومة التركية بين الأخوين ، فأخرجت « صُبح أزل »

(١) العقيدة والصريعة في الإسلام لجولدزيهر Goldziher ص ٢٤٤ من الترجمة العربية .

منفياً إلى قبرص ، و « بهاء الله » مُبْعِداً إلى عكّا ، حيث استقرّ بها مقامه ، فألقى عصا ترحاله ، وأخذ يبدط قواعد ديانته الجديدة ، التي لم يعارض بها فحسب الشريعة الإسلامية^(١) ، وإنما عارض بها أيضاً الديانة « البابية البيانية » أى البابين الجامدين ، الذين يناوئون الإصلاح ولا يريدون أن يتجاوزوا كتاب « البيان » . . .

وقد اعتبر « بهاء الله » نفسه مظهراً للروح الإلهية ، التي تجسدت في شخصه لإنقاذ كافة النوع الإنساني ، وتحقيق المساواة والإخاء بين البشر جميعاً ؛ فاعتبر رسالته عالمية ، وبعث بكتبه إلى مختلف الدول في العالمين القديم والجديد ، ودعا رؤساء الجمهوريات الأمريكية « ليستمعوا إلى سجع الحمام على أفنان الأبدية^(٢) » .

ولعلّ من الأسباب الفعالة القوية التي ساعدت « بهاء الله » على رفعة قدره ، وعلوّ شأنه بين أتباعه ، حتى بلغ عندهم مرتبة السكّان الإلهي ، ما امتاز به من مواهب التنبؤ بالغيب والفراسة الصادقة ، ويحدثنا الرواة أنه بعث لنا بليون الثالث برسالة ، تنبأ له فيها بسقوطه الداهم قبل هزيمة « سيدان » بأربع سنوات^(٣) ، وهكذا كانت أمثال هذه النبوءات ، التي يتاجر بها المشعبدون ، خير تمهيد عند أتباعه لقبول أباطيله وأراجيفه ، دون نقد أو تمحيص .

وقد حتّ « بهاء الله » أتباعه وتلاميذه على العناية بدراسة اللغات الأجنبية ، حتى يتهيأ لهم الاستعداد لبعث البعوث التي تقوم بالدعاية والتبشير لديانته العالمية ، هذه الديانة التي يرى فيها صاحبها أنها جديرة بجمع شمل الإنسانية تحت لوائها .

وقد تحرّر النبي « بهاء الله » من كل القيود الدينية ؛ الإسلامية^(٤) منها أو الخاصة بالديانة « البابية » القديمة ، التي انسلخ منها وأوسعها نقداً وتجريحاً ، بعد أن كان من أشد الناس تحمساً لها وانتصاراً لمبادئها ، وقد افترض صاحبنا أن الشريعة

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام لجولد زيهر Goldziher من ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق من ٢٤٦ .

(٤) نفس المصدر .

الإسلامية قد نُسِخت تماماً، وأن عهداً قد انقضى وباد؛ فبطلت أحكامها وأصبحت تاريخاً من التاريخ، فلحقت بذلك بالديانات البائدة^(١). ، وهو في هذا يترسم خطأ استأذ « الباب »

وقد جاءت ديانتها بطقوس وأوضاع جديدة للصلوات والعبادات؛ فنسخت صلاة الجماعة بمراسمها الخاصة، وأمرت الناس بالصلاة فرادى، ولم تحتفظ بصلاة الجماعة إلا في الصلاة على الموتى، على أن الصلاة نفسها تختلف في « البهائية » عنها في الإسلام اختلافاً جوهرياً في أقوالها وفي أفعالها، وحتى في القبلة فقد حولتها « البهائية » من مكة إلى المكان الذي يقيم فيه « البهاء » - ذلك الذي جعله الله مظهراً من مظاهره - تدور معه حيثما دار وأينما حل^(٢) ١

وقد عالجت « البهائية » الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية؛ فحرمت الحرب تحريماً قاطعاً إلا دفاعاً عن النفس، كما منعت الرق منعاً باتاً؛ لأنها تدعو إلى المساواة بين أفراد الجنس البشري، وقد جعلت من هذه المساواة لباً ته ليمها؛ فعنفت « بهاء الله » - فيما زعم أنه سورة أوحيت إليه سَمَّها سورة الملوك - سلطان تركيا تعنيفاً شديداً؛ لأنه فرَّق في الحقوق والامتيازات بين طوائف السكان^(٣)

واتجهت « البهائية » أيضاً نحو الصِّلات الزوجية، فعملت على إصلاحها وتنظيمها، وهي التي سبق أن وجَّه « الباب » إليها الكثير من عنايته، ومثَّل « البهائية » الأعلى في هذا الصدد، هو الافتقار على زوجة واحدة، بيد أنها قد أباحت التزوج باثنتين في حالات خاصة مستثناة، مع ملاحظة أن ذلك هو الحد الأقصى لتعدد الزوجات. وأقرت « البهائية » الطلاق، ولكن في حدود الضرورات الإنسانية، وهو يختلف في بعض صورته عما جاء في الشريعة الإسلامية^(٤). وليس للوظائف الكهنوتية وجود

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٤٧

(٢) نفس المصدر .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٦

(٤) المصدر السابق

عند « البهائية » ، وكل معتنق لهذه الديانة العالمية — كما يزعم مبتدعوها — عليه أن يخصص نفسه لأداء عمل منتج نافع للمجتمع الإنساني كله .

ولا يشك لقيف من الباحثين في أن مبادئ « بهاء الله » الأخلاقية ، إنما هو صدق للمسيحية ، غير أنه يدعى نظاماً دينياً ، وفكرةً ترجع في أصلها إلى انتظار رجوع الإمام الثاني عشر الشيعي محمد بن الحسن العسكري ، ويقول هؤلاء الباحثون : « ومهما كان مقدار ما أضافه بأسلوبه في اختيار الآراء المستحسنة لتوسيع تعاليمه ، فإن نفوذه يستند على ادعاءات « الباب » الذي وجد فرصته للظهور في اضطراب « الشيخية » في انتظار عودة الإمام الغائب » .

وقد أصبحت الحركة « البابية » منذ قيام « بهاء الله » هذا بدعوته لا تنسب إلى « الباب » ؛ فقد آثر الناس أخيراً أن يطلقوا على هذه الفرقة — التي تفرعت عن مذهب السيد علي محمد الباب ، والتي انتشرت تعاليمها شيئاً فشيئاً ، حتى اكتسحت بعنف المذاهب الأخرى المنافسة لها — اسم « البهائية » ، وبه أيضاً نسمي أتباعها ليمتازوا بذلك عن الحفنة الباقية من « البايين » المحفظين أتباع « صُبح أزل » المستمسكين — في جمود — بكتابتهم « البيان » معتبرين الخروج على تعاليم قيد أنملة ، خروجاً على ديانة « الباب » السماوية .

وقد توفي « بهاء الله » في ١٦ مايو عام ١٨٩٢ م ، وانتقلت بذلك رسالته إلى ولده وخليفته « عباس أفندي » الملقب « عبد البهاء » و « غُصْن » أعظم — دون أن تلاقى بهذا الانتقال معارضة تذكر ، وقد وسّع « عبد البهاء » في التعاليم التي ورثها عن أبيه ، وسعى تدريجياً في أن يوفق بينها وبين صور التفكير الغربي الحديث ، فاقتربت « البهائية » من هذا التفكير اقتراباً ملحوظاً ، كما سعى « عباس أفندي » للتحلل بقدر الإمكان من وطأة الخرافات الأسطورية وأضاليل الخوارق ، التي كانت لا تزال عالة بالمراتب الروحية السابقة ، إن لم يكن قد ابتذنها كلها جانباً وطرحها وراء ظهره لا يلوى على شيء . وكثيراً ما استعان بأسفار المهديين القديم

والجديد في تطعيم رسالة أبيه ، محاولاً بذلك أن يؤثر في بيئات أوسع مدًى ، من تلك التي نشر فيها أبوه ديانته الجديدة .

وقد توفي « عبد البهاء عباس » بمدينة حيفا عام ١٩٢٢ م بعد عمر مديد ، إذ شارف الثمانين ، ويلوح أنه كان شخصية فذة قوية جذابة ، حتى لقد أنس به وأحبه ، الكثيرون ممن ليسوا على دينه ، وجزعوا لموته جزعاً كبيراً .

وقد انتشرت الديانة « البهائية » انتشاراً واسعاً في أوروبا وأمريكا ، لا سيما عند ما قام الدكتور « خير الله » — أحد أتباع « عبد البهاء » المعجبين به ، المتحمسين لديانته — بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٢ ، لإلقاء محاضرات تبشيرية للدعوة إلى هذا الدين ، فنجح في مهمته نجاحاً كبيراً ، واستطاع بذلك جذب الآلاف من الأمريكيين إلى حظيرة « البهائية » .

يقول سيد الباحثين العلامة « جولدزيهر » Goldziher :

« إن النزعة العالمية الواسعة التي اتصفت بها البهائية ، قد جمعت حولها الأتباع والأناصر ، لا من مساجد المسلمين فحسب ، بل من كنائس النصارى وبيع اليهود ونيران الجوس »^(١) .

وهكذا ازداد أعوان هذا الدين وأتباعه ، وإن كان من العسير على الباحث إحصاؤهم ؛ ويرجع ذلك إلى تكتم « البهائيين » واصطناعهم التقية وعدم الجهر بمعتقداتهم ، المناقضة تماماً للديانة الإسلامية ، وادعائهم أن هذه الديانة قد انقرضت وبطلت أحكامها ، وأن بهائيتهم دين جديد ؛ مما أثار عليهم الرأي الإسلامي العام ، وحاربهم كبار رجاله كالسيد جمال الدين الأفغانى — ذى النزعة الفلسفية ، وباعث النهضة الحديثة في الشرق — فاضطر البهائيون إلى الانزواء ، واصطناع التقية ، وإحاطة ديانتهم بسياج من السرية والسكران ، إلا حيث يجدون منتفساً في البيئات التي لا تدين حكوماتها بالإسلام .

ونلاحظ أن بعض اليهود المتحمسين للبهائية ، قد بلغ بهم الأمر أن عكفوا على أسفار العهد القديم ، واستخرجوا منها بزعمهم ما ينبي عن ظهور « بهاء الله » وولده « عباس » ، فحشروا « البهائية » في زمرة الأديان المنزلة ، المبشر بها في الكتب السماوية المقدسة^(١) .

على أننا نلاحظ أيضاً — كما لاحظ غيرنا من الباحثين — أن كلمة « بهائي » في البلاد الفارسية في العصر الحاضر قد تحورت تحوراً كبيراً ؛ فهي لا تعطينا الاندماج في هذا الفرع الأخير من « البابية » فحسب ، بل تعطينا أيضاً معنى التحرر من الديانات جميعاً ، وأن الكثيرين ممن يلقبون بها ، ليسوا في الواقع إلا عقلوين ماديين لا يعترفون بدين ما^(٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٠

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٩

المهدية في الهند

الاسلام في الهند :

يقول العلامة الفرنسي المسيو « كورديه » Cordier : « إنه لم توجد ديانة من الديانات الكبرى ، لا الزرادشتية ، ولا البوذية ، ولا النصرانية ، انتشرت بسرعة انتشار ملة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فإنها بدون عَضْد امتدت في ثلاثة قرون من البرانس إلى هملايا ، ومن قلب آسيا إلى قلب أفريقيا .

« ولم تكن أسباب سرعة هذا الانتشار سوى ضعف مملكتي بيزنطة وفارس ، وحماسة العرب الفاتحة وفروسيتهن الباهرة ، وسذاجة العقيدة التي نشروها ، ثم باختلاط الغالبين بالمغلوبين تولدت هذه الحضارة الإسلامية التي لمعت لمعاناً شديداً ، بينما كان الغرب هائماً في الظلمات »^(١) .

وقد عرف تجار العرب المسلمون البلاد الهندية قبل فتحها باسم الإسلام ، وأكبر الظن أن هذا الدين الخفيف ، قد دخل هذه البلاد — أول ما دخل — على أيديهم كمبشرين . ثم افتتح المسلمون السند وجانباً من الهند في صدر الإسلام ، إلى أن أكمل الفتح ناصر الملة ويمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي حوالى عام ١٠٠١م فرسخت قدم الإسلام في الهند من بعده وخفقت ألويته ؛ وكان إسلاماً سنيّاً ، ثم ارتحل إليها التشيع أول ما ارتحل من فارس حوالى عام ١٥١٢ م ، والتشيع هناك يكاد يكون إسماعيلياً ، والإسماعيلية بأصولهم العربية والهندوسية ، يؤلفون شطراً كبيراً من الإسلام الهندي ، ويتزعمهم الثرى الإسماعيلي المعاصر « أغا خان » .

ونحن مدينون بمعرفتنا لحالة الإسلام في الهند ، لتلك البيانات الرائعة التي حدثنا بها العلامة الطيب الذكر « جولدزيهر » Goldziher في كتابه القيم الممتع حقاً :

(١) « حاضر العالم الإسلامى » : (تعليقات شكيب أرسلان) - ٢ - ص ٢٦١ الطبعة الثانية .

« العقيدة والشرعية في الإسلام » ، وهي حالة تستحق من الباحثين — كما يرى « جولد زيهر » بحق — عناية خاصة ، ودراسة مستقلة لما فيها من ظواهر فريدة لا متزاج الوثنية بالإسلام^(١) ، لا نكاد نعثّر عليها في أى قطر آخر من تلك الأقطار التي افتتحتها وغزاها هذا الدين الحنيف ، ولا بدع فالهند قارة متباينة الأجناس ، مختلفة اللغات ، تروج فيها أنواع شتى من الديانات ، ولا يكاد يربط بين ساكنيها رباط من جنس أو لغة أو عقيدة^(٢) .

يقول العلامة الأمريكي « لوثرروب ستودارد » Lothrop-Stoddard :

« الهند بلاد الغرائب والمتناقضات ، تشتمل على وحدة جغرافية طبيعية ، من حيث إنها لم يتألف فيها شيء من الوحدة السياسية في عصر من خاليات عصورها ، ولما كانت البلاد زاخرة بمختلف من الأقوام المتحدرة من الأروم المتنازعة والعروق المتقاطعة في كل عصور التاريخ ، كان ذلك مذهباً لحولها وقوتها فعجزت عن صدّ الفاتحين ، ولم تقو على الوقوف في وجه أهل الغلب والاجتياح ، الذين توالوا عليها دوراً بعد دور .

« وليس هذا بالأمر الغريب ، وأهل البلاد المتباينون عرقاً وأرومة ، لم يختلطوا بعضاً ببعض ، بل ظلوا منقسمين انقسامات لا تحصى ، يتعادون ويتنازعون وهم على ما لا نهاية له من الفوارق ، دماً ولغة وتهذيباً وديناً^(٣) » .

والفتح الغزنوي لتلك القارة ، وإن كان بلا ريب قد استحدث شيئاً وأضاف للحضارة الهندية جديداً ، إلا أنه لم يستطع قط أن يغير أو يبدّل من الأشكال

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام « الترجمة العربية » ص ٢٥١ وما بعدها .

(٢) انقسمت القارة الهندية أخيراً ، بعد جهاد طويل إلى مملكتين مستقلتين استقلالاً داخلياً ، وهما « هندستان » أو « الهند » الهندوسية ، و « باكستان » الإسلامية ، ويخضعان في سياستهما الخارجية للسياسة البريطانية ، وقد انفردتا أخيراً بالاستقلال أيضاً في هذه السياسة ، حتى لقد جئتنا في بعض الأحيان للناحية المضادة للسياسة البريطانية ، مما جعل لهما مكانة فريدة بين دول العالم ، وإن كانت الاضطرابات والقلق — مع الأسف الشديد — تسود بين المملكتين حول موضوع « كشمير » الذي لم يجد حلاً حتى الآن .

(٣) أنظر حاضر العالم الإسلامي : The New Word of Eslam « الترجمة العربية » ج ٤ ص ١٧٧ الطبعة الثانية .

المختلفة للديانات الهندية ، التي احتفظت بكامل كيائها في المجتمع الهندي إبان الحكم الإسلامي . ومع أن الديانة الإسلامية قد استطاعت حقاً أن تغزو هذا المجتمع المملوك المنحل ، وتصل من النجاح إلى حدّ انزواء « البراهمية » ، وإسلام الكثيرين من أتباعها ، إلا أننا نجد أن القرآن الكريم — وهذه ظاهرة ملحوظة — لم يحتل قط من نفوس هؤلاء المسلمين مركز « الفيدا » ^(١) .

والباحث في علم الأديان المقارن — والهند مدرسة كبرى لذلك العلم — يستطيع بسهولة ويسر أن يضع يده على تلك الآثار البارزة ، التي حدثت نتيجة لتلقيح أديان القارة الهندية المختلطة للدين الإسلامي ، ذلك الدين الجديد الوافد إلى أراضيها من بعيد ؛ فهؤلاء البراهميون الذين خرجوا من « البرهمية » ليدخلوا حظيرة الشريعة الإسلامية أفواجاً وجماعات ، قد نقلوا معهم — دون شك — إلى حياتهم الإسلامية الجديدة الكثير من آرائهم ومبادئهم وتعاليمهم الاجتماعية والدينية ، كما قاموا في الوقت نفسه بتعديل بعض التعاليم السائدة في الإسلام ، تعديلاً يتفق وعقائدهم الهندية الماضية ؛ فتقديس الأولياء — المنتشر في بيئات العامة من المسلمين — رغم كونه ليس من الإسلام في شيء ، قد هيأ — مع الأسف — مجالاً كبيراً للشعائر الهندية الشعبية ، في أن تتسرب وتنساب إلى الدين الإسلامي فتغزوه بقوة ونجاح ، وقد تفاقم أثرها في هذا الدين شيئاً فشيئاً ، حتى أنتجت — ولاسيما في النشيع الهندي كما لاحظ ذلك بحق العلامة « جولدزيهر » Goldziher — ظواهر دينية فريدة تسترعى النظر ؛ فقد تحولت الآلهة الهندية القديمة إلى مجموعة من الأولياء ، وصبغت الأماكن المقدسة بالصبغة الإسلامية ، فامتزجت الديانات الوثنية بالإسلام ، حتى يرى الباحث أن العبادة الظاهرية المحضة لله الواحد ، والتلاوة السطحية للقرآن ، وانباع السنن الإسلامية دون نظر أو تفكير ، قد قامت بجانبها بصورة قوية صريحة عيادة الموتى والشرطيين وغيرها من الأساطير الهندية القديمة ^(٢) .

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ .

ويقول الدكتور « تيتوس » :

« في بلاد كالهند نرى غالب المسلمين فيها من الطوائف الهندوكية الدنيا ، التي اعتنقت الإسلام إما رهبة من القوة الحربية ، أو رغبة في نوال أسرى رجونه ، أو بدافع الإغراء . وإسلام هؤلاء كان بطبيعة الحال إسلاماً سطحياً ، فلم تصل روح هذا الدين قط إلى قلوبهم ، وإنا لنرى بين هؤلاء طوائف كبيرة متفرقة ، تتم حياتها الدينية والاجتماعية في كل مناسبة تقريباً عن أصلها الهندوكي ، وهي مزيج غريب من القديم والجديد ، ولا نعجب من هذا كثيراً فجيوش المسلمين قد زحفت على البلاد موجة بعد موجة في فترات مختلفة ، واستمر ذلك قروناً ، وكان ضغط البيئة الوثنية على من اعتنقوا الإسلام كبيراً ، وقد قام بجانب هؤلاء المسلمين ، جيرانهم وأقاربهم الوثنيون فلا عجب أن تبقى عبادة الأوثان في القرى كما كانت ، وأن تبقى العقائد الوثنية قائمة ، وأن يظل الفسوس البراهمة يؤدون عملهم ، وأن تظل الأعياد الهندوكية مرعية . وليس موطن العجب في أن يتمسك الناس بهذه العقائد والعادات الموروثة ، بل العجب أنهم مع ذلك يدينون بالإسلام^(١) » .

وهذه الحالة المؤسفة حقاً في الإسلام الهندي ، قد آلمت الكثيرين من رجال الإسلام السنّي بالهند ، المتأثرين إلى حد كبير بالتعاليم الوهاية الصارمة ، فدفعتهم إلى العمل على تطهير الإسلام مما شابه من الشوائب ، والرجوع به إلى حالته الأولى النقية الخالصة مع الخيلولة دون تعلق المسلمين بالأولياء ، الذين ليسوا في الواقع سوى صورٍ منقولة عن آلهة الديانات الهندية .

وفي هذا المعترك قام الكثيرون من دعاة « المهديّة » في الهند ، بنشدون الإصلاح بدافع من غيرتهم الدينية ، ويطول بنا المقام لو تحدثنا عن هؤلاء الدعاة جميعاً ، فسنعصر دراستنا على اثنين منهم كانا أبعدهم خطراً ، وأعظمهم أثراً ، هما أحد الباريلى وأحد القادياني .

(١) عن « وجهة الإسلام » بتصرف تعريب محمد عبد الهادي أبي ريدة .

الباريلية

دفعت النزعة الوهابية في الهند حفيداً للحسن بن علي^(١)، هو السيد أحمد بن محمد الباريلي على القيام برسالته الإصلاحية، وادّعائه المهدية. وقد وُلد صاحبنا هذا بمدينة «باريلي» في غرة المحرم عام ١٢٠١هـ = ٢٤ أكتوبر عام ١٧٨٦ م، وتلقى دروسه الأولى بمدينة «لكهنؤ»، ثم حدها تعطشه للعلم وشغفه به إلى التوجه إلى «دهلي» حيث درس عام ١٢٢٢هـ = ١٨٠٧ م على الشاه عبدالعزيز الصفوي، المتمتع إذ ذاك بنفوذ علمي واسع، وهو الابن الأكبر للصوفي الكبير الشاه وليّ الله، الذي كان من أشد الناس تأسفاً على حالة الإسلام في الهند، وشوقاً إلى تطهيره من أدران الوثنية الهندية، حتى ليقال إنه هو الذي أوحى إلى السيد أحمد الباريلي، بأن يقوم بدعوته بعد أن مال إليه وأنس منه الإخلاص للدين، وصدق العزيمة في الجهاد. وقد تمسكن ذلك الصوفي الكبير من إقناع الشاب — كما يقول الرواة — بأنه «صاحب الزمان» و«المهدي» المنتظر، الذي يتم على يديه صلاح حال المسلمين في الهند؛ فبادر السيد أحمد وادّعى المهدية، وسرعان ما ذاع صيته، وامتد نفوذه، واعتنق آراءه الوهابية آلاف المسلمين، وبويع له في كل مكان على أنه «المهدي» المنتظر. وقد عمل هذا المهدي الجديد خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، على نشر المذهب الوهابي في بقاع مختلفة من الهند الإسلامية، كما جدّ في تنقية الدين الإسلامي الخفيف من أدران الوثنية الهندية، التي غشيتها غشياناً ظاهراً، بصورة صارخة في عبادة الأولياء وما يتصل بها من التقاليد الأسطورية، مما يابأه الإسلام الصحيح وتنكره الوهابية — بحق — أشد الإنكار. ولم يدخر «الباريلي» جهداً في القيام بدعاية تبشيرية دينية واسعة النطاق بين الهنود، لترغيبهم في اعتناق الديانة

(١) يزعم الرواة أنه الحفيد السادس والثلاثون. !، أنظر: دائرة المعارف الإسلامية

الإسلامية ، حتى ليقول بعض المؤرخين في هذا الصدد : إن نيقاً وأربعين ألفاً من الهندوس قد اعتنقوا الإسلام تحت تأثير دعوته القوية^(١) .

وفي عام ١٢٣٢ هـ = ١٨٢١ م اعتزم مهدي الوهابية الهندية زيارة الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج ، وفي طريقه إليها عرج على « كلكتا » فأقام بها عدة أشهر يث فيها دعوته الإصلاحية ، وقد كانت في جملتها ترمي إلى إعادة الحياة الإسلامية إلى بساطتها الأولى ، ثم توجه إلى الحجاز حيث أدّى فريضة الحج ، وبعد عامين أى حوالى ١٨٢٣ م عاد إلى الهند وهو أكثر حماساً لمبادئه ، وأشدّ غيرة وأمضى عزيمة .

وأكبر الظن أنه رأى أن الوسائل السلمية لا تجدى في نشر دعوته ، رغم ما أحرزه من نجاح ، فأخذ يعدّ العدة لإعلان الجهاد في « البنجاب » متذرعاً بتحرير المسلمين القاطنين في ذلك الإقليم من نير « السيخ » ، ولما وثق السيد أحمد من معاونة مسلمي « كابل » و « قندهار » قام بحملته عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م ، وسار في جيش لجب وجموع غفيرة من أنصاره المتحمسين ، واشتبك مع « السيخ » في معارك دامية ، وبعد عدة أعوام كانت الحرب فيها سجالاً بين الفريقين . نشبت المعركة الفاصلة في « بالسكوت » عام ١٢٤٦ هـ = ١٨٣١ م ، وفيها دارت على المهدي الدوائر فلاقى مصرعه ، وفرتّ فلول جيشه المتحطم لاتسكاد تلوى على شيء ، ومع أن مغامرة الجهاد ، وما ارتبط بها من محاولات سياسية ، قد انتهت — كما يقول العلامة « جولدزيهر » Goldziher — بهذه النهاية المؤلمة ، إلا أن الحركة الدينية التي ابتعثها المهدي الوهابي « أحمد الباريلي » بين الجماعات الإسلامية ، ظلت بعد وفاته قوية الأثر في الإسلام الهندي^(٢) .

(١) أنظر دائرة المعارف الإسلامية . مجلد ١ ص ٤٩٦

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٥٣

الأحمدية أو القاديانية

على أطلال « الباريلية » المتهمة ، وبدافع من الغيرة الدينية ، قامت أحدث فرقة إسلامية في العالم الإسلامى وهى « الأحمدية » الناجمة من « البنجاب » — أو أرض الأنهار الخمسة ، وهى إحدى الولايات التى تشغل الركن الشمالى الغربى من الهند ، وتعتبر اليوم أهم جزء فى كيان دولة « باكستان » الهندية الإسلامية الوليدة — فى « قاديان » إحدى مدن البنجاب وُلد — حوالى منتصف القرن التاسع عشر — مؤسس هذه الفرقة « ميرزا غلام أحمد القاديانى » وسط معتزك متضارب من التيارات العقلية، ولما شبَّ واكتمل ، اتخذ من سلفه « أحمد الباريلى » استاذاً، وادَّعى — هو الآخر — أنه « المهدي » الذى ينتظره المسلمون ، وقام يحدثنا — كما حدثنا كثير من الدعاة — أن النبى عليه السلام قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها » ، واستناداً على هذا الحديث — الذى طالما اتخذته الدعاة وسيلة لظهورهم ، والذى يرجع تاريخ وضعه إلى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى — زعم « القاديانى » أن الله قد اصطفاه وبعثه على رأس القرن الرابع عشر الهجرى ، ليجدد مابلى من معالم الدين ويحيى ما اندثر من شعائره ^(١) .

وقد كانت البذور الإصلاحية التى ألقاها « أحمد الباريلى » من قبل ، تعمل فى نفوس المسلمين الهنود الملتهمين حماسة وغيرة ، وتدفعهم إلى الإصلاح بعنف وقوة ، وبذلك تمكن « القاديانى » — فى سهولة ويسر — من الجهر بهديته عام ١٨٨٠م ؛ حيث ظهر المجلد الأول من كتابه « براهين أحمدية » مفعماً بالدلائل والحجج ، التى رآها تؤيد دعواه ، بيد أنه لم يطالب أصحابه بالبيعة إلاّ فى ٤ مارس عام ١٨٨٩م ^(٢) عندما كثر أتباعه وقوى عوده .

(١) العقيدة والفرقة فى الإسلام ص ٢٦٠

(٢) أنظر ما كتبه العلامة « هوتسما » Houtsma عن « الأحمدية » بدائرة المعارف

الإسلامية ، مجلد ١ ص ٥٠٤ « الترجمة العربية » .

ولما وجد أن في الآثار الملققة ، ما ينبئ بأن ظهور « المهدي » سيكون مقروناً ببعض الظواهر الفلكية ، سارع فأول كسوف الشمس وخسوف القمر ، الواقعين في رمضان عام ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، لصالحه ، ودعم بوقوعها مهديته بلباقة وفتنة^(١) . وأكبر الظن أن صاحبنا هذا — هو الآخر — كان ذا فراسة صادقة ونبوءات لا تخطئ ؛ فقد حدثنا الرواة^(٢) أنه تنبأ بحدوث كوارث فادحة من الطاعون والزلازل ، كما تنبأ بوفاة بعض الأفراد ، وقد صدقت — بطريق المصادفة — نبوءاته هذه ، فاستغل ذلك استغلالاً حسناً في ترويج بضاعته .

ومهدية « القادياني » هذه تلفت — بحق — نظر الباحثين ؛ فهي من نوع جديد ، يكاد يخالف تماماً عقيدة « المهدي » كما جاءت في الروايات المتسمة بالصبغة الإسلامية ، سواء في ذلك الإسلام الشنئ والشمي ؛ فهديّة الروايات الإسلامية ، تصور لنا « المهدي » قائداً حربياً يقاتل الكفار بالسيف ، وتلج في هذا التصوير ، وتلج فيه ، بينما مهديّة « القادياني » لأول مرة في التاريخ الإسلامي تنسم بالطابع السلمي ؛ إذ يقول « القادياني » : « إن مهمة المهدي هي الدعوة إلى الإسلام ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلمية »^(٣) .

وبذلك أسقط مهدينا هذا فريضة الجهاد من الفرائض الإسلامية ، وحجّب إلى أتباعه المسالمة والتسامح ونهاهم عن التعصب ، وقد أظهر هو وجماعته الولاء الخالص للحكومة البريطانية ، التي أمّنت جانبيهم ، وتركهم يبشرون بمذهبهم السلمي ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا لا تنظر بعين الارتياح ، إلى أي حركة تنسم بطابع « المهدي » في العالم الإسلامي ، بل تسارع من فورها فتقضى عليها وليدة في مهدها ، وذلك بعد الدروس القاسية التي تلقتها عن مهدي السودان .

ولم يكتف « القادياني » بمخالفته للإسلام في إسقاطه فريضة الجهاد فحسب ،

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٦٠

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥

(٣) أنظر « هوتسما » Houtsma في دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٥ ، وانظر

أيضاً « جولدزهر » Goldziher في « العقيدة والشريعة في الإسلام » ص ٢٦٠ وما بعدها .

بل نجده أيضاً قد خالف العقائد الإسلامية الصريحة مرة أخرى مخالفة تامة في عقيدته في « عيسى » ؛ إذ يقول — بجرأة — إن عيسى لم يصلب ولم يُرفع إلى السماء ، وإنما مات موتاً ظاهرياً ، ودُفن في قبر خرج منه بعد ذلك ، حيث توجه تلقاء « كشمير » بالهند ليعلم الإنجيل ، وهناك أدركه الموت بالغاً من العمر مائة وعشرين عاماً ، ودفن في قبر يُنسب خطأ لولّى يدعى « يوس أساف » ، وقد خرج « القادياني » بدعواه هذه على الروايات الإسلامية والمسيحية على السواء ، وهي تلك الروايات المتعلقة بحياة عيسى ^(١) .

وقد كان مهدي قاديان — بحق — كاتباً بارعاً وافر الإنتاج ؛ فبسط مذهبه للمسلمين في أكثر من ستين كتاباً دينياً ، في الفقه والعقائد باللغتين العربية والأوردية ، وساق فيها الأدلة التي رآها مؤيدة لمهديته ومساندة لمذهبه ، وكان الرجل محباً للعلم فحببه إلى أتباعه ، وحشهم على التزود منه بأكبر قدر مستطاع .

وقد وجدت اللغة العبرية — لغة الكتاب المقدس — مكاناً لائقاً في برنامج المواد التي ارتأى دراستها لتلاميذه ، كما كان الرجل معنياً بالأخلاق ، فجعل الفضيلة أصلاً من أصول الإيمان ، وكان يستشهد في تعاليمه بشواهد من العهدين القديم والجديد ؛ مما يدلنا دلالة واضحة على قراءته لها وتأثره بهما ، كما كان يستشهد أيضاً بالآيات القرآنية ، وبالصحاح من الأحاديث .

وقد عمل « القادياني » على أن يكون دائماً على وفاق ظاهري مع ما جاء به القرآن في غير مسألتى « عيسى والجهاد » اللتين شذَّ فيهما ، فانفرد بآراء تناقض صراحة ما جاءت به آيات القرآن . أما « الأحاديث » النبوية فقد كان يقبل منها ما يؤيد به مهديته ويدعمها ، وفيما عدا ذلك كان كثير الشك في « الحديث » دائب النقد له ؛ فابتعد بذلك في نقط كثيرة أيضاً — كما يقول « جولد زيهير » عن المعالم الرسمية للإسلام السنِّي ، بالقدر الذي تستند فيه هذه المعالم على « الحديث » ^(٢) .

(١) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٦٠ ، وانظر أيضاً ما كتبه العلامة « هوتسما »

Houtsma بدائرة المعارف الإسلامية مجلد ١ ص ٥٠٠

(٢) العقيدة والشرعية في الإسلام ص ٢٦١

وقد توفي « أحمد القادياني » بمدينة « لاهور » في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ م ،
ثم نقل جثمانه إلى « قاديان » حيث دفن هناك ، ونقشت على ضريحه هذه العبارة :
« ميرزا غلام أحمد موعود » ، ومعنى « موعود » : المهدي المنتظر
ولم ينس « القادياني » أن يخبرنا في وصيته ، بأن مهدياً جديداً آخر سوف يظهر
من أسرته ، وسكن أحداً من هذه الأسرة لم يفكر قط في استغلال هذه الوصية ،
للقيام بدعوة إلى مهديّة جديدة ، بل استكان المجتمع لتعاليم المهدي الراحل ، وأخذوا
في نشرها في سلم ولين ؛ فازداد عديد « الأحمدية » الذين يوجدون بكثرة ظاهرة
في « البنجاب » وطن الدعوة الأول ، وإن كانوا يوجدون كذلك في غيرها من
بلاد الهند .

وفي كتاب « وجهة الإسلام » :

« من العسير أن نتكهن بمستقبل حركة الأحمدية ، كما يصعب أن نصدق أن
عقيدة جامدة كهذه ، ستقدر على البقاء طويلاً ، محاولة اجتذاب أنصار في عصرنا
هذا ، أو محاولة المحافظة على العقيدة الحالية لأنصارها دون تغيير .

« وإنا لنتساءل : هل في وسع هذا الوحي المعقد — الذي يرتكن إليه
القاديانيون ، والذي جاء في آخر الزمان ، والذي يتطلب إيماناً قوياً جداً — أن يقوى
على الثبات في هذه الأيام ، التي لم يبق فيها من الإيمان إلا النصف ، والتي نجد فيها
المتعلمين إما ممن يأخذون بالشك ، وإما ممن يحكمون العقل في المسائل الدينية ؟؟
« إن أحمدية لاهور ، قد أحسوا أنهم غير قادرين على قبول مزاعم « غلام
أحمد » كاملة ، وسيرى الفرع الأكبر لفرقة قاديان نفسه مضطراً — في يوم
قريب — أن ينقح عقائده ^(١) » .

وقد انتشرت تعاليم « الأحمدية » في البلاد الإسلامية الأخرى ، فلاقت ذيوغاً
واتشاعراً في أفغانستان ، وإيران ، وشبه جزيرة العرب ، ومصر .
وللقاديانيين صحف ومجلات بالإنجليزية والهندوكية ، يبشرون فيها بمبادئهم
وعقائدهم التي يتوقف انتشارها على مقدار ما يبذلونه من نشاط .

(١) عن « وجهة الإسلام » بتصرف ، تعريب الأستاذ محمد عبد الهادي أبي ريده .

مراجع الكتاب

- (١) « الكافي » للشيخ الصدوق ثقة الإسلام أبي جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكليني - نسبة إلى كلين إحدى قرى الرمي - (المتوفى ببغداد عام ٣٢٨ هـ) ، طبع طهران عام ١٢٨١ هـ .
- (٢) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » للإمام أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفى عام ٤٥٦ هـ) ، طبع المطبعة الأدبية ومطبعة المحدثين ومطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٧ هـ - ١٣٢١ هـ .
- (٣) « الملل والنحل » للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى عام ٥٤٨ هـ) على هامش الطبعة السابقة لكتاب « الملل والنحل » لابن حزم .
- (٤) « مقالات الإسلاميين واختلاف فرق المصلين » للإمام الأشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى عام ٣٢٤ هـ) ، طبع المستشرقين الألمان باستانبول عام ١٩٢٩ م .
- (٥) « فرق الشيعة » للنو بجتي أبي محمد الحسن بن الحسين بن علي (المتوفى عام ٤٠٢ هـ) طبع المستشرقين الألمان باستانبول .
- (٦) « الفرق بين الفرق » للبغدادى أبي منصور عبد القاهر بن طاهر (المتوفى عام ٤٢٩ هـ) نشر السيد عزت العطار الحسيني بالقاهرة عام ١٩٤٨ م .
- (٧) « أصول الدين » للبغدادى أيضاً طبع استانبول عام ١٩٢٨ م .
- (٨) « مختصر الفرق بين الفرق » للرّسغنى عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف (من رجال القرن السابع الهجرى ، وهو مجهول الوفاة) نشر الأستاذ فيليب حتى بمطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٢٤ م .
- (٩) « التبصير في الدين وتمييز الفرقه الناجية عن الفرق الهالكين »

للإسفرائيلي أبي المظفر عماد الدين (المتوفى عام ٤٧١ هـ) ، نشر العطار بالقاهرة مطبعة الأنوار عام ١٩٤٠ م .

(١٠) « النهميد » للإمام الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب (المتوفى عام ٤٠٣ هـ) طبع دار الفكر العربي بالقاهرة .

(١١) « محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » للرازي فخر الدين أنى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين (المتوفى عام ٦٠٦ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ

(١٢) « اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين » للرازي أيضاً طبع القاهرة عام ١٩٣٨ م

(١٣) « فضائح الباطنية » للغزالي حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد (المتوفى عام ٥٠٥ هـ) نشر العلامة « جولد زيهر » Goldziher بليدن عام ١٩١٦ م

(١٤) « المواقف » للإيجي عضد الملة والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار (المتوفى عام ٧٥٣ هـ) طبع مطبعة العلوم بالقاهرة عام ١٣٥٧ هـ .

(١٥) « الاعتصام » للشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (المتوفى عام ٧٩٠ هـ) طبع مطبعة المنار بالقاهرة عام ١٩١٣ م .

(١٦) « تلبيس إبليس » لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (المتوفى عام ٥٩٧ هـ) طبع مطبعة النهضة بالقاهرة عام ١٩٢٨ م .

(١٧) « الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد » للخياط المعتزلي أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (من رجال القرن الثالث الهجري وهو مجهول الوفاة)

طبع دار الكتب المصرية بعناية الدكتور « نيربج » Nyberg عام ١٩٢٥ م .

(١٨) « أعز ما يطلب » لابن تومرت مهدي الموحدين أبي عبد الله الهرقي (المتوفى عام ٥٢٤ هـ) ، نشر « لوسيانى » Luciani بالجزائر عام ١٣٢١ هـ .

(١٩) « عقيدة ابن تومرت » لمهدي الموحدين أيضاً ، طبعها « الكردى » في مجموعة بالقاهرة عام ١٣٢٨ هـ .

- (٢٠) « الفتاوى الحديثية » لابن حجر الميشتى أبي العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٠٧ هـ .
- (٢١) « مسند أحمد » للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي (المتوفى عام ٢٤١ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٢) « سنن أبي داود » للشيخ الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (المتوفى عام ٢٧٥ هـ) ، طبع المطبعة الكسطينية عام ١٢٨٠ هـ .
- (٢٣) « سنن ابن ماجه » لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني (المتوفى عام ٢٧٣ هـ) ، طبع المطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ .
- (٢٤) « سنن الترمذى » ويقال له أيضاً « جامع الترمذى » أو « الجامع الصحيح » للشيخ الإمام أبي عيسى بن محمد بن عيسى السلمى الترمذى (المتوفى عام ٢٧٩ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٢ هـ .
- (٢٥) « صحيح البخارى » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى (المتوفى عام ٢٥٦ هـ) ، طبع بولاق من ١٣١١ - ١٣١٣ هـ .
- (٢٦) « صحيح مسلم » أو « الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابورى (المتوفى عام ٢٦١ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٩٠ هـ .
- (٢٧) « جامع البيان فى تفسير القرآن » للطبرى أبي جعفر محمد بن جرير (المتوفى عام ٣١٠ هـ) ، طبع بولاق من ١٣٢٣ - ١٣٢٩ هـ .
- (٢٨) « تفسير الألوسى » (روح المعانى) للعلامة شهاب الدين محمود الألوسى (المتوفى عام ١٢٧٠ هـ) ، طبع بولاق عام ١٣٠١ هـ .
- (٢٩) « شرح نهج البلاغة » أو « شرح النهج » لابن أبي الحديد عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى (المتوفى عام ٦٥٥ هـ) ، طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣٢٩ هـ .

(٣٠) « مقدمة ابن خلدون » أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الإشبيلي (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .
(٣١) « تاريخ الأمم والملوك » أو « تاريخ الطبرى » لشيخ المؤرخين — هيرودوت — العرب أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (المتوفى عام ٣١٠ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة .

(٣٢) « الكامل فى التاريخ » أو « تاريخ الكامل » أو « كامل التواريخ » أو « تاريخ ابن الأثير » للشيخ أبي الحسن عز الدين على بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى المعروف بابن الأثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

(٣٣) « تاريخ اليعقوبى » لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخبارى (قيل إنه توفى عام ٢٨٤ وقيل توفى بعد عام ٢٩٢ هـ) طبع مطبعة الفرى بالنجف الأشرف بالعراق عام ١٣٥٨ هـ .

(٣٤) « طبقات الصحابة والتابعين » أو « الطبقات الكبير » أو « الطبقات الكبرى » أو « طبقات ابن سعد » لكاتب الواقدى أبي عبد الله محمد بن سعد (المتوفى عام ٢٣٠ هـ) طبع ليدين بعناية المستشرقين .

(٣٥) « الأغانى » لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد الكاتب الأصبهاني (المتوفى عام ٣٥٦ هـ) طبع بولاق عام ١٢٨٥ هـ وطبع الساسى عام ١٣٢٢ هـ وطبع دار الكتب المصرية .

(٣٦) « مقاتل الطالبين » لصاحب الأغانى أبى الفرج طبع الحلبي بالقاهرة عام ١٩٤٩ م .

(٣٧) « مروج الذهب » للمسعودى أبى الحسن على بن الحسين بن على (المتوفى عام ٣٤٥ هـ) طبع بهامش تاريخ ابن الأثير من الجزء الأول إلى الجزء العاشر ، نشر الحلبي بالقاهرة عام ١٣٠٣ هـ .

- (٣٨) « البدء والتاريخ » للطهر بن طاهر المقدسى (من رجال أواخر القرن الرابع الهجرى) ، والكتاب منسوب خطأ لأبى زيد أحمد بن سهل البلخى (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) ، نشر « هيار » Huart بباريس عام ١٩٠٦ م .
- (٣٩) « أنساب الأشراف وأخبارهم » للبلاذرى أحمد بن يحيى بن جابر (المتوفى حوالى عام ٢٧٩ هـ) طبع القدس .
- (٤٠) « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لابن خلكان ، قاضى القضاة شمس الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلى (المتوفى عام ٦٨١ هـ) طبع المطبعة الميمنية بالقاهرة عام ١٣١٠ هـ .
- (٤١) « فوات الوفيات » للسكتى محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع بولاق عام ١٢٩٩ هـ .
- (٤٢) « مختصر الدول » لابن العبرى غريغوريوس بن أهرون أبى الفرج الملقب (المتوفى عام ٦٨٥ هـ) ، نشر الأب اليسوعى أنطون صالحانى ببيروت عام ١٨٩٠ م .
- (٤٣) « الأخبار الطوال » للدينورى أبى حنيفة أحمد بن داود (المتوفى عام ٢٨٢ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٣٣٠ هـ .
- (٤٤) « معالم العلماء فى فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً » لرشيد الدين أبى جعفر محمد بن على بن شهر آشوب السمرى (المتوفى عام ٥٨٨ هـ) ، والكتاب تنمة لكتاب « الفهرست » للشيخ أبى جعفر الطوسى ، وقد نشره فى طهران عباس إقبال عام ١٣٥٣ هـ .
- (٤٥) « تذكرة الحفاظ » للمؤرخ الجليل الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان التركمانى الذهبى (المتوفى عام ٧٤٨ هـ) ، الطبعة الثانية بميدرا بآباد بالهند عام ١٣٣٣ هـ .
- (٤٦) « دول الإسلام » وهو مختصر فى التاريخ على ترتيب السنين للإمام الذهبى أيضاً ، الطبعة الثانية بميدرا بآباد عام ١٣٦٤ هـ .

(٤٧) « البداية والنهاية » لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفى عام ٧٧٤ هـ) طبع السعادة بالقاهرة عام ١٩٣٢ م .

(٤٨) « السكامل في اللغة والأدب » لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (المتوفى عام ٢٨٥ هـ) ، نشر وشرح سيد بن علي المرصفي باسم « رغبة الآمل من كتاب السكامل » طبع القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٣٠ م .

(٤٩) « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لجبر الدين أبي اليمن القاضي عبد الرحمن بن محمد الحنبلي (المتوفى عام ٩٢٧ هـ) طبع المطبعة الوهيبية بالقاهرة عام ١٢٨٣ هـ .

(٥٠) « مختصر تذكرة الإمام أبي عبد الله الفرطبي » للشعراني عبد الوهاب ابن أحمد بن علي (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) طبع بولاق عام ١٣٠٠ هـ .

(٥١) « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » أو « الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بهما من الأخبار » أو « خطط المقرئ » للشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ (المتوفى عام ٨٤٥ هـ) طبع بولاق عام ١٢٧٠ هـ .

(٥٢) « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » للمقرئ أيضاً طبع القاهرة عام ١٩٤٨ م .

(٥٣) « رسائل الخوارزمي » لجمال الدين أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (المتوفى عام ٣٨٣ هـ) طبع بولاق (مطبعة عبد الرحمن رشدي) عام ١٢٧٩ هـ وطبع الجوائب عام ١٢٩٧ هـ .

(٥٤) « نَكْتُ الهَمَّيَّانِ فِي نَكْتِ الْعُمَيَّانِ » للصفي صلاح الدين خليل ابن أبيك بن عبد الله (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) طبع المطبعة الجالية بالقاهرة عام ١٩١١ م بعناية المرحوم أحمد زكي .

(٥٥) « الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » لابن الطقطقي

محمد بن على بن طباطبا (من مخزى القرنين السابع والثامن) طبع مطبعة الموسوعات عام ١٣١٧ هـ .

(٥٦) « العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوى السلطان الأكبر » ويعرف « بتاريخ ابن خلدون » للشيخ المؤرخ أبى زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٨٤ هـ .

(٥٧) « تاريخ بغداد » للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣ هـ) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٣١ م .

(٥٨) « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » للمؤرخ أبى الفلاح عبد الحى ابن العماد القاضى الحنبلى (المتوفى عام ١٠٨٩ هـ) . نشر حسام الدين القدسى بالقاهرة من ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .

(٥٩) « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير عز الدين أبى الحسن على ابن محمد صاحب السكامل (المتوفى عام ٦٣٠ هـ) نشر القدسى بالقاهرة من ١٣٥٧ - ١٣٦٩ هـ .

(٦٠) « صبح الأعشى فى كتابة الإنشا » للقلقشندى أحمد بن على بن أحمد (المتوفى عام ٨٢١ هـ) طبع بولاق من ١٩١٣ - ١٩٢٠ م .

(٦١) « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » لابن تقي بردى جمال الدين أبى المحاسن يوسف (المتوفى عام ٨٧٤ هـ) طبع دار الكتب المصرية ابتداء من عام ١٩٢٩ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٦٢) « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة الدينورى أبى محمد عبد الله ابن مسلم (المتوفى عام ٢٧٦ هـ) . طبع مطبعة النيل بالقاهرة عام ١٩٠٤ م .

(٦٣) « عيون الأخبار » لابن قتيبة أيضاً طبع دار الكتب المصرية من ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

(٦٤) « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة كذلك طبع « الكردى »
بالقاهرة عام ١٣٢٦ هـ .

(٦٥) « تهذيب الأسماء واللغات » للنووى أبى زكريا محى الدين بن شرف
النووى (المتوفى عام ٦٧٦ هـ) طبع منير الدمشقى بالقاهرة .

(٦٦) « تهذيب تهذيب السكالك فى معرفة الرجال » لابن حجر العسقلانى
قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن محمد السكناى (المتوفى عام
٨٥٢ هـ) طبع حيدرآباد عام ١٣٢٥ هـ .

(٦٧) « العقد الفريد » لابن عبد ربه أبى عمر أحمد بن محمد الأندلسى القرطبى
(المتوفى عام ٣٢٨ هـ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من
١٩٤٠ - ١٩٥٣ م .

(٦٨) « الفهرست » لابن النديم أبى الفرج محمد بن إسحاق بن أبى يعقوب
البغدادى الوراقى (المتوفى حوالى عام ٣٨٥ هـ) ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة
عام ١٣٤٨ هـ .

(٦٩) « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو « معجم الأدباء » لأبى عبد الله
ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (المتوفى عام ٦٢٦ هـ) طبع دار المأمون بالقاهرة .
(٧٠) « رسائل الجاحظ » أبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (المتوفى عام ٢٥٥ هـ)
نشر السندونى بالقاهرة عام ١٩٣٣ م .

(٧١) « مجموعة رسائل الجاحظ » لأبى عثمان أيضاً ، نشر الساسى بالقاهرة
عام ١٣٢٤ هـ .

(٧٢) « البيان والتبيين » لأبى عثمان الجاحظ كذلك ، نشر عبد السلام هارون
بالقاهرة من ١٩٤٨ - ١٩٥١ م .

(٧٣) « ألف باء » لابن الشيخ أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى (قيل إنه
توفى عام ٥٧٦ هـ وقيل إنه كان موجوداً عام ٦٠٣ هـ) طبع الوهبية بالقاهرة عام ١٢٨٧ هـ .
(٧٤) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويرى شهاب الدين أحمد

ابن عبد الوهاب بن محمد البكرى التيمى القرشى (المتوفى عام ٧٣٣ هـ) ، طبع دار الكتب المصرية ابتداء من عام ١٩٢٣ م ولم ينته طبع الكتاب بعد .

(٧٥) « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر » للمحقى محمد أمين بن فضل الله ابن محب الله الدمشقى (المتوفى عام ١١١١ هـ) طبع الوهيبية بالقاهرة عام ١٢٨٤ هـ

(٧٦) « ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » للخفاجى قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (المتوفى عام ١٠٦٩ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٣ هـ .

(٧٧) « المختصر فى أخبار البشر » أو « تاريخ أبى الفدا » للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفدا صاحب حماة (المتوفى عام ٧٣٢ هـ) طبع المطبعة الحسينية بالقاهرة عام ١٣٢٥ هـ .

(٧٨) « تنمة المختصر » أو « تاريخ ابن الوردى » لأبى حفص زين الدين عمر ابن محمد (المتوفى عام ٧٤٩ هـ) طبع المطبعة الوهيبية بالقاهرة عام ١٢٨٥ هـ .

(٧٩) « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » أو « تاريخ الأندلس » للمر اكشى محى الدين أبى محمد عبد الواحد بن على التيمى (من مخضرمى القرنين السادس والسابع) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ .

(٨٠) « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين » للسيوطى أبى الفضل عبد الرحمن ابن السكّال (المتوفى عام ٩١١ هـ) طبع المطبعة الميمنية عام ١٣٠٥ هـ .

(٨١) « ذخائر العقبي فى مناقب ذوى القربى » لحب الدين الطبرى أبى العباس أحمد بن عبد الله (المتوفى عام ٦٩٤ هـ) نشر القدسى بالقاهرة .

(٨٢) « لوائح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار » أو « طبقات الشعرانى » للشعرانى أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى (المتوفى عام ٩٧٣ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٦ هـ .

(٨٣) « الكشكول » للعالمى بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الرحمن الحارثى (المتوفى عام ١٠٣١ هـ) طبع بولاق عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٤) « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » لابن غلبون
أبي عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي (من رجال القرن الثاني عشر الهجري)
طبع القاهرة عام ١٣٥٤ هـ .

(٨٥) « غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة » أو « الفرر
والعرر » لوطواط أبي إسحاق جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري ،
الروى الأصل المصري المولد الكتبي الوراق (المتوفى عام ٧١٨ هـ) طبع بولاق
عام ١٢٨٤ هـ .

(٨٦) « القصائد الهاشميات » أو « هاشميات الكيت » للشاعر المتشيع الكيت
ابن زيد الأسدي (المتوفى عام ١٢٦ هـ) طبع مطبعة شركة التمدن بالقاهرة
عام ١٣٢٩ هـ .

(٨٧) « ديوان مهيّار الديلمي » للشاعر المتشيع أبي الحسن مهيّار بن مرزويه
الكتاب الفارسي الديلمي (المتوفى عام ٤٢٨ هـ) طبع دار الكتب المصرية
من ١٩٢٥ - ١٩٣١ م .

(٨٨) « ديوان ابن هاني الأندلسي » للشاعر المتشيع متنبى الغرب أبي القاسم
محمد بن هاني الأزدى الأندلسي (المتوفى عام ٣٦٢ هـ) ، طبع بولاق عام ١٢٧٤ هـ .

(٨٩) « ديوان كثيّر » أو « شرح ديوان كثيّر » للشاعر المتشيع أبي صخر
كثيّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي المعروف بكثيّر عزّة (المتوفى عام ١٠٥ هـ)
طبع الجزائر بعناية « هنري بيرس » Henri Peres من ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

(٩٠) « ديوان حسان » أو « شرح ديوان حسان بن ثابت » لحسان بن ثابت
ابن المنذر الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول (المتوفى عام ٥٤ هـ) طبع المطبعة
الرحمانية بالقاهرة عام ١٩٢٩ م بعناية الأستاذ عبد الرحمن البرقوق .

(٩١) « ديوان سبط ابن التعاويذي » لمجد الدولة والدين جمال الكتاب
أبي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي (المتوفى

عام ٥٨٤ هـ) طبع بعناية الأستاذ « مرجليوث » Margoliouth بمطبعة المفتطف بالقاهرة عام ١٩٠٣ م .

(٩٢) « اللزوميات » أو « لزوم ما لا يلزم » لشاعر المعرّة أبي العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي (المتوفى عام ٤٤٩ هـ) طبع بمطبعة المحروسة بالقاهرة بعناية عزيز زند من ١٨٩١ — ١٨٩٥ م .

(٩٣) « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى عام ٦٠٦ هـ) طبع المطبعة العثمانية بالقاهرة عام ١٣١١ هـ .

(٩٤) « لسان العرب » لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم الأنصاري الإفريقي المصري (المتوفى عام ٧١١ هـ) طبع بولاق من ١٢٩٩ — ١٣٠٨ هـ .

(٩٥) « جهرة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفى عام ٤٥٦ هـ) طبع دار المعارف بالقاهرة بعناية العلامة « ليفي بروئنسال » Provençal عام ١٩٤٨ م .

(٩٦) « مفاخر البربر » لمؤلف مجهول نشره بالرباط العلامة « بروئنسال » Provençal عام ١٩٣٤ م .

(٩٧) « معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع » للوزير أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي الأونبي (المتوفى عام ٤٨٧ هـ) طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بعناية الأستاذ مصطفى السقا من ١٩٤٥ — ١٩٥٢ م .

(٩٨) « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » أو « رحلة ابن بطوطة » لرحالة القرن الثامن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (المتوفى عام ٧٧٧ هـ) طبع مطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٣٢٢ هـ .

(٩٩) « الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » لمفتي الشافعية بمكة أحمد بن زيني بن أحمد دحلان (المتوفى عام ١٣٠٤ هـ) طبع مكة عام ١٣١١ هـ .

- (١٠٠) « الإسلام الصحيح » (الجزء الأول) للنشاشيبي محمد إسعاف طبع
القدس عام ١٣٥٤ هـ .
- (١٠١) « الشيعة في نقد عقائد الشيعة » لموسى جار الله طبع النجف الأشرف
بالمعراق عام ١٩٣٥ م .
- (١٠٢) « العقيدة والشريعة في الإسلام » Vorlesungen Uber Den Islam
المستشرق العلامة « جولدزيهر » Goldziher « الترجمة العربية » للأستاذة محمد
يوسف موسى ، وعبد العزيز عبد الحق ، وعلى حسن عبد القادر ، طبع دار الكتاب
المصرى بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .
- (١٠٣) « السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بنى أمية »
La Domination Arabe, Le Chitisme et les Croyances Messianiques
Van Vloten « ثأن قلو تن » Sous Le Khalifat des Omayyades
« الترجمة العربية » للأستاذين حسن إبراهيم حسن ومحمد زكى إبراهيم ، طبع مطبعة
السعادة بالقاهرة عام ١٩٣٤ م .
- (١٠٤) « عقيدة الشيعة » — وهو كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق
— للدكتور « دوايت . م . دونلدسن » Donaldson تعريب « ع . م » طبع
مطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٩٤٦ م .
- (١٠٥) « دائرة المعارف الإسلامية » الترجمة العربية — مواد متفرقة .
- (١٠٦) « دائرة معارف الدين والأخلاق » البريطانية : مقال للمستشرق
« مرجليوث » Margoliouth عن « المهدي » .
- (١٠٧) « دائرة معارف وجدى » لصاحبها محمد فريد وجدى .
- (١٠٨) « ضحى الإسلام » لأحمد أمين (الجزء الثالث) طبع لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٦ م .
- (١٠٩) « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » للأستاذ محمد عبد الله
عنان طبع دار النشر الحديث بالقاهرة عام ١٩٣٧ م

- (١١٠) « مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤ م .
- (١١١) « تراجم إسلامية شرقية وأندلسية » للأستاذ عنان أيضاً ، طبع دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٧ م .
- (١١٢) « أعيان الشيعة » للسيد محسن الأمين الحسيني العاملي (الجزء الثالث والرابع) طبع دمشق عام ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ م .
- (١١٣) « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » Die Renaissance Des Islams لآدم ميز Adam Mez ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ — ١٩٤١ م .
- (١١٤) « تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » Geschichte Spaniens und Porbugals, zur Zeit der Herrschaft der Almorariden und Almohaden للمؤرخ الألماني « يوسف أشباخ » Aschbach ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة من ١٩٤٠ — ١٩٤١ م .
- (١١٥) « مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي » A Short History of the Saracens لسيد أمير علي ، ترجمة رياض رأفت طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨ م .
- (١١٦) « في التصوف الإسلامي وتاريخه » للأستاذ « نيكلسون » Nicholson ترجمة الأستاذ أبي الملا غنفي ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٧ م .
- (١١٧) « وجهة الإسلام » تعريب محمد عبد الهادي أبي ريده ، طبع القاهرة
- (١١٨) « حاضر العالم الإسلامي » The New World of Islam للعلامة « ستودارد » Stoddard ترجمة عجاج نويهض وتعليقات شكيب أرسلان (الطبعة الثانية) طبع القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- (١١٩) « تاريخ السودان القديم والحديث » لنعم شقير ، طبع القاهرة .
- (١٢٠) « السودان بين يدي غردون وكتشنر » لإبراهيم فوزي ، طبع القاهرة .

- (١٢١) « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجى زيدان ،
طبع مطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٠٢ م .
- (١٢٢) « تاريخ مصر الحديث » لجرجى زيدان أيضاً ، الطبعة الثانية بمطبعة
الهلال بالقاهرة عام ١٩١١ م .
- (١٢٣) « الإيقان » لبهاء الله ميرزا حسين على ، نشر الجمع البهائي بالقاهرة .
- (١٢٤) « السكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية » للبحاث ميرزا
عبد الحسين آواره ، ترجمه عن الفارسية أحمد فائق رشد (الجزء الأول) ، طبع المطبعة
العربية بالقاهرة عام ١٩٢٤ م .
- (١٢٥) « معجم المطبوعات العربية والمعرّبة » ليوسف إليان سرركيس ، طبع
القاهرة ١٩٢٨ - ١٩٣١ م .
- (١٢٦) « القاموس المحيط » لمجد الدين الفيروزابادي محمد بن يعقوب بن محمد
ابن إبراهيم (المتوفى عام ٨١٧ هـ) ، طبع المطبعة المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٣ م .

فهرست

لأعلام الأناسى والعقائد والفرق والأماكن والبلدان

(١)

ابن تغرى بردى أبو المحاسن : ص ١٧٧
 ابن تومرت مهدى الموحدين : ص ١٨٥
 ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٠
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦
 ابن التويم : ص ٢٠٧
 ابن جامع السهمى : ص ٦٦
 ابن جرير : انظر : الطبرى
 ابن حبان : ص ٨٩
 ابن حجر : ص ٧١ ، ٨٩ ، ١٣٦
 ابن حزم : ص ١٣ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ابن الحنفية : ص ٤٨٢٦ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٩
 ابن حوقل : ص ١٠٤
 ابن الخطاب : انظر : عمر
 ابن خلدون : ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ابن خلكان : ص ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩
 ابن خولة : انظر : ابن الحنفية
 ابن ديسان ميمون : ص ١٧٠
 ابن الرومى : ص ٥٤ ، ٦٦
 ابن الزبير : ص ٦١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣
 ابن الساجر (راوية الحميرى) : ص ١٥٦
 ابن سبأ : انظر : ابن السوداء
 ابن سعد : ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 ابن السكيت : ص ٥٧
 ابن سلام : ص ١٥٠ ، ١٥٢
 ابن السوداء عبد الله بن سبأ : ص ٨ ، ٢٨

أبا (موقعة) : ص ٢٣٢ ، ٢٣٣
 آب تركى (جزيرة) : ص ٢٠٠
 الاباضية : ص ١٧٣
 أبان بن عثمان ص ١٠٣
 الأبتى : انظر : كثر النواء
 ابراهيم بن الأشتر : ص ١٠٠
 ابراهيم الامام العباسى : ص ٨٦ ، ١١٥
 ابراهيم بن جعفر المتقى : ص ١١
 ابراهيم الخليل عليه السلام : ص ١٤ ، ١٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ٢١١
 ابراهيم الدولابى الكردفانى : ص ٢٣٥
 ابراهيم بن الرسول : ص ١٢١
 ابراهيم بن العباس الصولى : ص ٦٦
 ابراهيم بن عبد الله بن الحسن : ص ٥٩ ، ١١٣ ، ١١٥
 ابراهيم فوزى : ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٣
 ابراهيم بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 ابراهيم الموصلى : ص ٦٦
 الأبتوية : ص ١١٠
 إبليس : ص ٦٤ ، ١٤١ ، ١٤٤
 ابن الأثير : ص ١ ، ١٣ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ١٠٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٠
 ابن أروى : انظر : عثمان بن عفان
 ابن الأشعث حمدان قرمط : ص ١٧٠
 ابن أبى الحديد : ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ٧٥
 ابن أبى الشوارب : ص ٦٤
 ابن أبى مريم المدينى : ص ٦٦
 ابن باب : انظر : عمرو بن عبيد
 ابن بطوطة : ص ١٣٠
 ابن البيهقي أبو بكر بن على الصنهاجى :
 ص ١٨٧ ، ١٩٥

٢٥٢

أبو بكر الباقلاني : ص ١١ ، ٢٣ ، ٢٥
 أبو بكر الطرطوشي : ص ١٨٨ ، ١٨٩
 أبو تراب الروزي : ص ٦٣
 أبو ثعلبة الأبار : ص ١١٠
 أبو الجارود : انظر : زياد بن المنذر
 أبو جعفر الطوسي : ص ٧٤
 أبو جعفر الصدوق : انظر : محمد بن علي
 ابن بابويه
 أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي : ص ٥٤
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٨٠ ، ١٨٤
 أبو الحكم القيسي : ص ١٠٧
 أبو حنيفة : الامام : ص ٢٩ ، ٦٨ ، ٨٨ ،
 ١٢٣ ، ١٢٧
 أبو الخطاب الاسدي : ص ٧٩
 أبو داود : صاحب السنن : ص ٧٠ ، ١٨٤
 أبوداود سليمان بن سفيان : راوية الحميري :
 ص ١٥٦
 أبو دهيل الجمحي : ص ٦٥
 أبو ذر : ص ٥ ، ٤٦ ، ٥٩
 أبو الزناد : ص ١١٤
 أبو سفيان : ص ٥ ، ٧ ، ٨
 أبو سلمة : داعية العباسيين : ص ٨٦ ، ٨٧
 أبو السمط بن أبي الجون : ص ٦٤
 أبو طالب : ص ١٢٣ ، ٢٠١
 أبو الطفيل الكناني : ص ٦٢
 أبو عاصم : ص ٣٩
 أبو عبد الله الجدلي : ص ١٠١ ، ١٠٢
 أبو عبد الله الشيعي : ص ١٢٨ ، ١٣٩
 أبو عطاء أفلح بن يسار : ص ٥٥
 أبو العلا عفيفي : ص ٧٣
 أبو العلاء المعري : ص ٨٣
 أبو عمر بن كيسان : ص ٦١
 أبو عبيد الله البكري الأوبني : ص ١٧
 أبو عبيدة بن الجراح : ص ٢١
 أبو عبيدة معمر بن الأشعث : ص ١٨
 أبو الفداء : ص ٥ ، ٨
 أبو الفرج الأصفهاني : ص ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٧٢ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٨
 أبو قبيس : ص ٧٣
 أبو كرب الضرير : ص ١٠٥ ، ١٥٠
 أبو محمد الفرزي : ص ١٤٨

٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ،
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٨٠
 ابن سيرين : ص ١٥٤
 ابن سينا الشيخ الرئيس : ص ٢٤١
 ابن شاذان الكندي : ص ٥٥
 ابن شهاب الزهري : ص ٨ ، ٩٦
 ابن شهر آشوب السروي : ص ٧٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠
 ابن الشيخ : انظر : يوسف بن محمد
 ابن طولون : ص ١٠٧
 ابن عباس : ص ٦ ، ٣٦ ، ٦١ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
 ١٠٢ ، ١٦٠ ، ١٨٠
 ابن عبد ربه : ص ٢ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٥١
 ابن العمري : ص ١٧٢
 ابن عدي : ص ٨٨
 ابن عربي : يحي الدين : ص ٧٣ ، ٨٣ ، ٢١١
 ابن عساکر : ص ١٠٨
 ابن عفان : انظر : عثمان بن عفان
 ابن العماد : المؤرخ الفقيه الحنبلي أبو الفلاح
 ص ٨٨ ، ١٥٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩
 ابن عمر : ص ١٨٢
 ابن علي : ص ٧٠
 ابن غلبون : ص ١٩٠
 ابن الفارض : ص ٢٧ ، ١٧٣
 ابن فخر الدين الحسنی : ص ٥٥
 ابن قتيبة الدينوري : ص ٧ ، ٣٩ ، ٧١ ،
 ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣
 ابن كثير : ص ١ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ،
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨
 ابن ماجه : ص ٧٠
 ابن مسعود : ص ١٨٠
 ابن المعتز : ص ١٦٠
 ابن المظني : ص ١٧
 ابن منظور : ص ٤٨
 ابن ميمون : عبد الله القداح : ص ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٧٠
 ابن هانئ الأندلسي : متنبى الغرب : ص ٣٢ ،
 ٣٣ ، ٣٤ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩
 ابن هبيرة : ص ١٢٠
 ابن واضح : انظر : يعقوب
 ابن الوردي : ص ٥ ، ٨
 الابواء : ص ١١٥
 أبو بكر الصديق : ص ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ،
 ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٥ ،
 ٩١ ، ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

الاستانة : ص ٢٥٦
اسحاق بن ابراهيم : ص ٤٩
اسحاق الترك : ص ١٨٤
اسحاق بن سويد العدوي : ص ٧٨
الاسفرايني : ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢
الاسكندرية : ص ١٨٨ ، ١٨٩
اسلم (قبيلة) : ص ٢٤
اسماعيل بن جعفر الصادق : ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦
اسماعيل الصفوي : ص ١٣٧
اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس : ص ٨٧
اسماعيل بن محمد الحميري : انظر : السيد الحميري
اسماعيل بن مسلم المكي : ص ٣٩
أسوان : ص ٢٠٠
الاسماعيلي : ص ٢٦
الاسماعيلية : ص ٣٢ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤
اشباخ : Aschbach : ص ١٨٨ ، ١٨٩
الاشتر النخعي : ص ٥٩
الاشعري : ص ٧٨ ، ١٢٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣
اشيدراما : ص ١٨٤
أصحاب الكساء : ص ٧٨
اصطخر : ص ١٨٤
اصفهان : ص ٤٨ ، ٦١ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٥٣
الاصفهاني : انظر : أبو الفرج
الاصمعي : انظر : عبد الملك بن قريب
اعشى همدان : ص ١٠٤
الأعمش : ص ٦٢ ، ٧٧
أفا خان : ص ١٤٨ ، ٢٦٤
الأغاني : او صاحب الأغاني : انظر : أبو الفرج
أغمات : ص ١٩١
الأفشين الأشروسني : ص ٦٦
أفغانستان : ص ١٤٨ ، ٢٧٣
أفلاطون : ص ١٤٦ ، ١٦٤
الأكراد : ص ١٣٠
آل البيت : ص ١٦ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٣٧

أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية : ص ١٧٩
أبو مسلم الخراساني : ص ٤٩ ، ٦١ ، ٧٩ ، ١٨٤ ، ١٢٠
أبو منصور العجلي : ص ٧٩
أبو هاشم بن محمد بن الحنفية : ص ٧٧
أبو هريرة : ص ٣٧ ، ١١٤ ، ١٧٧
أبو الهيثم بن التيهان : ص ٣٠
أبو أيوب بن الأديب : ص ١١٣
أبي بن كعب : ص ٥ ، ٦٠
الابيض : ص ٢٢٢
الانزلة : ص ٢٠٤
الانزوم : ص ١٨
الانثاشورية : ص ٤١ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٣٩
الانيم : انظر : محمد كريم خان
الاجتهادية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٨
الاجشاش : ص ٤٣
أحد (جبل) : ص ٢
أحد : امام اليمن : ص ١٢٧
أحد أمين : ص ٢٠ ، ٤٠ ، ٨٨ ، ١٢٦
أحد الاحساني : ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨
أحد بن ادريس : ص ٢١١
أحد الباريلى : ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٦٩ ، ٢٧٠
أحد بن حنبل : ص ٦ ، ٢٦ ، ٧٠
أحد بن شميظ : ص ٦١
أحد بن عبد الله (النبي) : ص ٢٥ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١٥٧
أحد بن علي الزيدى : ص ٦٢
أحد القنادياني : ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
أحد بن محمد بن الحنفية : ص ١٧١ ، ١٧٢
الاحدية : ص ١٩٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
الاجبارية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٨
الاخلط : ص ٢٣ ، ١٥٠
أدرنة : ص ٢٥٦
آدم أبو البشر : ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٥٠
أذربيجان : ص ١٣٧ ، ٢٥٣
أرسطو : Aristote : ص ٣٥ ، ١٤٦
الازد (قبيلة) : ص ٣٠
أزد عمان : ص ٩٥
الازهر : ص ٤٧

أهل البيت : انظر : آل البيت
أهل الرقص : ص ١٥٥
أهل السنة : ص ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
٢٦ ، ٢٣ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٧ ،
١١٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ،
٢٣٧ ، ٢٤١
الأهواز : ص ٦٦
أوديموس : ص ٣٥
أوريجنس Origenes : ص ٧٩
الأوس : ص ٢
الايجي عقد الدين : ص ٩ ، ١٣٩ ، ١٧٢
ايران : ص ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٩٨ ، ٢٥٦ ،
٢٧٣
ايليه : أو الياس : النبي : ص ٤٨
ايليا منصور : ص ١٩٧
أيوب : النبي : ص ٨٢

(ب)

بابا الكنيسة : ص ١٥
الباب : انظر : علي محمد الباب
باب الوزير : انظر : حسين البشروئي
باب الوزير : ص ١٩٩
بابك الخرمي : ص ١٨٤
بابل : ص ١٧٩
البابية : ص ١٣٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
البابيون : ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
٢٥٩ ، ٢٦١
الباريلي : انظر : أحمد الباريلي
الباريلية : ص ١٩٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠
بساطية : ص ١٣٧ ، ١٧٠
البائر أبو جعفر محمد : ص ١٦ ، ٥١ ، ٧٧ ،
٨٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧١
باكستان : ص ٢٦٥ ، ٢٧٠
بالكوت : ص ٢٦٩
البخاري : الامام : محمد بن اسماعيل : ص ٦٠ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ١٧٦ ، ١٧٧
بختيشوع : ص ٦٦
البداء : ص ١٠٤
بدر (موقعة) : ص ٢ ، ٦ ، ١٢٣
البراد بن عازب : ص ٥
براهما : ص ٤٣
البراهمية : ص ٢٦٦
البراهميون أو البراهمة : ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

آل ابي سفيان : ص ١٧٧
آل ابي طالب : ص ٨٦ ، ١١٢ ، ١١٤
آل بنى سفيان : ص ٦٥
آل حرب : ص ١٥٣
آل الرسول : ص ٥٧ ، ١٠١
آل ساسان : ص ٥٩
آل المباس : ص ١١٤
آل عبد مناف : ص ٧
آل علي : ص ٥٣ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ،
٩٧ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٦
آل محمد : ص ٦ ، ٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٨٤
آل مروان : ص ٦١ ، ١١٥ ، ١٥٠
آل النبي : ص ٦٥ ، ٧١
آل هاشم : ص ٦٥
الالوسي شهاب الدين : ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥
٣٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
الوهية : ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ١٠٤ ، ١٤٨
الامام : ص ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ،
٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١١١ ، ١١٩ ،
١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٩٥ ، ٢٤٨ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦١
الامامة : ص ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ،
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤١ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ٧٦ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،
١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٤٦ ، ١٧٢
الامامية : ص ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٢٥ ،
١٢٩ ، ١٤٦
ام درمان : ص ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦
امرؤ القيس بن حجر : ص ١٥٤
ام سلمة : ص ٧١
ام فروة بنت القاسم بن محمد : ص ٨٥
آمل الشط : ص ١٢٨
آمنة بنت وهب : ص ١٢٠
أم نعيم : ص ٢٠٥
الامويون : ص ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧١ ، ١١٦ ،
١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣
امية : ص ٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ١١٢
الانجيل : ص ٨٣ ، ١٤٤ ، ٢٧٢
الاندلس : ص ٥٩ ، ١٨٨ ، ١٨٩
الانصار : ص ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠

بنو سليم : ص ١٩٠ ، ١٩١
 بنو صخر : ص ٢٤٠
 بنو ضبة : ص ٣٠ ، ١٥٣
 بنو العباس : ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٥ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٢٧
 بنو عبد شمس : ص ١٨٣
 بنو عبد المطلب : ص ١٢٢
 بنو عبيد : ص ١٣٩ ، ١٨٥
 بنو عدي : ص ١٦٠
 بنو القاسم الرسي : ص ١٢٧ ، ١٢٨
 بنو كلب : ص ١٧٧
 بنو مخزوم : ص ٧٢
 بنو مروان : ص ١٧٨
 بنو هاشم : ص ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٩
 بهاء الله : ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 بهاء الدين العاملي : ص ٨٦ ، ١٣٦ ، ١٥٠
 البهرا : ص ١٤٨
 البهائية : ص ١٢٧ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 البهائيون : ص ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢
 البوذية : ص ٢٦٤
 بيان بن سمعان : ص ٧٦ ، ٧٧
 البيانية : ص ٧٦
 بيت المقدس : ص ٦٥ ، ١٧٢
 بيروت : ص ١٨٠
 بيزنطة : ص ٢٦٤

(ت)

تبريز : ص ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
 التحكيم : ص ٢٨
 الترك : ص ٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢
 التركمان : ص ٧٧
 تركيا : ص ٧٧
 الترمذي : ص ٧٠ ، ٢٤٨
 التستري : ص ٧٣
 التعايشي : انظر : عبد الله التعايشي
 التميمي : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١
 التميمية : ص ١٧٦

جراون (الأستاذ) : ص ٢٤٢
 جريب : ص ٢٠٢
 جرسوما الزامر : ص ٦٦
 بركة فارون : ص ١٠٧
 بروفنسال Provençal : ص ١٨٧ ، ١٩٥
 بريلي (بلدة) : ص ٢٦٨
 البسامي الشاعر : ص ٥٧
 بسر بن أرطاة : ص ٥٠
 بشار بن برد : ص ٧٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥
 بشير بن سعد : ص ٧ ، ٢٢
 البصرة : ص ٦٠ ، ٩٢ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٨٢
 بعلبك : ص ١٦٠
 يفا التركي : ص ٦٦
 بغداد : ص ٤٠ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٦٠ ، ١٨٨ ، ٢٥٦
 البغدادي : الخطيب صاحب التاريخ : ص ٢٧
 البغدادي : صاحب الفرق : انظر عبد القاهر البغدادي
 البقارة : ص ٢٠٥ ، ٢٣٣
 بقيع الفرقد : ص ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٣٨ ، ٢٤٢
 بكار بن عبد الله : ص ٦٤
 بكر (قبيلة) : ص ٥٦ ، ٥٩ ، ٩٥
 البكري : انظر : أبو عبيد الله البكري
 البكرية : ص ٦٨
 بلاد البحرين : ص ٢٤٠
 البلاذري : ص ٩٨
 بلال بن رباح : ص ٢٣٢ ، ٢٥٢
 بلال بن عبد الله بن عمر : ص ١٨٣
 بلخ : ص ١٤٨
 البلخي : ص ١٨٠
 بلوخرستان : ص ١٩٧
 البلوي أبو الحجاج : انظر : يوسف بن محمد
 البنجاب : ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣
 بنو اسد : ص ٥٥
 بنو اسرائيل : ص ٨٣ ، ١٤٢
 بنو امية : ص ٢ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣
 بنو بدر : ص ٢٤
 بنو بويه : ص ١١
 بنو نمير : ص ٧٢ ، ٩٥
 بنو تميم : ص ١٦٠
 بنو جهم : ص ١٨
 بنو حسن : ص ١٢٥
 بنو حنيفة : ص ٩٦ ، ١٠٤

جمال الدين الافغانى : ص ٢٦٢
جندب بن زهير الازدى : ص ٦٢
جنكيز خان : ص ٤٣
جهريق : ص ٢٥٣
الجهمية : ص ٦٨

جهينة (قبيلة) : ص ٢٤
جوزجان : ص ١٠٨

جولدزيهر Goldziher ص ٣٢ ، ٤١ ، ٤٤ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ،
١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
جيحون (نهر) : ص ١٤٨

(ح)

حاج شريف : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
حاجر : ص ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٧٥

الحارث الاعور الهمداني : ص ٦٢
الحارث بن زياد : ص ٦٠

الحارث بن سريج : ص ١٨٣

حارث همدان (قبيلة) : ص ١٦٠

حارثة بن قدامة السعدي : ص ٦٢

حاضر بن غسان الخزاعي : ص ٦٢

الحاكم بامر الله : الخليفة الفاطمي : ص ١٤٨

حبيب بن مظهر الاسدي : ص ٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ص ٥٢ ، ٦١ ،
٦٧ ، ٩٦ ، ١٩٩

الحجاز : ص ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٩٦ ، ١٢٢ ،
١٧٩ ، ٢٢٤ ، ٢٦٩

حجر بن عدي الكندي : ص ٦٠

حجر موسى : ص ٨٢

الحجون : ص ١٦٦

حذيفة بن اليمان : الصحابي : ص ٢٦ ، ٢٧ ،
١٠٨ ، ١٧٨ ، ٢٢٢

الخرودية : ص ٦٨

حزوي : ص ١٦٣ ، ١٦٦

حسان بن ثابت : شاعر الرسول : ص ٢ ،
٤٦ ، ٢٠٧

الحسن البصري : ص ٢٦

الحسن بن الحسن بن علي : ص ٥٣ ، ٥٤ ،
١٢١

الحسن بن زيد بن محمد : ص ١٢٨

الحسن بن صالح بن حي : ص ١١٠

الحسن بن العباس المروفي : ص ١٦

حسن بن عدي : تاج العارفين : ص ١٩٧

التناسخ : ص ٤٠ ، ٧٧ ، ١٥٠

تنجانيقا : ص ١٤٨

التوراة : ص ٨٣ ، ٩٣ ، ١٤٤

توفيق : خديو مصر السابق : ص ٢١٤

التوزري : ص ١٩٦

تينتوس (استاذ) : ص ٢٦٧

تيل هلمند (بلدة) : ص ١٩٨

تيم بن مرة (قبيلة أبي بكر) : ص ٣ ، ٤ ،
٧ ، ٩٢ ، ١٥٩

تينمل (بلدة) : ص ١٩٦

تيودور : ص ٤٣

(ث)

ثعل : ص ٩٥

ثليف : ص ٩٥

(ج)

جابر بن حيان : ص ٨٨

جابر بن يزيد الجعفي : ص ٣٩ ، ٦٢

الجاحظ : أبو عثمان : ص ١٢٧

الجارودية : ص ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٢٧

الجاهلية : ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٢

الجامعة (صحيفة) : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٤

جبريل : ص ٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٧٥ ، ٨٢ ،
٨٤ ، ٨٥

جبل الجراة : ص ٢٢٢

الجحفة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩

جرجان : ص ١٢٨

جرجي زيدان : ص ٢١٤ ، ٢٢٥

جير بن عطية : الشاعر : ص ٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٨

الجزائر : ص ١٩٥

الجزيرة : ص ٦٨ ، ١٠٠

جعفر بن أبي طالب : ص ٢٥ ، ٥٦ ، ٦٩ ،
١٢٢

جعفر الاصغر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

جعفر الاكبر بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

جعفر الصادق بن محمد الباقر : ص ٣٢ ، ٧٩ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

٨٩ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ،

١٧١

جعفر بن يحيى البرمكي : ص ٦٣

الجعفرية (فرقة امامية) : ص ١٥٥

الجفر : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨

(خ)

خالد بن سعيد بن العاص : ص ٤
 خالد بن عبد الله القسري : ص ٦٥ ، ٧٧ ، ٧٩
 خالد بن الوليد : ص ٢٠٧
 خالد بن يزيد بن معاوية : ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١
 خديجة بنت خويلد : ص ١٨ ، ٦٧ ، ١١٩
 خراسان : ص ٦١ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٢٢
 الخرطوم : ص ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٣
 الخرمية : ص ١٨٤
 الخزرج : ص ٢
 الخضر : ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٦
 الخطابية : ص ٦٨
 الخفاجي : شهاب الدين : ص ١٦٢
 الخلافة : ص ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ١٢٣ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٩
 الخليفة : ص ٩ ، ١٥
 خم : غدير : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ١٧١
 خمط (أم ولد) : ص ١٢٠
 الخنق : ص ٢٠٠ ، ٢٠١
 الخوارج : ص ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٨ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٥
 الخوارزمي أبو بكر : ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٨
 خولان : ص ٩٥
 خولة بنت جعفر : ص ٩٦
 خولة (الحنفية) : أم محمد بن علي : ص ١٥٧
 الخياط المتزلي : ص ١٢٧
 خير : ص ٧٦
 خير الله : ص ٢٦٢

(د)

داب بن الكناني : ص ٦٣
 الدارقطني : ص ١٥٣
 داود بن علي : ص ٦٣
 داود : النبي : ص ٢٠٨
 الدر : ص ٢٠٠
 الدروز : ص ١٤٨
 دعلج بن علي الخزاعي : ص ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ١٤٩
 دمشق : ص ٨١ ، ١٠٧ ، ١٧٩
 دنقلة : ص ٢٠٠ ، ٢٠١

حسن العراقي : ص ٨١

الحسن العسكري : ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦
 الحسن بن علي بن أبي طالب : ص ٥ ، ٦ ، ٧٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ٢٦٨
 الحسن بن علي الوشاء : ص ٨٨
 الحسن بن القاسم : ص ٥٩
 الحسن بن القاسم البطحائي : ص ١٢٨
 الحسن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 الحسين بن اسماعيل المصعبي : ص ٥٩
 حسين البشروئي : باب الباب : ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧
 الحسين زهراء : ص ٢٠٢
 الحسين بن علي بن أبي طالب : ص ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٤٤
 الحسين بن علي : الوزير المغربي أبو القاسم : ص ٢
 حسين علي نوري : انظر : بهاء الله
 الحسين بن القاسم الرسي : ص ١٢٧
 الحشوية : ص ٦٨
 الحقيقة : ص ٧٣ ، ٨٨ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٥
 حكيمة بنت محمد بن علي : ص ١٣٠
 الحلة (قرية) : ص ١٣٠
 حمزة بن عبد المطلب : ص ٢٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ١٢٢
 حمزة بن علي : شيخ الدروز : ص ١٤٨
 حمزة بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 حصص : ص ١٧٩
 حيد بن قحطبة : ص ١٢٤
 الحميري : انظر : السيد الحميري
 الحنبلية : ص ٦٨
 حنظلة بن أسعد : ص ٦٠
 الحنفية : ص ٦٨
 حنين : ص ٣
 حواء : ص ١٤١
 حوران : ص ٢
 حيدر : لقب علي بن أبي طالب : ص ٩١
 الحيرة : ص ٩٣
 حيفا : ص ٢٦٢

الزاردشتية : ص ١٨٤ ، ٢٦٤
 زارة بن عين : ص ٦٢
 زلزل : الضارب : ص ٦٦
 زمزم : بئر : ص ٧٣ ، ١٠١ ، ١٢٢
 زنجبار : ص ١٤٨
 الزهري : انظر : ابن شهاب الزهري
 زياد بن سمية : ص ٦٠ ، ١٥٣
 زياد بن المنذر العبدي : ابو الجارود : ص ١١١ ، ١٢٥
 زيد بن حارثة : ص ١٠٨ ، ٢٠٧
 زيد بن صرحان العبدي : ص ٦٢
 زيد بن علي بن الحسين : ص ٥٨ ، ٦١ ، ٦٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٦
 الزيدية : ص ٩١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
 زين الدين الاحمائي : ص ٢٤٠
 زينب بنت نصر : ص ١٩٩ ، ٢٠١
 (س)
 السائب بن مالك : ص ٦١
 ساباط الدائن : ص ٩٤
 سالم مولى ابي حذيفة : ص ١٣
 سامرا : ص ٥٩
 السبابة : ص ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣
 سبط ابن التعاويذي : ص ٤٨
 سجستان : ص ٦١
 سفينة : ص ٢
 سدير الصيرفي : ص ٨٥ ، ٨٦
 السرداب : ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٧٥ ، ٢٤١
 سمرندى : ص ١٢٩
 سعد بن عبادة : ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨
 سعيد بن جبير : ص ٦
 سعيد بن الحسين : الداعية الاسماعيلية : ص ١٢٨ ، ١٢٩
 سعيد بن عبد الله : ص ٦٠
 سعيد بن المسيب : ص ١٨٢ ، ١٨٣
 السفاح الخليفة العباسي : ص ١١٥ ، ١١٦ ، ١٨٠
 سفيان بن عيينة : ص ٢٦
 السفيناني : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١
 السفينانية : ص ١٧٦
 سقيفة بنى ساعدة : ص ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧
 ٩٣ ، ٩١ ، ٥٨
 سل Sell : ص ١٩٧
 سلمة بن اسلم الجهني : ص ١١٣

دهلي : ص ٢٦٨
 الدور : ص ٣٥
 دوايت دونلدسن : Doneldson : ص ١٤ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢
 ديفتسكي Devitzki : ص ٧٨
 الديلم : ص ٦٦
 الدينوري : ص ١٠٠
 ديوجينيس : ص ٢٤٤
 (ذ)
 ذبيان : ص ٩٥
 الذهبي : ص ٣٩ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٨٩
 ذو الفقار : سيف النبي : ص ٨٢
 ذو قار : ص ١٦٣
 ذو النورين : انظر : عثمان بن عفان
 (ر)
 راشد بك (موفعة) : ص ٢٣٢
 الراعي : الشاعر : ص ١٥٠
 الرافضة والرافض : ص ٢٣ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٥١
 الرافعي : الامام : ص ١٠
 الراوندية : ص ٦٨
 الرباط : ص ١٨٧
 الربذة : ص ٥٩
 الربيع بن يونس : الحاجب : ص ١٥٩
 الرجعة : ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١٤٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ١٩٧
 الرسعني : ص ٢٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦
 ١٣ ، ١٢٨ ، ١٥٨ ، ١٧٢
 الرشتي : انظر : كاظم الرشتي
 رشيد الهجري : ص ٦٢
 الرضا من آل محمد : ص ٦٨ ، ١١٦ ، ٢٣٧
 رضوى : ص ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٥
 الرضي : الامام : محمد بن الحسين : ص ١٥ ، ١٦ ، ٧٤
 رفاعة بن يزيد : ص ٦١
 رقية بنت محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 الرى : ص ٨١ ، ١٨٤
 رنيه باسيه Rene Basset : ص ١٨٨
 (ز)
 الزبير بن العوام : ص ٤ ، ٣٠ ، ٧١ ، ١٢١ ، ٢٣٢
 زرادشت : ص ١٨٤

الشهرستاني : ص ١٣ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٧٥٠٣٨ ،
٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٧٢

شعبة : ص ١٢٣

الشيخ : انظر : أحد الاحسانى

الشيخية : ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ،
٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،
شيراز : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ،
الشيعة : ص ١ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
٢٨ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢٣٧ ،
٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥

(ص)

صاحب الامر : ص ٨٢

صاحب الزمان : ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ٢٤١ ، ٢٦٨

صالح بن على : ص ١١٥

الصالحية (فرقة) : ص ١١٠ ، ١٢٦

صبح أزل : ص ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٦١

صريح قریش : ص ١١٢

الصفاء (جبل) : ص ١٤١

صفين : ص ٦٤

صلاح الدين الصفدى : ص ١٠ ، ١١

صنهاجة : ص ١٩٠

صوبب : ص ٢٥٢

الصوفية : ص ٢٦ ، ٤٩ ، ٧٣ ، ٨٩ ، ١٧٣ ،
٢٤٨ ، ٢٠٣

(ض)

ضراد (جزيرة) : ص ٢٠٠

سلم المازنى : ص ١٠٨

سلمان الفارسي : الصحابي : ص ٥ ، ١٣ ،
٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢

السلمى : ص ٧٣

سليمان بن جرير الزيدى : ص ١١٠

سليمان بن ورد : ص ٤٧ ، ٦١

سليمان بن عبد الملك : ص ٤٦ ، ٤٧

سليمان بن قتة : ص ٦٥

سليمان : النبى : ص ٢٠٨

السليمانية : ص ١١٠ ، ١٢٦

السمانية : ص ٢٠٣

سمرقند : ص ١٩٧

سمية : ص ٦٥

السند : ص ٦٢ ، ٢٦٤

السواد : ص ٦٦

السودان : ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢١٩

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ، ٢٧١

السوس : (جبل أو ناحية) : ص ١٨٨ ، ١٩٦

سويقة (مكان) : ص ٥٣

الشيخ (طائفة) : ص ٢٦٩

سيد امير على : ص ١٨٧ ، ١٨٩

سيدان (موقعة) : ص ٢٥٩

السيد الحميرى : ص ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٨ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٠

(ش)

الشافعى : الامام : ص ٨٨ ، ١٢٧

الشافعية : ص ٦٨

الشم : ص ٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ،

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧

شاه زند : ص ١٩٧

شبه جزيرة العرب : ص ٢٧٣

شداد بن معقل : ص ٢٦

الشرقى بن القظامى : ص ٦٣

شريح بن هانىء الراوى : ص ٦٣

الشريرة : ص ١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٧٣ ،

١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ،

شريك : ص ٦٢

الشعبى : ص ٧٢

الشعرانى : ص ٢٧ ، ٨١

شكيب أرسلان : ص ٢٦٤

شنقيط : ص ٢٠٢

عبد القادر الجيلي : ص ٢١٣ ، ٢٢٦
 عبد القاهر البغدادي : ص ١٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ،
 ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
 ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ،
 ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
 ١٧٢
 عبد الكريم بن الفضل : الخليفة الطائع :
 ص ١١
 عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث : ص ٣٠
 عبد الله التمايشي : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦
 عبد الله بن الحسن بن الحسن : ص ٥٣ ،
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١٥١
 عبد الله بن الزبير : انظر : ابن الزبير
 عبد الله بن سبا : انظر : ابن السوداء
 عبد الله بن طاوس : ص ١١٣
 عبد الله بن عباس : انظر : ابن عباس
 عبد الله بن عبد المطلب : ص ١٢٠
 عبد الله بن علي : الخليفة المستنفي بالله :
 ص ١١
 عبد الله بن عمار البرقي : ص ٦٣
 عبد الله بن عمر العيلي : ص ٥٣
 عبد الله بن فحل : ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 عبد الله بن كامل : ص ٦١ ، ٩٨
 عبد الله بن مصعب الزبيري : ص ٦٣ ، ١٢٤
 عبد الله بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني : ص ٦٢
 عبد الله بن معاوية بن جعفر : ص ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٦١ ، ٧٨
 عبد الله بن وال التيمي : ص ٦١
 عبد المطلب : ص ٦٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠١
 عبد الملك بن قريب الأصمعي : ص ٦٣
 عبد الملك بن مروان : ص ٦١ ، ٦٧ ، ١٠٢ ،
 ١٠٦ ، ١٩٩
 عبد الملك بن ميسرة : ص ٦
 عبد المؤمن بن علي : ص ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥
 عبد الواحد بن أيمن : ص ١٠٣
 عيس (قبيلة) : ص ٩٥
 عبيد الله بن زياد : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦ ،
 ١٠٠ ، ١٥٣
 عبيد الله بن العباس : ص ٥٠
 عبيد الله بن معاوية بن يسار : ص ١٦٠
 عبيد الله المهدي : ص ١٣٩
 عتبة بن أبي لهب : ص ٤ ، ٥ ، ١٢٣
 عتيق : انظر : أبو بكر
 عثمان بن عفان : ص ٨ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٩٢ ،

(ط)

الطائف : ص ١٧٩
 الطائي : ص ١٦٥
 طارف وطريف (ابنا عبد الله بن دجانة)
 ص ١٠٤
 الطالقان : ص ١٢٥
 طاوس : ص ٦
 طبرستان : ص ٥٩ ، ١٢٨
 الطبري : ص ١ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٧ ،
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣
 الطف : ص ٥٠ ، ٦٥
 طلحة بن عبيد الله : ص ٣٠ ، ٧١ ، ١٢١
 طهران : ص ٧٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٦
 طوس : ص ١٦٣

(ع)

عائشة أم المؤمنين : ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ١
 عابس بن أبي شبيب : ص ٦٠
 عادم : سجن : ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣
 عاصم : راوي أحاديث المهدي : ص ٧٠
 عاصم بن عمر بن الخطاب : ص ١٨٣
 عامر بن عبد قيس التميمي : ص ٥٩
 عامل (جبل) : ص ١٦١
 العاملي : انظر : بهاء الدين
 عباس اقبال : ص ٧٤
 عباس الصفوي : الشاه : ص ١٦١ ، ١٦٢
 العباس بن عبد المطلب : ص ٧ ، ٨ ، ١٢٢ ،
 ١٢٣ ، ١٩٩
 العباس المري : ص ١٠٧
 العباس بن الوليد بن عبد الملك : ص ٥٢
 العباسيون : ص ٥٣ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
 ١٨٠ ، ١٨١
 عبد البهاء عباس : ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 عبد الحسين آواره : ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ،
 ٢٥٥
 عبد الرحمن بن الأشعث : ص ١٧٧
 عبد الرحمن بن الحكم : ص ٦٥
 عبد الرحمن بن شريح : ص ٩٩
 عبد الرحمن بن عوف : ص ١٢١
 عبد الرحمن بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣
 عبد شمس : ص ٣ ، ١٧ ، ١٨
 عبد العزيز بن رفيع : ص ٢٦
 عبد العزيز الصفوي : الشاه : ص ٢٦٨

القرامطة : ص ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣

قرة العين : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

القرشي : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥

قرطبة : ص ١٨٨ ، ١٨٩

قريش : ص ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٠ ، ٥١ ، ٦٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥

١٥٩ ، ١٨٤

قزوين : ص ٢٤٠ ، ٢٥٤

القطان : ص ٨٨

قطري بن الفجاءة : ص ١٣

القلقشندي : ص ١٨ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢

قلعة الطبرسي : ص ٢٤٧

قنبر : خادم علي : ص ٧٦

قندهار : ص ٢٦٩

قنسرين : ص ١٧٩

القوقاز : ص ١٩٧

قيس (قبيلة) : ص ٩٥

قيس عيلان : ص ١٩٠ ، ١٩٣

(ك)

كابل : ص ٢٦٩

كاظم الرشتي : ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦

٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

الكافي أو صاحب الكافي : انظر : محمد بن يعقوب الكليني

كتامة (قبيلة) : ص ١٢٩

كشستر : ص ٢٣٦

كثير عزة : ص ٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩

كثير النواء : الأبتز : ص ١١٠

كربلاء : ص ٤ ، ٦٠ ، ١٥٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

الكربية : ص ١٠٥ ، ١٥٠

كردي : ص ٢٠٠ ، ٢٠١

كركين خان : ص ٢٥٣

كرمان : ص ١٩٧

كرمانشاه : ص ٢٤٠

الكرماني : انظر : محمد كريم خان

الكسفية (فرقة) : ص ٧٩

كشتمه : ص ٢٠٠

كشمير : ص ٢٦٥ ، ٢٧٢

كعب الأحبار : ص ٤٨ ، ١٥٢

الكعبة : ص ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٨

فأطمة بنت عمرو : ص ١١٩

فان فلوطن Van Vloten ص ٤٣ ، ٥٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨

فخ (موضع) : ص ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، فذلك : ص ٥٠

الفرات : ص ١٣٠

الفرزدق : الشاعر : ص ٤٦ ، ١٥٠

الفرس : ص ١٣٧

فرعون : ص ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٢٦

الفسطاط : ص ١٩٩

فشنو : ص ٤٤

فضل بن العباس بن عبد الرحمن : ص ١٠٨

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : ص ٢٤

فلسطين : ص ١٨٠

الفناء : ص ٧٣

فيثاغورس Pythagore : ص ٣٥ ، ١٤٦

الفيذا : ص ٢٦٦

(ق)

قاديان (مدينة) : ص ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

القادياني : انظر : أحد القادياني

القاديانية : انظر : الاحدية

القاديانيون : ص ٢٧٣

قارص (مقاطعة) : ص ٧٧

قاسم الخياط : غلام السيد الحميري : ص ١٥٦

القاسم الرسي : ص ١٢٧

قاسم بن عباس : ص ١٩٧

القاسم بن علي : ص ٦٢

القاسم بن محمد بن الحنفية : ص ١٠٣

قاشان : ص ١٣٠

قبا : ص ١٦٧

قبرص : ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩

القبشي (قبيلة) ص ٢٠٢

قتيبة بن سعد : ص ٢٦

قتيبة بن مسلم الباهلي : ص ٥٩

قحطان : ص ١٠٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧

القحطاني : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١

القحطانية : ص ١٧٦

قدير (جبل) : ص ٢١٠ ، ٢٢٩

القرآن الكريم : ص ١ ، ٥ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩

٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٣٠ ، ١٤١

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١

محمد بن علي بن بابويه القمي : أبو جعفر
الصدوق : ص ٨١ ، ٨٢
محمد بن علي بن الحسين : ص ٣٢ ، ١٢١
محمد بن عمر : ص ١٢٦
محمد عبد الله عثمان : ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
١٩٦ ، ١٩٢
محمد عبد الهادي أبو ريدة : ص ٢٦٧ ، ٢٧٢
محمد بن عثمان السري : ص ١٣٥
محمد فريد وجدى : ص ٧٠
محمد بن القاسم : ص ١٢٥
محمد كريم خان : الكرمانى الأتيم : ص ٢٤٩ ،
٢٥٠
محمد بن محمد بن اساعيل بن جعفر الصادق :
ص ١٣٨
محمد المهدي الحفنى : ص ٤٧
المحمدية : ص ١٢٥
محمد بن يعقوب الكليني : أبو جعفر الأعور :
ص ١٥ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩
محمود بن سبتكين الغزنوى : ص ٢٦٤
محي الدين بن عربى : انظر : ابن عربى
محي الدين بن عبد الظاهر : ص ١٠٧
مخارق : ص ٦٦
المختار بن أبى عبيد الثقفى : ص ٦١ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٢
المخلص : ص ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١١٢ ، ١٨١
المخرق : ص ٢٠٢
المدائن : ص ٧٦ ، ٩٤
المدينة : ص ٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ،
٦٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ،
١٥٧ ، ١٧٩ ، ٢٤٢
المنار (ناحية قرب الكوفة) : ص ١٠٤
مذبح : ص ٩٥
مربع بن دعدة : ص ٢٤
المرتضى الشريف على بن الحسين : ص ٤٠ ،
٧٤
مراكش : ص ١٩١ ، ١٩٦
المراسى : ص ١٩٣ ، ١٩٤
مرجليوث Margoliouth : ص ٤٨ ، ١٠٥
مروان بن أبى حفصة : ص ٦٣
مروان بن الحكم : ص ١٧٨
مروان بن محمد : ص ٤٩
المروة (جبل) : ص ١٤١
مزاخم بن خاقان : ص ٥٩
مزينة (قبيلة) : ص ٢٤

المستعين بالله : الخليفة العباسى : ص ١٢٦
مسعود بن عمرو الثقفى : ص ٩٥
المسعودى : المؤرخ الجليل أبو الحسن : ص
٥٢ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١٧٧
مسلم بن الحجاج النيسابورى : ص ٦ ، ٧٠
مسلم بن عقيل : ص ٥١ ، ٦٠ ، ٩٦
مسلم بن قتيبة : ص ١١٧
المسلمية : ص ٢٠٢
المسيب بن نجية : ص ٦١
المسيح : ص ٤٣ ، ٧٩ ، ١٧٥
المسيحية : ص ٤٩ ، ٧٩ ، ١٧٥ ، ٢٦١
مشهد الرأس : ص ١٠٧
مصحف على : ص ٨٢ ، ٨٣
مصحف فاطمة : ص ٣١ ، ٨٢ ، ٨٤
مصر : ص ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ،
٢٧٢
مصعب بن الزبير : ص ٦١ ، ١٠٤
مصمودة : ص ١٨٧ ، ١٨٨
مضر : ص ١١ ، ١٢ ، ٥٦ ، ٥٩
المضربون : ص ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١
المطهر بن طاهر المقدسى : ص ١٨٠
معاذ بن كثر : ص ٣١
معاوية بن أبى سفيان : ص ٥٠ ، ٥١ ، ٦٠ ،
٦٧ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٥٣
معاوية بن اسحاق الأنصارى : ص ٦١
المعتزلة : ص ٧٨ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧
المعتصم الخليفة العباسى : ص ١٢٥ ، ١٢٩
معد : ص ١٠٩ ، ١٥٨
المعز لدين الله أبو تميم معد : ص ١٤٩
معقل بن قيس الرياحى : ص ٦٢
المعلى بن حبيش : ص ٦٣
المقول : ص ٢٠٤
المغيرة بن سعيد العجلي : ص ٧٧ ، ٧٩
المغيرة : ص ٧٩
مقاتل بن سليمان : ص ٧١
المقداد بن عمرو : ص ٤
المقرن : ص ٢٠١
المقريزى : تقى الدين : ص ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
١٧٢
المقنع الخراسانى : ص ٧٩
مكة : ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٦ ،
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٩ ،
٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠
المكتفى بالله : الخليفة العباسى : ص ١٣٨

الوصى : ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

ولى الله : الشاه : ص ٢٦٨
للولىد بن عبد الملك : ص ١٩٩
الولىد بن يزيد : ص ٦٧ ، ١٠٨
الوهابية : ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩
وهب بن منبه : ص ٦٣
وهب بن وهب البخترى : ص ٦٣

(ى)

ياقوت الحموى : ص ٢٥ ، ١٣٠ ، ١٨٥
ياجوج وماجوج : ص ١٤١
يحيى بن زيد بن على : ص ١٠٨ ، ١٢٢
يحيى بن سعيد : ص ٨٨
يحيى بن عبد الله : ص ٥٩
يحيى بن عمر : ص ٥٤ ، ٥٩ ، ١٢٥
يحيى بن معين : ص ٨٨
يحيى حيد الدين : ص ١٢٧
يحيى نورى : انظر : صبح ازل
يزد (بلدة) : ص ٢٤٠
يزيد بن أنيسة : ص ١٧٣
يزيد بن ربيعة الحميرى : ص ١٥٣
يزيد بن قيس الكلابى : ص ٢٤
يزيد بن معاوية : ص ٦٧ ، ١٠٦
اليزيدية : ص ١٧٣
يسوع : ص ٧٩

يعقوب بن السكيت : انظر : ابن السكيت
يعقوب بن الليث : ص ٥٩

اليقوبى : ابن واضح : ص ١٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

يفر Yver : ص ١٨٧

اليمامة : ص ٩٧

اليمين : ص ٩٢ ، ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٧٧ ، ١٨١

اليمنيون : ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠

اليهود : ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٩٢ ، ٢١٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

اليهودية : ص ٤٩

يوسا أساف : ص ٢٧٢

يوسف حسن الشلالى : ص ٢٣١

يوسف بن عمر الثقفى : ص ٦٧ ، ٧٩ ، ١٠٧
يوسف كرم : ص ٣٥

يوسف بن محمد البلوى : أبو الحجاج ابن الشيخ : ص ٢٥

يوسف : النبى : ص ٢٢٠

يوسف بن يعقوب (السلطان) : ص ١٩٦

يوشع بن نون : ص ٤٩

يونس : النبى : ص ٣٤ ، ١٥١

نور (بلدة) : ص ٢٥٧
النويرى : ص ١٨

نيسابور : ص ٥٧ ، ٥٨

نيكلسون Nicholson : ص ٧٣

النيل : ص ٢٢٩ ، ٢٣٦

(ه)

هاروت وماروت : ص ١٤١

هارون عليه السلام : ص ١٨ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٤٩

هارون الرشيد : الخليفة العباسى : ص ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥

هارون بن سعد بن هارون العجلي : ص ٨٣

هاشم : ص ٥ ، ١٦ ، ٩٢ ، ١١٩ ، ١٢١

الهاشميون : ص ١١٥

هامان : ص ١١٩ ، ٢٢٦

هانىء بن عروة : ص ٥١ ، ٦٠

هبة الله : انظر : محمد المهدي الحفنى

هجر : ص ٦٤

هرقة : ص ١٨٧ ، ١٨٨

هشام بن الحكم : ص ٦٢

هشام بن عبد الملك : الخليفة الاموى : ص ٤٧ ، ٧٩ ، ١٠٧

هشام بن عمر التغلبى : ص ٦٢

هكس : ص ٢١٤

الهينستية : ص ٧٣

همدان : ص ٩٥

الهند : ص ٥١ ، ٦٧ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

هند بنت أسماء : ص ١٨٣

هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله : ص ١١٢

الهندوس : ص ٢٦٩

الهنود : ص ٤٤

هوازن : ص ٣

هوتسما Houtsma : ص ٢٧٠ ، ٢٧١

٢٧٢

هود : ص ١٠٩

هيار Huart : ص ١٣٧ ، ١٤٨ ، ٢٤٢

الهيشم بن عدى : ص ٦٣

(و)

واصل بن عطاء الغزال : ص ٧٨ ، ١١٣ ، ١٠٨

الواقدى : ص ٦٣ ، ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٨٢

الواقفية : ص ٦٨

وصاية : ص ٩٣

